



مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات
العلمية الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره
وما يتعلق به ولا سيما علوم نهج البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * انا اعبدك وابالك
نستعين * اهنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين
صدق الله العلي العظيم



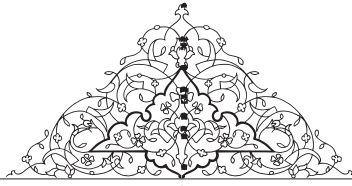
أبواب المعرفة

مجلة أبواب المعرفة

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفكره وما يتعلق به
ولا سيما علوم نهج البلاغة.

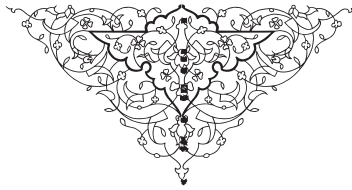


شهر جمادى الأولى سنة ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م، العدد (الثامن)



الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب
من العلم يفتح لي في كل باب ألف باب



الإرشاد، ج ١، ص ١٨٥. نظم درر السمطين، ص ١١٣. مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٠.



المشرف العام السيد علي المجابري

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. حسن عيسى الحكيم
أ.د. يحيى السلطاني أ.د. صباح عنوز
السيد زيد المحلو
أ.د. عباس الفحام أ.د. عمار نصار
أ.د. حسن خليل رضا (لبنان) أ.د. عباس رضا (لبنان)

رئيس التحرير
الأستاذ هاشم محمد الباجي

سكرتير التحرير
الأستاذ حيدر المجد

التصحيح اللغوي
أ.د. خالد حميدي

العلاقات العامة والمتابعة والتوزيع
الشيخ أحمد الذهبي
محمد باقر رحيم الحسناوي

التنفيذ الإلكتروني
أحمد هاشم

التصميم والإخراج الفني
أحمد مكي جعفر

m | AGENCY
وكالة الإعلام 078 2690 1443

أنوار المعرفية

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره وما يتعلق به
ولا سيما علوم نهج البلاغة.

تصدر عن:

مركز الإمام أمير المؤمنين للدراسات والبحوث التخصصية

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٦٦٩ لسنة ٢٠٢٣

IBSN: 3079 - 2312



جمهورية العراق - النجف الأشرف

شروط النشر والكتابة

من أهم معايير القبول الأولي لنشر الأبحاث في مجلة أبواب المعرفة أن يشكل البحث إضافة علمية في مجال البحث ويسهم في التنمية الفكرية والعلمية وان يكون بحثا غير تقليدي مكتمل العناصر الأساسية.

١ - تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.

٢ - تُعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز.

٣ - يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

عناصر البحث الأساسية:

١ - عنوان البحث.

٢ - معلومات عن الباحث (الدرجة العلمية، التخصص، الجامعة أو مكان العمل، المدينة، الدولة، بيانات التواصل).

٣ - ملخص البحث ما لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغة العربية.

٤ - المقدمة ويجب ان تتضمن مشكلة البحث وأسئلته، أهمية البحث، أهداف البحث.

٥ - أجزاء البحث ومحتوياته.

٦ - الخاتمة.

٧ - نتائج البحث.

٨ - التوصيات والمقترحات.

٩ - المصادر والمراجع.

تنسيقات البحث:

- ١ - يرفق مع البحث ملخص للبحث لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغتين العربية والانجليزية.
- ٢ - ترتيب العناوين الرئيسة والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
- ٣ - ترتيب الجداول والأشكال والصور في البحث ترتيب تسلسلياً على التوالي.
- ٤ - لا تتجاوز عدد صفحات البحث ٤٠ صفحة ولا تقل عن ١٠ صفحات.
- ٥ - ترقيم صفحات البحث.

المحتويات

١٥	أ.د. عباس رضا (لبنان)	استراتيجية أمير المؤمنين في التعامل مع المعارضة السياسية إبان حكمه
٤٧	م. سندس معين حسن المشهدى	الأبعاد الفكرية لمفهوم الولاية عند الشيعة الإمامية
٦٩	د. بيان العريض	(الإمارة المتفرّدة في عهد خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والدروس الاعتبارية فيها).
٩٧	دكتور أحمد راسم النفيس (مصر)	الإمام علي بن أبي طالب ونظرية الحقوق المتكافئة
١٢٧	إدريس هاني (المغرب)	فكرة العدالة عند الإمام علي عليه السلام
١٥٣	أ.د. أمل اسمر زبون جامعة القادسية/ كلية الإدارة والاقتصاد الباحث جعفر عباس رشك وزارة التربية / مديرية تربية - ميسان	آليات مكافحة الفساد الإداري والمالي في الفكر الإسلامي دراسة في ضوء نهج الإمام علي عليه السلام.
١٧٩	أ.د. خليل خلف بشير	تجلي الغدير في دعاء الندبة
١٩٩	م.د. إبراهيم مزهر صالح الموسوي	الولاية بين المفهوم الشرعي والواقع التاريخي

المحتويات

٢٣٥	أ.د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي	بيعة الغدير في مخطوط مفتاح النجاء في مناقب آل العباء الميرزا محمد بن رستم معتمد خان الحارثي البدخشي (كان حيّاً سنة ١١٢٦هـ) دراسة تحليلية محور الدراسات الحديثة
٢٥٩	د. بشرى رضا (لبنان)	خصائص الدولة ومميزاتها عند أمير المؤمنين عليه السلام
٣٠٣	السيد الدكتور ضياء الحيدري المشعشع	أركان البيعة رضى الله برسالة النبي وولاية علي (صلوات الله عليهما)
٣٣١	م. د. سحر ناجي فاضل المشهدى	النبوة والإمامة دراسة في ضوء آراء الشيخ اليزدي
٣٥٩	أ. نور عباس رضا	المؤشرات الديمقراطية في عهد الامام علي عليه السلام
٣٨٧	عدي حياوي كشكول يوسف	نقوش واجهات الأبنية الفاطمية في مصر ودورها الإعلامي في تجديد ذكرى الولاية (دراسة آثارية فنية تحليلية)

إضاءة

الغذاء المعرفي والفكري ..

بقلم رئيس التحرير

لا أحد ينكر الدور الكبير الذي تؤديه المجالات العلمية الفكرية في حياتنا المعرفية، فهي الوعاء الذي ينساب فيه أنهار الكلمات المتدفقة من أقلام المؤلفين والباحثين والمحققين... وما على القارئ المثقف -الذي ينتظر كل جديد وجميل- إلا أن يغترف من هذه الكلمات؛ لأن المجالات هي من تحمل هذا الغذاء المعرفي والفكري والذهني، إلى قرائها الكرام ظمأى العلم والمعرفة... فالمجلات الرصينة تحمل أفكاراً ورؤى متعددة لكن نهجها الحق والصدق؛ لذا فهي مؤهلة لنشر الحقيقة والفضيلة من دون تصنع أو تكلف، وهذا ما نحاول أن نسعى إليه في مجلة أبواب المعرفة الفكرية.

ومجلتنا الغراء هدف واضح وهو نشر فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتراثه العلمي، عن طريق توفير وعاء علمي رصين للباحثين والقراء على حد سواء، من أجل نشر المعرفة العلمية المتخصصة في الفكر الوهاج للإمام سلام الله عليه في جميع المجالات العلمية والفكرية والتربوية والنفسية والسياسية والاقتصادية....

وكذلك تهدف المجلة إلى تمكين الباحثين من مختلف بلدان العالم، لنشر إنتاجهم الفكري والمعرفي لمعالجة المشكلات التربوية والنفسية، وبناء الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف والمهارات من وحي فكر الإمام ونهجه الخالد.

وتسعى أيضاً لتحقيق الشيوخ والانتشار للإنتاج العلمي والمعرفي للباحثين في جميع المجالات والفضاءات التي ذكرها الإمام في خطبه ورسائله وحكمه، وترجمة ذلك إلى حلول لما تعانيه الإنسانية اليوم.

إن نشر المجلة البحوث العلمية والفكرية الأصيلة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته ولاسيما في فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونهجه، ستضيف جديداً للمعرفة الإسلامية التخصصية في المجالات كافة.

تسعى مجلة أبواب المعرفة إلى المشاركة الفاعلة مع الحوزات العلمية والجامعات ومراكز البحث العلمي المحلية والعالمية؛ لإثراء حركة البحث في المجالات الفكرية والعلمية في نهج الامام سلام الله عليه وسيرته العطرة.

وتعمل هيئة تحرير مجلة أبواب المعرفة على استنهاض الباحثين المتميزين؛ للإسهام في عملية الإبداع الفكري والمعرفي في إيصال فكر الإمام وتراثه الخالد من خلال ما تركه من سيرة وهاجة في حكمه ورسائله وخطبه في التوحيد والوجود والتفكير في خلق الله تعالى وجميع القضايا التي تهم الفرد والمجتمع؛ لأنها تصلح لتكون ورقة حل لجميع المستجدات والقضايا المعاصرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT THE MOST MERCIFUL





استراتيجية أمير المؤمنين في التعامل مع المعارضة السياسية إبان حكمه

أ.د. عباس رضا
الجامعة اللبنانية - لبنان





مقدمة

التي وقفها الإمام علي في مجمل أدوار حياته تجاه الشخصيات المؤثرة في الساحة السياسية، وكذا مواقفه تجاه الأحداث التي ألت بالأمّة، ولاسيما بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ بحاجة هي الأخرى إلى أعمال الفكر والبحث لاستخراج الاستراتيجية التي سار عليها الإمام.

والإمام علي ﷺ هو الرجل الثاني بعد الرسول الأعظم ﷺ في تأسيس وبناء النهضة الإسلامية، ويختلف عن بقية الصحابة في مواقفه الصائبة وارتسامها على الجادة الشرعيّة^(١)، مما يجعل من حياته السياسيّة مخزوناً يمد الحركة الإسلاميّة والعاملين فيها بدروس لا غنى عنها، بل يجب أن تكون معالم تحدد لهم مناهج العمل الصحيح.

وحيث أن المدرسة الإماميّة تتعامل مع أهل بيت العصمة من خلال كون كل تحركاتهم الحيائيّة حجة وميزاناً يوضح

تعدّد حياة الإمام علي ﷺ من أخصب موارد الفكر الإسلامي، وثروة عظيمة للعاملين الإسلاميين؛ وذلك لأهمية الحقبة الاستراتيجية التي عاشها الإمام، إذ عاصر عهد البعثة النبويّة - مرحلة التأسيس - وبقي بعدها مدة ثلاثين سنة، وترك لنا تراثاً كبيراً من خطبه وكلماته ومواقفه الحكيمة وسيلاً من سلوكياته المناقبية. إلا أن الجانب السياسي في حياة الإمام علي بحاجة إلى المزيد من الدراسات الجادة والمتعمقة، واستخلاص القواعد الرئيسة التي ارتكز عليها الإمام في مواقفه وأطروحاته السياسيّة.

يحتوي نهج البلاغة على مادة واسعة من خطب الإمام علي التي هي بحاجة إلى أن تسلط الأضواء عليها بنظرة بحثيّة ومن زاوية العلم السياسي.

فضلاً عن ذلك فإنّ المواقف الشهيرة

(١) لقول الرسول الأعظم ﷺ: (علي مع الحق والحق مع علي - علي مع القرآن والقرآن مع علي - اللهم أدر الحق معه حيث دار)، وقد ذكرنا العديد من مصادر هذه الأحاديث من كتب أهل السنة الرئيسة في كتابنا (حين تتحدث الحقائق عن الإمام علي ﷺ) طبعة دار الهادي - بيروت.



الصواب من الخطأ، ومرجعاً لا يمكن الحياد عنه؛ لذا تكون حياة الإمام علي السياسية مرجعية أساسية لاستخلاص الدروس والقواعد في العمل السياسي. ونستطيع أن نقسم حياة الإمام علي عليه السلام السياسية على أربعة أدوار رئيسة، هي:

- الدور الأول: كونه نائراً ومؤسساً مع

الرسول الأعظم ﷺ للحركة الإسلامية المباركة في المرحلة المكية، أي المرحلة الثورية ضد النظام الجاهلي المسيطر بفكره واستبداده على الناس.

- الدور الثاني: كونه وزيراً للقائد الأعلى الرسول الأكرم ﷺ في السلم والحرب، مرحلة المشاركة في السلطة السياسية في المدينة المنورة.

- الدور الثالث: كونه معارضاً في زمن الثلاثة (مرحلة المعارضة).

- الدور الرابع: كونه حاكماً بعد عثمان، (مرحلة الحكم).

والملاحظ أن التركيز في حياة الإمام بحثاً، وكتابة، وتحليلاً، وخطابة، هو في إطار المرحلة الثورية، ومرحلة المشاركة، ومرحلة الحكم، أما مرحلة المعارضة

- التي استغرقت أكثر من ثلث حياته الشريفة - فقلما يتم التركيز والبحث فيها. ولأهمية هذه المرحلة، دعونا نتعرف على سمات ومعالج معارضة الإمام علي عليه السلام، ففي هذه المعارضة النموذجية السلمية دروس قيمة مهمة لكل من أراد أن يتخذ دور المعارضة في ظل المجتمع الإسلامي.

أولاً: هدفية المعارضة

كانت معارضة أمير المؤمنين عليه السلام إصلاحية في هدفها وليست إنقلابية، فهي لأجل مصلحة الأمة، لا بحثاً عن ملك ودنيا، فالإمام كان يبحث عن إصلاح الأوضاع، ولم يسع إلى استلام الحكم هدفاً لمعارضته.

قال الإمام علي عليه السلام: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لردّ العالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك)^(١).

حدّد الإمام عليه السلام من خلال هذا الدعاء هدفين رساليين لمعارضته وحركته السياسية:

(١) تذكرة الخواص: ص ١٢٠.



- الهدف الأول (لنرد المعالم من دينك) : وهو إرجاع معالم الدين بشكله العام لتكون هي الحاكمة والملاحظة في المجتمع الإسلامي، مع ملاحظة أن صلوات الجمعة والعبادات العامة كالحج والجهاد وغيرها كانت مقامة من قبل الذين كان يعارضهم الإمام، مما يدلنا على أن معالم الدين التي يقصدها الإمام هي الشاملة لكل مقتضيات الدين سياسياً وتربوياً واجتماعياً وسلوكياً واقتصادياً وما إلى ذلك .

التي تمثل السياج الذي يحمي المجتمع الإسلامي من كل حالات التعدي والعدوان. إن أية معارضة ينبغي أن ترتسم أهدافها بما طرحه الإمام من شعار وعنوان واسع لحركته السياسية. إن بعض الحركات الإسلامية نراها تستهدف إصلاح الوضع السياسي السيئ الذي تعيشه بعض البلاد الإسلامية، من دون أن تهتم بإرجاع معالم الدين المضیعة، وقد تعدها هدفاً ثانوياً أو لاحقاً للهدف الأول، على حين نرى أن الإمام علياً عدّ إرجاع معالم الدين هو المقدم في أهدافه، وكذا عدّ إقامة الحدود الإسلامية على قائمة الأهداف التي ترجى بعد قيام الدولة الإسلامية.

- الهدف الثاني (نظهر الإصلاح في بلادك) : وهو إظهار الإصلاح العام الذي يتعلّق بمجمل وضع بلاد المسلمين سواء في الجانب التربوي الأخلاقي أم السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي أو العمراني.

ومن ثم يعقب الإمام أن تحقيق هذين الهدفين سيؤدي إلى نتيجتين طبيعيتين هما:

أولاً - إنصاف المظلومين، وهي القضية الكبرى في الحياة، إذ إنّ المظلومين عنوان عام لكل من هضمت حقوقه الماديّة أو المعنويّة.

ثانياً: إقامة ما تعطلّ من الحدود،

ثانياً: مبدئية المعارضة
إن أمير المؤمنين لم ينطلق في معارضته من خلال اجتهاداته الشخصية، بل من مرجعية مبدئية هي القرآن والسنة النبويّة. فمتى ما وجدت فجوة بين



الأمة بالنحو الذي يكون مكماً لقيادة الرسول الأعظم ﷺ وبما يحافظ على حيوية الأمة إيماناً وحضارياً.

فقد بلغ الإمام علي عليه السلام من المستوى العلمي والقدرة الفكرية والمؤهلات التربوية العالية والتضحيات الجسيمة ما يؤهله لأن يكون هو القائد المكمل لمسيرة التأسيس التي ابتدأها الرسول الأعظم ﷺ. إن عدم وجود الكفاءة العلمية لدى غيره، أدى إلى عدم سيرهم على أسس علمية صحيحة في مجال الحكم، كما أدى إلى وجود ممارسات حكمية غير صحيحة برزت في هضم حقوق بعض الناس.

ففيما يتعلق بالأسس الصحيحة للحكم، نرى أن الإمام علياً في خطبته الشقشقية يعبر عن الجو العام لحكم غيره بـ (طخية (ظلمة) عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير)^(١) وهي كناية واضحة عن حال التخبط في السير بعيداً عن المنهج الرباني النير الذي ينبغي أن يثير أجواء الرقي والسلامة. ويسم حبة حكم أحدهم بأنها (حوزة خشناء

النظرية الإسلامية من جهة والواقع الذي يديره الحاكم من جهة أخرى، كانت هنالك معارضة بمقدار تلك الفجوة، وكلما اتسع مقدار الفجوة ازدادت نسبة المعارضة.

وهذا ما نلاحظه في شدة معارضة الإمام علي لعثمان بعد اتساع الفجوة في عهده عن سبقه، واتساعها بمقدار أعظم في عهد الطاغية يزيد مما استوجب من الإمام الحسين عليه السلام اتخاذ منهج المعارضة الثورية التي لا مجال للمساومة فيها.

لقد استندت معارضة الإمام علي لمن عاصروهم من الخلفاء على أساسين هما: أولاً: إن موقع الخلافة وإمامة المسلمين قد أنيط به شخصياً بناء على النص النبوي الصريح في حادثة الغدير وغيرها، وقد أعلن الإمام علي ذلك بصراحة في العديد من أقواله وخطبه، منها ما أوضحه في بداية الخطبة الشقشقية^(١).

وثانياً: عدم قدرة الآخرين علمياً وفقهياً وعملياً على القيام بمهمة قيادة

(١) نهج البلاغة: الخطبة الثالثة.

(٢) نفس المصدر السابق.



يغلظ كلمها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض^(١). فقد عدّ تلك الحكومة بمنزلة الأرض الوعرة الخشنة صعبة التضاريس، ولوعورتها يكثر السقوط والعتار فيها مما يتطلب كثرة الاعتذار.

ثم أوضح سلام الله عليه أثر ذلك في الناس، وهو ابتلاؤهم بأوضاع اتسمت (بخليط من الاضطراب، وعنه عبر الإمام بالخبط، وخليط من الصرامة، وإليها أشار بالشماس، ومن التبدل من حال إلى حال وهو المراد من التلون، أمّا الاعتراض فالقصد منه عدم الاستقامة على حال)^(٢).

أمّا فيما يتعلّق بهضم حقوق بعض الناس، فقد هب الإمام مدافعاً عن أي مظلوم ظلم بحكم قضائي أو أمر إداري

(١) نهج البلاغة: الخطبة الثالثة.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: الشيخ محمد جواد مغنية، ج ١ ص ٨٩.

(٣) أخلاقيات أمير المؤمنين: السيد هادي المدرسي، ص ٢٣٤.

(٤) علي إمام المتقين للشرقاوي: ج ١ ص ١٥١.



معارضة تقوم على أسس مبدئية، من أبرزها شرعية الحكم، وأهلية الحاكم وممارساته، إن المعارضة السليمة هي تلك التي تتخذ من المبدأ منطلقاً لها، تسترشد به في معارضتها، فالأوضاع التي تخرج عن المبادئ الحقة هي الدائرة التي تعارضها، وتتحرك من أجل تغييرها، كما يرجع الحق إلى نصابه، ولا تندفع في معارضة السلطة رغبة في المعارضة أو لإحراجها وتأليب الأوضاع عليها، كما نراه في بعض أجنحة المعارضة السياسية في الأنظمة الديمقراطية التي تنافس السلطة على كرسي الحكم ليس غير.

ثالثاً: علنية المعارضة

وإذا كان موقفه مع عثمان عندما ازدادت النقرة الشعبية عليه، فأبدى موقفه المعارض لسيطرة رجال بني أمية على أركان الحكم وأموال المسلمين، كما أوضحناه في المعلم الثاني.

إن المعارضة الصادقة تصدع بكلمة الحق سواء أمام الحكام أم ورائهم، ولا تتحرك بنفاق مع الحكام، كما هو ديدن المتملقين الذين إذا كانوا مع الحكام أبدوا لهم التأييد، وقالوا: أنا معكم، وإذا كانوا مع الناس أبدوا امتعاضهم من سياسات الحكام.

أما ما نراه من لجوء المعارضة الصالحة إلى حالة السرية في بعض الأزمنة، فإنما

(١) بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٣٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٤ باب ٦٦.

(٣) أخلاقيات أمير المؤمنين (م.س): ص ٢٢٣.



تفرضه ظروف القهر، فإذا زالت تلك الظروف، فالعلنية هي الطريق الأنفع والأصوب، وهذا ما نسترشده من المرحلة السرية عند بدء الدعوة النبوية حيث كانت الأجواء تتسم بالقهر في مواجهة المؤمنين، ولكن عندما صلب

إِنَّ أَيْةَ مَعَارِضَةِ تَلَجُّأٍ إِلَى اسْتِخْدَامِ الْعَنْفِ غَيْرِ الْمَسْوُوعِ وَالتَّهْدِيدِ بِاسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ مَعَ الْمُنَافِسِينَ لَهَا، وَخَلَقَ أَجْوَاءَ الْإِكْرَاهِ الْمَعْنَوِيِّ أَوْ الْمَادِيِّ عَلَى النَّاسِ فَإِنْ مَا لَهَا إِلَى الْفَشْلِ، وَلِذَا نَجَحَتْ مَعَارِضَةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ الْقَائِمَةِ عَلَى السَّلَامِ وَتَوَجَّهَتْ الْجُمَاهِيرُ الْمُسْلِمَةُ نَحْوَ مَبَايِعَتِهِ وَرَفَضَتْ مَبَايِعَةَ طَلْحَةَ رَغْمَ التَّأْيِيدِ الْقَوِيِّ لَهُ مِنْ بَعْضِ الْقَوَى؛ لِأَنَّ مَعَارِضَةَ الْآخِرِ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى الْعَنْفِ.

خامساً: إيجابية المعارضة

المعارضة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام على نوعين: معارضة تتسم بالثورة على النظام الحاكم بالجور والمعلن للفسق والقامع للحريات والناهب لأموال الناس، كتلك التي اختطها سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد؛ فالثورة - هنا - حالة استثنائية تأتي ردة فعل طبيعية في وقتها لمواجهة القهر والظلم الذي لا يطاق، وهناك معارضة إيجابية في تعاطيها وتعاملها مع الحاكم، كتلك التي اتخذها الإمام علي عليه السلام مع (الخلفاء)

عُودَ النَّهْضَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ جَهَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ حَوْلِهِ بِالرَّسَالَةِ مُعْلِنِينَ مَعَارِضَتَهُمْ لِلْوَقَاعِ الشَّرَكِيِّ وَالْحَيَاتِيِّ الْمَعَاشِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ.

رابعاً: سلمية المعارضة

كانت معارضة الإمام عليه السلام سلمية بعيدة عن البطش والتخريب والعنف، بل كان يتحرك في معارضته بالمنطق والكلمة الحقّة؛ ذلك لأنّ الكلمة الحقّة أقوى من أي سلاح فهي تخاطب العقل والضمير، أمّا التخريب والعنف وخلق الأجواء الضاغطة فهو إرهاب من أية جهة قامت به؛ لذا نرى أن أمير المؤمنين لم يرفع سيفه على أحد على الرغم من قدرته على التحرك المسلح، وحين لجأ المعارضون لعثمان إلى استخدام وسائل القوة، لم ينضم إليهم، بل دافع عن حياة عثمان، لأنّه يؤمن بالمعارضة السلمية، على الرغم



الثلاثة، الذين كان عهدهم يتسم بوجود

مساحة لا بأس بها من الحرية والقدرة

على إبداء الرأي، ففي عهدهم كان

الإمام يختلط بهم وينصحبهم، ولم يكن

يتجنبهم ويتركهم، بل كان يتدخل

لمصلحة الأمة، ولم يكن من أصحاب

الرأي القائل: (دع الحاكم وشأنه لتزداد

أخطاؤه فتكثر النقمة عليه)، فنراه عليه السلام

يتدخل لنصح هذا الحاكم أو ذاك، ويشير

عليه بالرأي الحسن كما أشار مراراً على

عمر في القضايا التي تتعلق بشؤون الأمة

والناس، من ذلك ما أشار إليه الإمام عليه السلام

في عهد عمر، حينما أراد عمر الخروج إلى

قتال الروم وقيادة جيوش المسلمين، فنهاه

الإمام عن ذلك وقال له: (إنك متى تسر

إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتكسب

(تخسر المعركة) ولا تكن للمسلمين

كانفة (كنف) دون أقصى بلادهم، ليس

بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث

إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل

البلاء والنصيحة^(١) فولى عمر أبا عبيدة

على الجيش^(٢).

كما يحدثنا التاريخ أن الإمام كان يتدخل

لنصرة أي مظلوم أو أي شخص حكم

عليه عن طريق الخطأ أو لعدم تشخيص

الحاكم للحكم الصحيح، والحوادث التي

يذكرها التاريخ كثيرة في هذا المجال. جاء

في كتاب المناقب: جيء بامرأة قد ولدت

لستة شهور إلى عثمان فهم برجمها، فقال

الإمام علي مخاطباً عثمان: (إن خاصمتك

بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول:

﴿وَحُمِّلَهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ثم قال

سبحانه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ﴾

فحولان مدة الرضاعة، ستة أشهر مدة

الحمل، فقال عثمان: ردوها^(٣).

هكذا تعمل المعارضة الصالحة في

إبداء المشورة والتصحيح إن هي وجدت

أجواء الحرية مكفولة من الحاكم؛ فليست

المعارضة مقصورة على مواجهة الحاكم

ومقاطعته والنيل منه فقط، بل تتخير ما

هو الأفضل والأصلح وفقاً لمقتضيات

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٤.

(٢) للمزيد راجع (أخلاقيات أمير المؤمنين) ص ٢٢٧.

(٣) أئمتنا: ج ١ ص ٧٢.



المصلحة العامة.

التي تميزها عن الأوضاع القائمة، وأي تجاهل لها يسلب المعارضة مشروعيتها، ومن ثم يتعد الناس عنها، إن عليها أن تلتزم بالأخلاق، مهما كانت الظروف والأسباب التي قد تدعوها إلى خلاف ذلك، لكي تكون البديل الحضاري حقاً، ولا تكون معارضتها ضمن إطار الصراع على السلطة^(١).

يحدثنا التاريخ أن الإمام علياً كان يستخدم أعلى درجات الخلق الحسن مع معارضيه، وليست تلك الأخلاقية مقصورة على مرحلة المعارضة، بل حتى وهو في زمن الحكم والقوة الظاهرية؛ فهذا خارجي يقول أمام جمع من الناس قاصداً أمير المؤمنين بأنه (قاتله الله كافراً ما أفقهه) حتى أراد أصحاب الإمام قتله فنهاهم، وقال كلمته الحكيمة المتسامحة (رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب)^(٢) وحتى معاوية وأهل الشام الذين خرجوا لقتاله لم يكن الإمام ليرضى بسبهم، وقال مخاطباً أصحابه (إني

إن مما ينبغي الانتباه له، هو أن المعارضة الصالحة في الوقت الذي تبدي الرأي وتصحح مسيرة النظام وتقدم الحلول العملية، ينبغي ألا تتحول إلى آلة يسخرها النظام لتمرير خططه أو بعض مشاريعه غير السليمة أو بوق ينفخ في مدح السلطة، إن من المهم أن تبقى المعارضة في وضعية يشخصها الجميع باستقلاليتهما وتجردها عن السلطة، وعدم إسباغها الشرعية على النظام الذي لا يتمتع بها.

سادساً: أخلاقية المعارضة

المعارضة الصادقة هي التي تتسم بالأخلاق في تصرف قيادتها وأفرادها، فإذا كان مسوغ المعارضة هو وجود الظلم، فلا يجوز أن تمارس هي الأخرى الظلم بأي شكل من الأشكال وبحق أي فرد أو أية جهة أخرى منافسة لها، (إن الأخلاقية، هي التي تعطي للمعارضة مشروعيتها الحقيقية، وهي

(١) أخلاقيات أمير المؤمنين: ص ٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ٤٣٤.



أَكْرَهَ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَايِنَ^(١). يروى في البحار أن علياً لم يكن ينسب أحداً من أهل حربته إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكنه كان يقول: (هم إخواننا بغوا علينا)، فعلى الرغم من كونه الخليفة الشرعي والإمام المعصوم إلا أن ذلك لا يسوغ له أن يخرج عن التعامل الأخلاقي الرفيع مع أعدائه. هذه أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع معارضيه؛ لذا فليس من الصحيح لأية معارضة مسلمة تقتدي وتتوجه بمنهج الإمام علي، أن تحارب غيرها بمجرد الاختلاف في المنهج والأسلوب والشعائر، فتكيل لها التهم وتحاربها وتخرجها من الدين، على قضايا جزئية وفي كثير من الأحيان صغيرة وهامشية. إن ذلك خلاف الدين والمبادئ الخلقية، (فمن الضوابط الشرعية عدم جواز استخدام الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والبهتان ضد المخالف لك في المنهج أو الموقف السياسي، أو الرأي العلمي والفقهية)^(٢) يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾. إن الخطاب موجه لعموم المؤمنين بأن لا يلجأوا لأسلوب السخرية من بعضهم بعضاً، فلعل الذين يسخرون منهم هم أفضل عند الله تعالى. وتتابع سورة الحجرات في إبراز الموقف الأخلاقي من بعضنا بعضاً، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، فالمؤمنون سواء كانوا في صف المعارضة أو الحكم، لا يسوغ لهم أن يظنوا ويفسروا مواقف إخوانهم المؤمنين بسوء، فلعل لهم عذراً مقبولاً عند الله، كما أن حالة التجسس والغيبة بين صفوف المؤمنين محرمة، ولا يجوز تبريرها بأي شكل من الأشكال. إن من يلجأ إلى تلك السبل الخاطئة بحاجة ماسة إلى توبة عما سبق وتقوى في تعامله، فختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

قَوْمٌ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾. إن الخطاب موجه لعموم المؤمنين بأن لا يلجأوا لأسلوب السخرية من بعضهم بعضاً، فلعل الذين يسخرون منهم هم أفضل عند الله تعالى. وتتابع سورة الحجرات في إبراز الموقف الأخلاقي الرفيع مع أعدائه. هذه أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع معارضيه؛ لذا فليس من الصحيح لأية معارضة مسلمة تقتدي وتتوجه بمنهج الإمام علي، أن تحارب غيرها بمجرد الاختلاف في المنهج والأسلوب والشعائر، فتكيل لها التهم وتحاربها وتخرجها من الدين، على قضايا جزئية وفي كثير من الأحيان صغيرة وهامشية. إن ذلك خلاف الدين والمبادئ الخلقية، (فمن الضوابط الشرعية عدم جواز استخدام الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والبهتان ضد المخالف لك في المنهج أو الموقف السياسي، أو الرأي العلمي والفقهية)^(٢) يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

(١) بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٥٦١.

(٢) شرعية الاختلاف: ص ٤١.



الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾

سابعاً: الإيمان بالتعددية

التعددية هي سنة الله في خلقه؛ فما من جنس واحد إلا وهو متعدد في أصنافه وأشكاله وصفاته، وكذلك البشر مختلفون في فكرهم وثقافتهم ولغاتهم ونمط تفكيرهم، فليس من الصحيح أن يصبغوا بصبغة واحدة باسم الوحدة، فهذا مفهوم خاطئ للوحدة. إنما الوحدة في الرجوع إلى القرآن وقيادة المعصومين، أما الأساليب والأشكال والتوجهات فمن المحال دمجها جميعاً في قالب واحد وتحت مظلة واحدة.

إن القبول بالرأي الآخر، والتنوع في الأساليب هو من سمات مدرسة أهل البيت عليه السلام، يحدثنا التاريخ أن أبا ذر، وهو من خواص مدرسة أمير المؤمنين، تتسم معارضته بالشدة في مواجهة الحكام، وبكشف التلاعب في أموال المسلمين، ومحاربة الترف المادي عند الولاة، وأن محمداً بن أبي بكر وجمعاً من الشباب المؤمن ممن يوالي أمير المؤمنين عليه السلام، تتسم معارضتهم بالتحرك الفعال والنشط

في جمع الحشود وغير ذلك، وكانت هناك معارضة أخرى ضد عثمان تقودها عائشة وبعض الصحابة. وللإمام علي عليه السلام معارضته الخاصة ضد عثمان، تتسم بالحكمة والتعقل والإصلاح، إلا أنه لم يمنع غيره من صحابته ومريديه من اتخاذ أشكال أخرى في المعارضة، بل إن الإمام علياً عليه السلام في زمن حكمه آمن بوجود تعددية سياسية ولم يجبر أحداً على السير بطريقته أو على مبايعته؛ فكان هنالك فريق من الصحابة لم يبايع الإمام علياً عليه السلام، كعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، فتركهم ولم يعترض لهم بسوء.

وكان هنالك الخوارج الذين كانوا يوجهون أشد التهم والسباب لأمير المؤمنين عليه السلام، ويعملون ضده كحزب منظم، ويحرضون الناس عليه، إلا أنه لم يكن يواجههم ويصادر حريتهم في معارضته، وهو المعصوم، بل أعطاهم ثلاثة حقوق قبل أن يخرجوا لقتاله، فقال عليه السلام: ^(١) (إن لكم علينا أن لا نبداكم بقتال (أي لكم حق العمل المعارض ما

(١) أخلاقيات أمير المؤمنين: ص ٢٩٨.



ورسوله الكريم ﷺ.

يعبر الإمام عن اتخاذ هذا الموقف الصابر بالآتي (وظفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء (مقطوعة) أو أصبر على طخية عمياء.. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الخلق شجاً) ثم يقول في ذات (الخطبة الشقشقية)^(١) (فصبرت على طول المدة وشدة المحنة).

لقد وازن الإمام علي عليه السلام بين أمرين، هما التحرك من دون وجود الناصر الكافي، والصبر على الرغم من الأزمات التي ستلحق بالأمّة، فرجح جانب الصبر؛ لأنّ مصلحة الدين كانت تقتضي ذلك، حيث الإسلام مازال طرياً، وأي تحرك لا يثمر رجوع الحق إلى نصابه لن يؤدي إلا إلى مزيد من تفتت الأمّة وضعفها، وقدرة أعداء الإسلام المتربصين على الانقضاض على الدولة الفتية.

إن هذه المواقف الرسالية توضح لنا ضرورة الموازنة بين الخيارات المطروحة وعدم الاستعجال بتبني أي خيار إلا بعد معرفة الحكمة والمصلحة فيه. إنّ

دمتم لا تبدأون بالقتال) وأن لا نقطع عنكم الفيء (أي إن نصيهم من المال العام كنصيب غيرهم) وأن لا نمنعكم مساجد الله (أي حق التجمع والاجتماع مع الناس)، وإنما قاتل الإمام علي عليه السلام أولئك الذين خرجوا بالسيف وقتلوا العباد وأفسدوا في الأرض.

ثامناً: صبر المعارضة

مفهوم الصبر لدى أهل البيت عليهم السلام هو عبر اتخاذ الموقف الرسالي السليم ومن ثم الصبر على تبعاته، فقد يكون الموقف هو التحرك والنهوض، ومن ثم تحمل تبعات ذلك النهوض، كما فعل سيد الشهداء علي عليه السلام حين ثار على الطاغية يزيد، وتجرع وأهله العظام رزايا الصبر والبلاء، وقد يكون الموقف هو التأي والحلم وعدم القيام بأي شيء، رغم أن الموقف النفسي قد يكون ضاغطاً باتجاه التحرك، إلا أن وجود مصلحة أهم يتطلب مراعاتها وتحقيقها بعدم وجود التحرك، وهذا ما كان من فعل الإمام علي عليه السلام حين سلب حقه في الخلافة، وتم إقصاؤه عن الموقع الشرعي المسنود له من لدن الله عز وجل

(١) ذكرنا مصدرها سابقاً.



ضغط القاعدة أو التأثير بالأجواء النفسية والمحيطية ينبغي ألا يخرج أي قيادة مؤمنة عن سبيل التروي والتشاور للخروج بالموقف السليم تجاه أية أزمة تحدث، فلا يجوز الخروج عن الرؤية الاستراتيجية والخيار السليم لوجود حادثة أو أزمات عابرة. إن الوصول إلى الأهداف يتطلب صبراً على السبيل السليم، وهذا ما يرشدنا إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: (لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان). لقد كانت معالم المعارضة عند الإمام علي عليه السلام تتسم: أولاً بالإصلاح كهدف، وثانياً بالمبدئية في المنهج، وثالثاً بالعلنية في التحرك، ورابعاً بالسلم كطريق، وخامساً بالإيجابية في التعاطي مع الحكام، وسادساً بالأخلاقية وحسن التعامل مع الأعداء والمنافسين، وسابعاً بالإيمان بالتعددية السياسية، وثامناً بالصبر الطويل لتحقيق الأهداف.

وبمثل هذه المعارضة الرسالية النقية الخالصة لوجه الله، والقائمة على العلم والمبادئ والتفكير والتضحية، والباحثة عن خلاص الناس، استطاع الإمام علي عليه السلام أن يستحوذ على قلوب الناس فنادوا به حاكماً

وأميراً عليهم، فبرز سلام الله عليه كأعظم معارض وأعظم خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله. إن المعارضة الرسالية في أي زمن أو بلد ينبغي أن تستفيد من المعالم والدروس العالية التي اختطها الإمام علي عليه السلام، وتضعها نصب عينها.

كان الإمام علي يتعامل مع مفهوم المعارضة بوصفها حالة طبيعية ضرورية في المجتمع الإسلامي من منطلق انساني بحث فحرص على محاورتهم وبحث أسباب معارضتهم له مع تأمين الحماية الكاملة لهم ولأسرهم فنحن نرى تعامله مع معارضيه في حرب الجمل وحرب الخوارج، إذ كان يذهب مع وفد من الصحابة منهم عبد الله بن عباس أو مع مالك الاشر أو غيرهم لفض النزاع والوصول إلى حل يضمن لهم ممارسة حياتهم الطبيعية داخل مجتمعهم فنرى ذلك في حرب الجمل عندما أراد الإمام علي قتالهم قال لطلحة عندما كان يريد قتاله: أولم تبايعني يا أبا محمد طائعاً غير مكره قال طلحة بايعتك والسيف على عنقي قال ألم تعلم اني ما أكرهت أحداً على البيعة ولو كنت مكرهاً أحداً لأكرهت سعداً وابن عمر ومحمد بن



مسلمة أبوا البيعة واعتزلوا فتركهم^(١).
 كان الإمام عليّ عليه السلام لا يسلب من أحد إرادته أو مواظنته أو عطاءه على الرغم من معارضته له وعدم الرضا بحكومته وهذا يدل على أن حكومته كانت حكومة شعبية منطلقة من آراء الأغلبية بالحكومة وأنه يتعامل بما نسميه اليوم (بالديمقراطية) (democracy) وهي حكومة الشعب وليس حكومة (أوتوقراطية) كما كان يحكمها معاوية مثلاً فحكومة علي عليه السلام كانت على طرفي نقيض من الحكومات التي سبقتها وكذا حكومة معاوية التي كانت تتعامل مع المعارضين بالقتل والسجن والتعذيب كما هو الحال مع حجر بن عدي وجماعة من شيعة علي عليه السلام عندما قتلهم معاوية. وهكذا نرى أن توفير الأمن والحماية والسلام لأفراد الدولة والمنتسبين إليها يعد ضرورة حتمية فمهما كان المواطن معارضاً أو كارهاً للحكم ليس للحكومة عليه من سبيل إلا اللهم بأن يقود حرباً مسلحة ضد الحكومة فحين ذلك يجب على الحكومة ردع المتمردين وحفظ كيان الدولة وسيادتها الذي هو حق طبيعي لكل حكومة وبذلك كان المعارضون يلجأون إلى معاوية أو يذهبون إلى أقطار أخرى كالمدينة واليمن إلا أن معاوية حاول إغراء كثير منهم وضمهم إليه عن طريق المال مما سبب بعض الضعف في حكومة الإمام علي، وقد انضوى تحت لواء معاوية كل من كان حاقداً على الإمام^(٢) ومن الذين التجأوا إلى معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب عندما خاف من إجراء القصاص والعقوبة بحقه من قبل الإمام لقتله الهرمزان غلام أبي لؤلؤة قاتل عمر وكذلك مصقلة بن هبيرة الشيباني عامل علي في إحدى خطط فارس وسبب ذلك أن مصقلة كان قد اشترى أسرى الخوارج من جماعة بن راشد السامي ولكنه التوى بما شرطه على نفسه من ثمنهم فلما طالبه بن عباس بأداء الدين قال لو طلبت أكثر من هذا المال إلى ابن عفان

(١) (علي ومناوؤه) الدكتور نوري جعفر.

(٢) نفس المصدر.



ما منعني إياه^(١).

وهكذا نرى صلافة المعارضين على الحكومة وتجروها في القتل والسرقة والارتشاء وغير ذلك فحكومة الإمام كانت صريحة في رفض أمثال هؤلاء من الحقائب الوزارية وإقالتهم حتى وإن التجأوا إلى معاوية الخصم الأول. لأن المعارضة لم تنطلق من رؤية موضوعية في معارضتها بل كانت ميولاً وأهواء ونزوات شخصية على حساب الشعب وهذا ما رفضه الإمام علي عليه السلام؛ لأنَّ همه الأول والأخير هو سعادة الشعب وتوفير القسط الأكبر من العدل والحرية^(٢) بل أكثر من ذلك نرى أمير المؤمنين عليه السلام يحترم حقوق الإنسان السياسية إلى درجة منقطعة النظر عن غيره من الأحكام والرؤساء كعفوه عن الخونة ومنهم (عبيد الله بن الحر الجعفي)^(٣) عندما التحق بجيش معاوية في جوف الليل ذلك حين كانت نيران حرب صفين مشتعلة. وفي قوانين الحروب يعاقب مثل هذا

الخائن بالإعدام واستطاع أن يقدم عبید الله خدمات كبيرة لمعاوية أما زوجته فكانت في الكوفة وتناهى إلى أسماعها خبر هلاك عبید الله في المعركة فاعتدت عدة الوفاة وبعد ذلك تزوجت برجل من أهل الكوفة في الوقت الذي كان عبید الله حياً في الشام وحين أخبر بزواج زوجته خرج من الشام ليلاً ووصل إلى الكوفة ودخلها ليلاً وتوجه فوراً إلى بيت زوجته وبعد حوار قصير أخبرته بزواجها. والتقى عبید الله بأمير المؤمنين منكساً رأسه وعبید الله يعلم أن علياً رجل الحق والعدل فانتهاز الفرصة وقال هل أن خيانتني تمنعك من العدل يا أمير المؤمنين فأجابه الإمام واحضر زوجته وحل له مشكلته الشخصية إن هذا الموقف من حاكم الدولة تجاه أحد أفراد شعبه يعكس مدى عمق الوعي الحقوقي والإنساني تجاه الشعب من جهة علي عليه السلام بل تجاه الأعداء والمجرمين والخونة كل ذلك في سبيل تحقيق العدل والحرية والسلام.

(١) (علي ومناوؤه) الدكتور نوري جعفر.

(٢) علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق.

(٣) الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين.





إن ضمان الحريات في حكومة الإمام علي عليه السلام تعدّ من أهم الركائز التي بنيت عليها الدولة إذ إنّ المواطن يعيش في دولة تضمن للفرد الحرية التعبيرية والنقدية للسلطة والحكومة وقد جاء أن أحد الخوارج سب أمير المؤمنين بقوله (قاتله الله ما أفقهه) وهم أصحابه بقتله فردع أصحابه عن ذلك وأكد لهم القاعدة الشرعية التي تأمر بعقوبة متناسبة مع الجريمة حتى ولو كانت واقعة على رئيس الدولة مع عدم نسيان الحث على العفو فقال: رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب^(١) وفي كلام آخر له يقول (لا تتبع الذنب العقوبة واجعل بينهما وقتاً للاعتذار) إن الارتقاء بهذه الحريات وضمانها للشعب هو جدير أن يكون شعباً يحرص على قائده وحاكمه ولكن لم يكن هذا الشيء بل على العكس كانت نتيجة السب والشتم والقتل من

قبلهم له. إن الإمام كان واثقاً من أن إعطاء الحريات وضمانها للآخرين سوف يعزز الثقة المتبادلة بينه وبين الشعب عموماً والمعارضين خصوصاً وهو بذلك يؤكد على أحقية الإنسان في حرية حركته السياسية وتعبيره الشخصي ولا يقف حائلاً دون إبداء ما يختلج في ضمائرهم وصدورهم ورغبة في تحقيق مجتمع مثالي تسوده الأخلاق والعدل والقانون^(٢).

سادت الفوضى أرجاء المدينة بعد مقتل عثمان، فاتجهت الأنظار والآراء إلى الامام علي عليه السلام؛ وخاطبه كبار الصحابة قائلين: «لا بدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك؛ لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله»^(٣)، وقالوا له أيضاً: «لا بدّ للناس من إمام، ولا نعلم أحداً أحقّ بها منك»^(٤) و«بايع فإننا لا نرضى إلا بك»^(٥) وتحرك الألوّف من المسلمين نحو الامام علي عليه السلام

(١) علي ومشكلة نظام الحكم.

(٢) حامد السعدي / مجلة النبأ الإلكترونية / ١٠ تشرين الأول ٢٠٠٠

(٣) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٠٦. تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٢٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٢٧، ٤٢٩.

(٥) تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٤٤٨.



ليطلبوا منه إمساك زمام القيادة، ولكن الامام عليه السلام رفض هذه المطالبة، وقال لهم: «أيها الناس أنتم مستقبلون أمرآله وجوه، وله ألوان، لا تقوم به القلوب ولا تثبت له العقول، لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به، إني لكم وزير خير من أن أكون أميراً»^(١) وإني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، ألا وإني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه»^(٢) فقبل الخلافة خشية منه على الدين والمسلمين من الفتنة والتمزق^(٣).

وحرص الامام عليه السلام على أن يتلقى بيعته في المسجد، وفي اليوم التالي سار الإمام نحو المسجد تحفه جماهير المسلمين من المهاجرين والانصار وغيرهم، ثم اعتلى المنبر وخاطبهم قائلاً: «يا أيها الناس،

(١) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠. تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٤.

(٢) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٠٦. الامامة والسياسة ج ١، ص ٧٣.

(٣) أنساب الأشراف، ج ٥ ص ٢٢.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ٤٢٧، ٤٢٩. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٥) نهج البلاغة، الكلمة ٢٢٩.

(٦) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٠٧.



في مواقفهم^(١). وهكذا انطلقت الحكومة العلوية وشكّلت استثناءً في تاريخ الحكومات، ويدلّ على هذه الحقيقة، الاهتمام الواسع والكبير الذي أولاه علماء البشرية وحتى غير المسلمين لهذه الحكومة قصيرة العمر، التي لعبت دوراً مصيرياً؛ لذلك تمّت دراستها من أبعاد مختلفة؛ منها ما هو كلامي، وسياسي، وتاريخي، وعسكري وغير ذلك؛ ما أدّى إلى وجود آثار كبيرة وضعت أمام أصحاب الرأي والنظر حولها، سنسلط الضوء على جوانب منها، لا سيما فيما يتعلّق بمنهج الإمام في التعامل مع الآخر.

سياسات الحكم وأسس التعامل مع المعارضين:

الإمام هي امتداد لحكومة رسول الله ﷺ التي حاربت الظلم والبغي، وجاءت بالعدل والمساواة، وضربت الامتيازات الشخصية التي تؤدي إلى احتكار السلطة والمال. ومن هنا فقد عزّ على كثير من أثرياء قريش أن يكونوا على قدم المساواة مع أيّ مسلم آخر من غير قريش، وكذلك عز على كثير من العرب أن يكونوا على قدم المساواة مع أيّ مسلم آخر من غير العرب، وهكذا تولّدت جبهة معارضة في وجه حكومة الإمام علي عليه السلام، تبدّلت أهدافها بسرعة؛ لتعيد التوتّر والاضطراب إلى المجتمع الإسلامي، بل هيئت الأجواء للمواجهة العسكرية، وقد تمثّلت هذه المعارضة ببعض الشخصيات التي كانت قريبة من الحكومة سابقاً، وسنقصر الكلام اختصاراً على حركة كل من الناكثين والمارقين والقاسطين في هذا السياق بملاحظة أسلوب الإمام علي عليه السلام في التعامل معها، وعدم الخوض في كثير من تفاصيلها التاريخية. علماً بأنه قد ورد في أكثر من مصدر

طيلة مدة الحكم التي مارس فيها الامام عليه السلام الحكومة لم يكن مستعداً بأي شكل من الأشكال لتقبل أنصاف الحلول بالنسبة إلى تصفية الانحراف، أو لتقبل أي معنى من معاني المساومة على حساب الأمة، وهذا ما انعكس بشكل جلي في الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والسياسية التي قام بها الإمام. فحكومة

(١) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٩.



إخبار النبي ﷺ لعلّي بن النكثين والقاسطين والمارقين، في العديد من الروايات، منها:

١. الناكثون، وفتنة الجمل:

النَّكْثُ: نَقَضَ مَا تَعَقَّدَهُ وَتُصْلِحُهُ مِنْ بَيْعَةٍ وَغَيْرِهَا. نَكَثَهُ يَنْكُثُهُ نَكْثًا فَانْتَكَثَ، وَتَنَاكَثَ الْقَوْمُ عُهُودَهُمْ: نقضوها^(٤). والمراد من الناكثين هم أهل الجمل؛ لأنهم نكثوا البيعة، واستنزلوا عائشة، وساروا بها إلى البصرة، وهم عسكر الجمل ورؤساؤه.

وهو لقب أطلق على جماعة نقضوا بيعة أمير المؤمنين علياً بقيادة طلحة والزبير وعائشة، فقاموا عليه بجيش جرار، ف وقعت معركة الجمل، وانتهت الحرب بمقتل أكثرهم، وتفرق الجيش، وأسر جماعة من الناكثين، ثم أمير المؤمنين علياً عنهم. ولم تكن للناكثين أية أهداف اجتماعية، وإنما دفعتهم مصالحهم الخاصة لذلك، فقد اتفقت المصادر التاريخية على

- روى الحاكم بإسناده عن عتاب بن ثعلبة: حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن خطاب قال: أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(١).

- وروى الحاكم أيضاً بإسناده عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلّي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالسعات. قال أبو أيوب: قلت يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء الأقسام؟ قال: مع علي بن أبي طالب^(٢).

- وروى البلاذري بإسناده عن حكيم بن جبير قال: سمعت إبراهيم يقول: سمعت علقمة قال: سمعت علياً يقول: (أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)، وحدثت أن أبا نعيم قال

(١) النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) إبراهيم الجويني، فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٨٢.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٩٦.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٥٣.



أن طلحة والزبير كان عندهما رغبة جامحة للوصول إلى السلطة بأي ثمن وأي وسيلة، وهو ما اعترفا به لسعيد بن العاص، عندما سألهما في أثناء سيرهما باتجاه البصرة «إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقائي؟ قالوا: لأحدنا أينما اختاره الناس»^(١). وروي أنهما جاءا يطلبان من الإمام عليه السلام المشاركة في الحكم فلم يتوصلا إلى شيء، فقد سألاه أن يوليها البصرة والكوفة، لكنه رفض قائلاً «تكونان عندي فأتحمل بكما فيني وحش لفراقكما»^(٢).

وأنه رفض اقتراحاً قدمه المغيرة بن شعبة له لتولية طلحة اليمن، والزبير البحرين^(٣). فقالوا: «هذا جزاؤنا من علي، قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وقد كفي الأمر، فلما نال بنا ما أراد فعل دوننا وقدم غيرنا»^(٤) واستغل معاوية

الذي كان يتمتع بسيطرة تامة على الشام، هذه الظروف، فكتب إلى الزبير قائلاً: «لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، أما بعد، فيني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله وخذل مناؤكما»^(٥).

وخفّ الزبير طرباً لهذه الرسالة، وعزم مع طلحة على نكث البيعة والخروج على الإمام عليه السلام، فادعيا أنهما بايعا مكرهين، ولما علما بتحريك السيدة عائشة قررا الالتحاق بها فجاءا إلى الإمام علي عليه السلام ليستأذناه الخروج إلى العمرة. فقال لهما:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١، ص ٢٣٢، ج ١١، ص ١٠، ١٦، ١٧.

(٢) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٠.

(٣) الامامة والسياسة ج ١، ص ٥٤.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١، ص ٢٣١.

(٥) الامامة والسياسة ج ١: ٧٠.



نعم والله ما العمرة تريدان وإنما تريدان أن تمضيا لشأنكما^(١). وروي أنه قال لهما: بل تريدان الغدرة^(٢). وقد تنبّهت عائشة إلى هذه المنافسة، فقالت: «لا تبايعوا الزبير على الخلافة ولكن على الإمرة في القتال، فإن ظفرتم رأيتم رأيكم»^(٣). وأكد الامام علي عليه السلام أن طلحة والزبير قاما بإخراج أم المؤمنين من بيتها، وأنها أقنعاهما بمعارضته^(٤).

كيفية تعامل الإمام علي عليه السلام مع هذه الأحداث، والفتن المعارضة

الصبر واستيعاب الآخرين:

ب. إيقاف ومنع التمزّق في كيان الدولة:

شرح الإمام علي عليه السلام بالاستعداد العسكري والسياسي لإيقاف التمزّق في كيان الدولة بعد إعلان معاوية بن أبي سفيان تمرده على الخلافة، وخروجه على إجماع الأمة، ولكنّ حال دون هذا التحرك وصول خبر

في مقابل ما كان يجري من التطورات في مكة، كان الامام علي عليه السلام حريصاً على وحدة الناس والمجتمع، وعدم تعرّضه للتفكك، والتمسك بالصبر، فقد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١، ص ٢٣٢.

(٢) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٢٩، ٢٦٥.

(٣) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨١. الامامة والسياسة ج ١، ص ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٧٩، ٩٤.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٤٦.

(٥) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٤٦. الفتوح لابن الاعثم، ج ١، ص ٩٣.

(٦) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٤٦، ٤٨٠.

(٧) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٥٦، ٤٨٠.

(٨) الامامة والسياسة ج ١، ص ٧٣. تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٧٨.



خروج طلحة والزبير وعائشة على الإمام إلى البصرة وإعلانهم العصيان، فعدل عما كان يخططه لمعالجة موقف معاوية، وخرج من المدينة في الأيام الأخيرة من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين^(١). بعد أن بلغه توجه عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، وخرج على تعبته التي كان قد تعبى بها إلى الشام من أجل قتال معاوية^(٢).

د. إصلاح ذات البين وتجنب القتال:

ج. الصلاح والرفق أولاً:

لقد حدد الامام عليه السلام أهداف توجهه إلى البصرة، وهو إدراك طلحة والزبير وعائشة، وردّهم^(٣) «فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجّوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدأونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح آثرناه»^(٤) و«أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه... فإن

قبل المواجهة الشاملة في معركة الجمل، بدأ الامام عليه السلام بعد تركز قوات الطرفين في منطقة الخريبة، محاولاته العديدة لتجنب القتال، فكتب إلى عائشة وطلحة والزبير، وأوفد إليهم رسلاً، عسى أن يعودوا لرشدكم ويدركوا خطورة الموقف، مطالباً إياهم بالتعقل ومراجعة أنفسهم،^(٥) وناشد عائشة أن تقر في بيتها^(٦) وطلحة والزبير أن

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٥٥، الاخبار الطوال ص ١٤٤،

(٢) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٧٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٨٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٧٩، ٤٤٥ - ٤٤٦، ٤٨٠.

(٥) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٦٠.

(٦) الامامة والسياسة ج ١، ص ٧٣ - ٧٤.

(٧) أنساب الأشراف ج ٢، ٢٣٩. الفتوح لابن الاثم، ج ٢، ص ١٠٩ - ١١٢.

(٨) الامامة والسياسة ج ١، ص ٧٥، ٧٩. تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٠١.



يتقيا الله^(١) كما دعا طلحة إلى التوبة، وأثب على إخراج عائشة من بيتها^(٢) فقالت عائشة لابن عباس: «لا طاقة لي بحجج علي»^(٣).

هـ. صبر الإمام حتى اللحظة الأخيرة:

بقي الامام عليه السلام حتى اللحظة الاخيرة يطمح إلى أن يرتدع الناكثون عن غيهم، فلم يأذن بالقتل رغم ما شاهد من إصرارهم على المضي في الحرب، فقال لأصحابه: «لا يرمين رجل منهم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكم، وحتى يبدؤكم بالقتال والقتل»^(٤) ولكن أصحاب الجمل شرعوا بالرمي فقتل رجل من أصحاب الإمام، ثم قتل ثانٍ وثالث. ودعا الامام عليه السلام أصحابه إلى عدم البدء في القتال، وإلى ضبط النفس^(٥) بالرغم من مقتل ثلاثة من مقاتليه على أيدي قوات من معسكر طلحة والزبير^(٦).

و. العفو عن المعتدي بعد المعركة:

تسامح الامام عليه السلام تجاه الذين رفعوا السلاح في وجهه، وحرص على عدم معاملتهم بمثل ما عاملوه به، فما ان انقشع غبار المعركة حتى نادى منادي الامام عليه السلام: ألا لا يجهز على جريح ولا يتبع مول ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، وأن لا يؤخذ شيء من أموال أصحاب الجمل إلا ما وجد في عسكرهم من سلاح أو غيره مما استخدم في القتال، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم^(٧).

٢. القاسطون:

كلمة القاسطين في اللغة من الأضداد كما ورد: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، أي: الجائرون من القسوط وهو الجور. والإقساط: العدل. ومنه قوله

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٠٢، ٥٠٩. وقعة صفين، ص ٤٢. الأغاني، ج ١٨، ص ٥٤.

(٢) بحار الانوار، ج ٣٢، ص ١٢٢. والامامة والسياسة، ص ٩٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١١١.

(٤) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٤٠ تاريخ يعقوبي تارثيخ، ج ٢، ص ١٨٢.

(٥) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٢. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٦) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٧٢ و ١٨٣. ومروج الذهب، ج ٢، ص ٣٧١.

(٧) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٤٩ - ٢٥٠. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٣.



تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، وقوله: أقسط عند الله كله، بمعنى العدل^(١). وهولقب أطلق على معاوية بن أبي سفيان وأتباعه من أهل الشام وغيرهم الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام فيه معركة صفين.

كيف تعامل الإمام علي عليه السلام مع معاوية ومن عارضه من الناس؟

أ. محاولة الإمام منع الحرب:

أرسل الامام عليه السلام أكثر من مراسلة إلى معاوية وفتح عدّة قنوات لتجنب الحرب وإعادة معاوية وأهل الشام إلى الجماعة الإسلامية، لكن ردّ معاوية كان هو الحرب وأنه ليس بينه وبين الامام عليه السلام إلاّ السيف^(٢).

ب. أخلاق علي في الحرب:

لما بلغت معاوية أخبار استعداد الامام عليه السلام للمسير إليه، فبدأ بإعداد العدة، وحثّ الناس على التجمع وكتب لأهل

الشام بذلك^(٣)، وسار إلى صفين، واستقر فيها قبل وصول جيش الإمام عليه السلام، وسارع بتحريك قواته نحو أعالي الفرات في وادي صفين لاحتلالها ومنع تقدّم قوات الامام عليه السلام إلى الشام وحبس الماء عنهم. وتحقق له ذلك بسهولة قبل وصول قوات الامام عليه السلام إلى صفين. والتقى الطرفان في سهل صفين قرب الرقة، في شهر ذي الحجة من سنة ٣٦ هجرية^(٤)، في تعبئة واستعداد يظهران حرص كل منهما على حسم الأمور لصالحه بسرعة^(٥) فطلب منه الامام عليه السلام أن يسمح لجيشه بالاستقاء، ولكن معاوية أبى ذلك، وأضرّ العطش كثيراً بأهل العراق وازداد الضغط على الإمام لفك الحصار عن الماء، فأذن بالهجوم على شاطئ الفرات، وتمّ إزاحة قوات معاوية عن ضفة النهر. ولكن الامام عليه السلام لم يقابل أهل الشام بالمثل، ففسح لهم المجال

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٣٧، ٥٤٠،

(٢) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٦٨.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٢. والكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٤) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٧. تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٦٣.

(٥) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٩٩، ٣٠٢. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨.



لأخذ الماء دون معارضة^(١). الصلح^(٣)، فقد كانت خطّته عليه هي

وبعد أن استقرّ جيشه على ضفة الفرات، سادت هدنة مؤقتة بعث خلالها الإمام عليه مندوبين عنه إلى معاوية وهم بشير بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال عليه لهم: «اتتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة».

د. لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم:

بعد فشل كل محاولات الصلح، وكثرت المناوشات بين الجيشين، وفي مطلع شهر صفر من عام ٣٧ هجرية، أصدر الامام عليه أوامره بالاستعداد للقتال^(٥) وأوصى جنوده قائلاً «لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة» ثم قال: «فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل»^(٦).

ج. محاولة جديدة لمنع الحرب والصلح:

ما أن حلّ شهر محرم من عام ٣٧ هجرية حتى حصلت مودعة ووقف للقتال، كهدنة مؤقتة على أمل الوصول إل اتفاق بين الطرفين^(٢) فسادت أجواء الهدوء والألفة والحوار بين المعسكرين، حاول من خلالها الامام عليه التوصل إلى الصلح، ولكن تبين خلال الهدنة عدم مقدرة الطرفين على حسم مواقفهما تجاه

(١) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٣. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد لابن أبي الحديد ج ٣، ص ٣٢٠. والكمال في التاريخ، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٣) أنساب الأشراف ج ٢، ص ٣٠٣، ٣١٢. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٤) الامامة والسياسة ج ١، ص ١١٠. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٨٨.

(٥) تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦١٥. ووقعة صفين، ص ١٩٥.

(٦) تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤، ٢٨ - ٣٠ - ٣٤ - ٣٥، ٤٢، ٤٨.



٣. المارقون، أو الخوارج:

المارقون لغة: مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ مُرَوِّقًا، أي خرج من الجانب الآخر؛ ومنه سُمِّيَتِ الخوارجُ مَارِقَةً، لقوله (عليه السلام): «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١). وهم الخارجون عن متابعة الحق المصرون على مخالفة الإمام المفروضة طاعته ومتابعته المصريحون بخلعه، وهم الخوارج أهل حروراء والنهروان. وهم من شقَّ صف جيش الإمام علي عليه السلام عند فتنة التحكيم ورفع المصاحف في صفين، وخالفوا الإمام حينها وقالوا: لا والله لا نحارب القرآن أبدًا. ولهذا فإن خطر هذه الفئة أكثر من غيرها، كون قادتها وأتباعها من العباد والمتنسكين الزاهدين بحسب الظاهر، وكما يصفهم عبدالله بن عباس: «لهم جباه قرحة لطول السجود، وأيدٍ كنفثات الإبل، الامام عليهم قمص مرخضة، وهم مشمرون». ولأنَّ هدف تحرُّكهم وثورتهم هو القضاء على الظالمين حسب ما ذكروا. وشعارهم لا حكم إلا لله... الرواح الواح إلى الجنة. وقد حدّد

الامام علي عليه السلام صفاتهم، حيث قال: «ثم أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه..»، فالإمام يخاطب أولئك العباد المقدسين الذين نهكتهم العبادة والزهادة بهذه العبارة العنيفة..

ولكن فهم الإمام الواقعي لهم والذي استوجب مخاطبتهم بهذه الصفة، هو أنهم برغم مظهرهم الخارجي فإنهم ليسوا في الواقع إلا وسيلة فعالة بيد الشيطان، وهذا ما يعقّد المواجهة معهم.

سياسة أمير المؤمنين عليه السلام مع الخوارج:

أ. سياسة الإدارة:

لقد عمل المارقون ما في وسعهم لإيذاء الامام علي عليه السلام والإساءة إليه. ولكنه استعمل أقصى حد ممكن من المداواة معهم ما داموا لم يشهروا السيف، حتى أنه لم يقطع حقوقهم من بيت المال، ولم يقيّد حرياتهم. وكانوا يأتون إليه أمام الناس فيتجاسرون في حضرته إلى حد توجيه الإهانات الوقحة إليه، ولكنه عليه السلام كان يعتصم بالحلم ولا يرد الامام عليهم. بل وقال الامام عليه السلام لهم: «لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٦٢٢. ووقعة صفين، ص ٢٠٢.



أن تصلّوا فيها، ولا نمنعكم الفياء ما كانت أيديكم في أيدينا، ولا نبذوكم للحرب حتى تبدؤونا»^(١).

ب. محاولة الإمام ردعهم عن القتال:

تجمّع المارقون عن الدين قرب النهروان بعد أن التحقت بهم مجاميع من البصرة وغيرها، وحاول الامام عليه السلام مراراً ردعهم عن فكرتهم وسعيهم للحرب، فلم يجد فيهم إلا الفساد والجهل والإصرار، بل تمردوا وتمادوا في غيهم، وإذا أخذ أمرهم يستفحل أكثر فأكثر فقد وجد الامام عليه السلام نفسه مضطراً إلى أن يضرب معسكراً في مقابلهم، وكان عددهم قد بلغ حوالي اثني عشر ألفاً، وأصبحوا بشكّلون خطراً جدياً بحيث لا تجوز المهادنة معهم وإرخاء الحبل لهم أكثر من ذلك، وأرسل إليهم ابن عباس مندوباً عنه يناقشهم ويفاوضهم، ولكنه لم يستطع أن يصنع شيئاً معهم وعاد خالي الوفاض.

فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه، وكان حديثه معهم مؤثراً بحيث أن كثيراً منهم ندم على عملهم وطلبوا قبول

توبتهم، فأمر الإمام عليه السلام بنصب راية أمام معسكره، وأعلن أن كل من يأوي من الخوارج إلى هذه الراية فهو في أمان.

وكان الذين رجعوا وتجمّعوا تحت راية الأمان ثمانية آلاف رجل منهم، أمّا الأربعة آلاف الباقون فأصروا على موقفهم وأعلنوا استحالة رجوعهم عن عقيدتهم فعباً جيشه ونصحهم كما هو شأنه في كلّ معركة، ولما انتهى الإمام عليه السلام بعث إليهم رسولاً يطلب منهم قتلة عبد الله بن خباب وقتلة رسوله الحارث بن مرّة، فردوا الإمام عليه السلام عليه مجمعين: كلنا قتلناهم وكلنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم.

ج. بيان عاقبة أمرهم:

خاطبهم الامام عليه السلام بشكل مباشر مبيناً عاقبة أفعالهم عسى أن يرتدعوا فقال لهم: «أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدّها عن الحق الهوى، وطمع بها النزق، وأصبحت في الخطب العظيم، إني نذير لكم إن تصبحوا تلعنكم الأمّة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربكم ولا برهان مبين» ثم بيّن لهم عليه السلام أنه كره

(١) الجوهري، الصحاح ج ٤، ص ١٥٥٤.



المواقف التي تعبر عن شجاعته وحكمته وصبره على امتداد تاريخ الرسالة الإسلامية، إلا أن ما واجهه عليه بعد وفاة رسول الله ﷺ وحتى شهادته عليه، يعبر عن قيادته الحكيمة وأنه يمثل رسول الله ﷺ في قيادة الأمة وحفظ الرسالة. فقد وقف إلى جانب الخلفاء، وحث أصحابه على الحضور في الجبهات والساحات المختلفة إلى جانب الخلفاء. وقدم إنموذج الحاكم صاحب المشروع الإصلاحى المتكامل في الدولة والمجتمع، وحفظ حقوق الناس. ولو لم يكن إلا مواجهة الفتن الداخلية التي فتكت بالمجتمع الإسلامى؛ كفتنة الناكثين والقاسطين والمارقين لكفى، وخصوصاً مواجهته لنكبة الخوارج الفتنة الأكثر خطورة وفتنة في المجتمع الإسلامى.

ففي الموقف الأول عندما واجه قضية الخلافة وقف عليه بشجاعة وتصميم وعزم وصبر إلى جانب مصلحة الإسلام العليا وتنازل عن ذاته وكل وجوده، ليعطي بشجاعته هذه مثلاً رائعاً وهو أن مصلحة الإسلام وكلمته، هي أعظم من كل شيء في هذا الوجود، وأعظم من كل إنسان مهما كان عظيماً كعلي عليه السلام. ويتضح هذا

التحكيم وعارضه، وشرح سبب معارضته بوضوح لهم، ولكنهم أنفسهم أجبروا الإمام علي قبول التحكيم، وأن الحكمين لم يحكما بالقرآن والسنة، وها هو الإمام يعدّ العدة لملاقاة معاوية ثانية، فلا معنى لخروج المارقين، ولم يصغ المارقون لقول الإمام وطالبوه بتكفير نفسه وإعلان توبته، فقال عليه السلام: «أبعد إيماني برسول الله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر؟! لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين».

د. رفع راية الأمان:

وفي محاولة أخيرة أمر الإمام عليه السلام أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية الأمان للخوارج، ويقول لهم: «من جاء منكم إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن.. إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا». فانصرفت منهم مجاميع كثيرة وقال الإمام لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم بقتال.

لقد تربى الإمام علي عليه السلام في مدرسة رسول الله ﷺ، فكان باب مدينة علمه عليه السلام، وخير من اتخذه قدوة وأسوة، ومع كثرة



الضالة - قال عليه السلام: أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن لي جترئ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيبتها، واشتد قلبها^(٢).

وبهذا يكون الإمام علي عليه السلام نموذجاً فريداً في تاريخ الإنسانية ممن يتمكن من مواجهة الفتن الداخلية، وبناء الدولة في العادلة في آن واحد^(٣).

خلاصة واستنتاج

يمكن القول إن استراتيجية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في التعامل مع المعارضة السياسية في مدة حكمه كانت نموذجاً فريداً في القيادة الإسلامية، إذ امتزجت فيها الحكمة بالعدل، والصبر بالقوة عند الضرورة. اعتمد الامام علي نهجاً يقوم على الحوار والنصح في البداية، متجنباً اللجوء إلى العنف أو القوة إلا بعد استنفاد جميع السبل السلمية الممكنة. كان علي يسعى دائماً لتحقيق الوحدة بين المسلمين، مدرّكاً أن تماسك الأمة يتطلب العدل والمساواة بين أفرادها، بغض النظر عن

من موقفه عليه السلام لما جاء المسلمون لمبايعته بالخلافة قبل أن يتولى المسؤولية الأولى في جهاز الدولة الإسلامية الفتية، لتكون أداة لمقاومة مظاهر الحيف والانحراف، ولإرجاع الحقوق إلى أصحابها.

وأما قضية مواجهة الخوارج وغيرهم فهي تحتاج أيضاً إلى شجاعة علي عليه السلام؛ وذلك لأن هؤلاء كانوا من العابدين الزاهدين، والمصلين الخاشعين، الذين كثرت الثغرات والقروح في أيديهم وجباههم من كثرة السجود، فإن هذا الموقف الخطير الذي اتخذته علي عليه السلام للقضاء على هذه الفرقة ومحاربتها - التي كان ينظر الناس إليهم على أنهم من المسلمين ولا سيما وأنهم أهل عبادة وزهادة وقداسة كما هو ظاهرهم - ليس أمراً ميسوراً لشخص آخر غير علي كما يؤكد الشهيد مطهري^(١). لأنه لا يتجرأ أحد من المسلمين على قتل أفراد مسلمين لا يفارق ذكر الله شفاهم - كما كان ظاهر الخوارج مع كونهم من الفرق

(١) الشهيد مرتضى مطهري، من حياة الأئمة الأطهار، ص ٣٦ بتصرف.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص ٣٦

(٣) مركز المعارف للدراسات الثقافية / الشيخ حسن الهادي / ٤ نيسان ٢٠١٧

مواقفهم السياسية. مصلحة الأمة فوق أي اعتبار شخصي أو
سياسي. هذه الاستراتيجية المتوازنة بين
الصرامة في المبادئ والمرونة في التطبيق
جعلت من حكمه تجربة رائدة في إدارة
الخلافات السياسية، وهي تجربة تستمر في
تقديم الدروس والعبر للقيادة الرشيدة في
مختلف العصور.

فقد تميّز علي بن أبي طالب بمرونة
فكرية وقدرة على التكيف مع الظروف
المتغيرة، مما مكنه من مواجهة التحديات
السياسية بحنكة وذكاء. وعلى الرغم ما
واجهه من معارضة شديدة وخلافات
داخلية، بقي ثابتاً على مبادئه، ملتزماً
بمبادئ الشريعة والشورى، واضحاً





الأبعاد الفكرية لمفهوم الولاية عند الشيعة الإمامية

م. سندس معين حسن المشهدي
تدريسية في المديرية العامة لتربية النجف الاشرف
محاضرة في كلية التربية المختلطة / جامعة الكوفة
طالبة دكتوراه في كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد
قسم العقيدة والفكر الإسلامي



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
أمّا بعد:

فبعد مفهوم الولاية من المفاهيم المركزية
في الفكر الإمامي، إذ حظي بموقعية عقائدية
وسياسية وأخلاقية متشعبة تجعله حجر
الزاوية في المنظومة الفكرية الشيعية، وقد
مثل هذا المفهوم مدار جدل فلسفي وكلامي
عبر التاريخ الإسلامي؛ نظراً لتداخله
مع مفاهيم أخرى كالإمامة، والعصمة،
والتكوين، والتشريع.

هدف هذا البحث كشف الطبقات
الفكرية العميقة لمفهوم الولاية الذي يعدّ
جوهرراً للهوية الإمامية، ومن المعلوم أن
مسألة الولاية عاشت في وجدان المسلم
طيلة هذه القرون التي امتدت منذ أن وقف
رسول الله ﷺ في الثامن عشر من شهر
ذي الحجة عام أحد عشر للهجرة آخذاً
بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
معلناً للأمة الإسلامية النصّ الجلي في
إمامته وخلافته من بعده، ومنذ ذلك

الوقت والأمة الإسلامية عاشت مع
الغدير ومفهوم الولاية رمزاً مقدساً يشير
إلى الامتداد الرسالي للولاية الإلهية منحة
السماء إلى الوصي الأكبر أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب عليه السلام، وإلى السلسلة الذهبية
من أهل بيته من بعده الأنوار القدسية
هداة الأمة ومنقذها من الضلالة والتهيه..

إشكالية البحث:

* ما الأبعاد الفلسفية والعقائدية التي
يبنى عليها مفهوم الولاية عند الإمامية.
* كيف تفسر الإمامية العلاقة بين
الولاية التكوينية والولاية التشريعية.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: المفهوم اللغوي
والاصطلاحي للولاية، وأقسام الولاية
والمفاهيم المشتركة مع مفهوم الولاية.
المبحث الثاني: أبعاد وأثر الولاية على
المجتمع الشيعي.

وانتهى البحث بخاتمة توجز أهم ما
توصل إليه البحث من نتائج.

الباحثة

المبحث الأول

التعريف بالإطار العام لمفهوم الولاية

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي

لمفهوم الولاية: -

المعنى اللغوي للولاية: - اشتقت كلمة الولاية من الجذر اللغوي (و ل ي)، وهي مصدر ولي والمعنى الأصلي للكلمة كما ورد في المفردات للراغب الأصفهاني هو أن يكون الشيء إلى جانب شيء آخر بحيث لا يكون بينهما فاصل، أي إذا اتصل شيئان معاً اتصالاً لا فاصل بينهما نقول إن أحدهما يلي الآخر^(١).

و تحمل عدة معاني في اللغة العربية منها:

١ - القرب والنصرة وتدلل على التقارب والمحبة^(٢)، ورد في القرآن الكريم، ﴿أنما وليكم الله ورسوله﴾^(٣).

٢ - الولاية هي القرابة ويقال القوم عليه ولاية يد واحدة يجتمعون في الخير والشر^(٤).

١ - الولاية بمعنى الامارة ومنه عقدت الولاية لفلان.

٢ - الولاية حق تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى.

٣ - الولاية قسم إداري رئيس في الدولة والجمع ولايات أي محافظات.

٤ - الولاية مرتبة إيمانية ينسب فيها ما سوى الله ويفرغ قلبه لله.

وإذا تتبعنا كلمة «ولي» ومشتقاتها في القرآن الكريم نجد أنها قد جاءت في آيات كثيرة وبسياقات مختلفة، وإن كانت لم تخرج عن معناها العام الذي استعملت فيه الحب والقرب والإيمان والنصرة، وقد تفسر بما يخصها أو يقيد بها من

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان داوودي، ط ١، (دار القلم، دمشق، د.ت)، مادة ولي، ص ٥٣٣.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بأبن منظور، ط ١، (دار العلم للملايين، بيروت، د.ت)، ج ١٥، ص ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الفيومي أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط ١، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، ١ / ٦٧٢.

الشرعيّات أو بما يوافق جوها العام الذي وردت فيه. وهذه الكلمة «الولي» هي الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم، إذ وردت بمعان متعددة منها: -

*الولي «اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، وهو بمعنى الناصر والكافي (٢٥)، وقيل:

بمعنى المتوليّ لأمر العالم والخلائق القائم بها، وهو مالك التدبير، قال ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ): من أسماؤه عز وجل: (الوالي) وهو المالك للأشياء جميعها المتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي^(١).

ثانياً: أقسام الولاية في الفكر الأمامي:-

١ - الولاية التكوينية: تعني حقّ الطاعة في مجال التكوين وتسخير الأشياء والموجودات لإرادة صاحب هذه الولاية

(١) الولي والولاية في ضوء الكتاب والسنة، محمد عبد الله البريدي، جامعة الملك خالد، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٧، رجب ١٤٣٠ هـ، ص ١٦.

(٢) التعريفات، الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني (٨١٦ هـ)، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١ م)، ص ٢٤٥.

(٣) أوائل المقالات، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تح: مهدي نجف، ط ١، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، ص ٤٥.

(٤) الحكومة الإسلامية، روح الله الخميني، دروس فقهية ألقاها الإمام الخميني على طلاب علوم الدين في النجف الأشرف، ط ١، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ)، ص ٦٣.



يمكن بسببها من التصرف في الموجودات الخارجية، لكن هذه الولاية على اختلاف مراتبها لا تكون إلا بإذنه تعالى ولا يمكن لأي مخلوق مهما علا شأنه أن يستقل عن الله تعالى في التصرف^(١)، وفي القرآن الكريم إشارة إلى ولاية الله تعالى التكوينية ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾^(٢).

يقول العلامة الطباطبائي: الولاية التشريعية عبارة عن القيام بالتشريع والدعوة وتربية الأمة والحكم والقضاء في أمورها واختلافاتها وبهذا المعنى عدَّ الله تعالى نبيه ولياً للمؤمنين^(٤).

٣ - الولاية العرفانية: الوصول إلى مقام القرب الإلهي بالمجاهدة والعرفان^(٥).

عمد حيدر حب الله عن طريق بحثه في مفهوم الولاية إلى تقسيمها على أربعة جوانب، الجانب الأول: الجانب العرفاني الذي يدرس موقف الولاية في الوجود بتجربة روحية، والجانب الفلسفي: الذي يدرس الولاية وموقعها في خارطة الوجود بتجربة عقلية.

٢ - الولاية التشريعية: وهي قسمان، الأولى: حق التشريع ويراد بها أن النبي ﷺ أو الإمام علي عليه السلام يملكان حق التشريع والمقصود أنهم يملكون حق القدرة على بيان الحكم الشرعي الواقعي الذي يريده الله تعالى^(٣)، والأخرى: هي حق الأمر والنهي ويراد بها أن للولي أن يأمر وينهي

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، تح: حسين النوري، ط ١، (دار الحديث، قم د.ت)، ٢٢٣ / ١.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٣) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي، تح: عبد الحسين محمد علي، ط ١، (مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، إيران، د.ت)، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط ١، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت)، ١٦ / ٦.

(٥) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، حيدر الأملي، ط ١، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م)، ص ٣٣.

والجانب النصي: الذي يدرس مسألة الولاية ودورها في الحياة من جانب الكتاب والسنة، أما الجانب الكلامي: وهو دراسة مسألة الإمامة، إذ يرى أنّها التصقت بموضوع الإنسان الكامل^(١).

٤ - الولاية الاجتماعية: الولاية الاجتماعية أو ما يسمّى (الزعامة) والقيادة الاجتماعية والسياسية، فعلى أساس الآيات القرآنية الحكم مختص بالله تعالى فهو الوحيد من له مقام الولاية على العباد، وهذا يشمل كل أنواع الولايات ومنها الولاية الاجتماعية والقيادية. ولكن لأن الله تعالى - لقصور في العقل البشري - لا يدير هذا العالم إلا بالواسطة لذا فقد أوكل هذا الأمر لبعض البشر وفوضها إليهم ليأخذوا بيد المجتمع نحو التكامل^(٢).

ثالثاً: المفاهيم المشتركة مع مفهوم

الولاية:-

٥ - الولاية التفسيرية: هذا النوع من الولاية بمعنى أن مجموعة من الناس

من المفاهيم المشتركة مع مفهوم الولاية «الإمامة» وقد عرفت من العلماء

(١) الولاية والإنسان الكامل، عرض مبسط مختصر لمفهوم الولاية في رؤية العرفاء المسلمين، حيدر حب الله، تنظيم: سعيد نورا، di.hobboiiah.com.

(٢) الإمامة، الشهيد مطهري، ط ١، (مؤسسة أم القرى، د. مكان، د. ت)، ص ٥٠.

(٣) الشيعة في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، ترجمة: جواد علي، ط ١، (دار الفكر، بيروت، د. ت)، ص ٣١.



بعدة تعريفات منها:

فالإمامة لغة: - من الأم وهو القصد المستقيم والتوجه نحو المقصود وتأتي أيضاً بمعنى التقدم فيقال: أم القوم وأم بهم^(١).

الإمامة اصطلاحاً: اختلف القول في مسألة الإمامة بين الشيعة والسنة في أن الإمامة من المسائل العقائدية أو من الأمور الفرعية فالسنة عندهم أن الإمامة على مستوى الحكومة السياسية والاجتماعية والقول إنها ليست من الشؤون الإلهية فهم يرونها مسألة فقهية بخلاف الشيعة الذين يرون الإمامة أعظم من ذلك فضلاً عما ذكره فهي على مستوى النبوة من حيث الأهمية فهي امتداد للنبوة، ومن أئمة السنة ممن عرف الإمامة أمام الحرمين الجويني (٤٧٨ هـ): الإمامة رئاسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة

والعامة من مهمات الدين والدنيا^(٢).

أما الإمامة من وجهة نظر الشيعة الإمامية فهي تختلف عن نظر أهل السنة، إذ يذهب الإمامية إلى عد الإمامة أمراً إلهياً صادراً عن الوحي ونستعرض مجموعة من تعاريف الإمامية:

١ - الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ): الإمامة هي مشتقة من الأتباع والالتزام هو الاتباع والاقتداء والعمل بعمله والقول بقوله^(٣).

٢ - الشيخ المفيد (٤١٣ هـ): الإمام هو الإنسان الذي له رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي^(٤).

٣ - المحقق الطوسي (٤٦٠ هـ): الإمام هو الإنسان الذي له الرئاسة العامة في الدين والدنيا بالأصالة في دار التكليف^(٥).

(١) لسان العرب، المصدر السابق، ١٢ / ٢٤.

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم، أبي المعالي الجويني (٤٧٨ هـ)، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، ط ٢ (دار المنهاج، د. مكان، ١٤٠١ هـ)، ص ٢٢.

(٣) معاني الأخبار، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، اعتنى به: علي أكبر الغفاري، ط ١، (مطبعة الحيدري، النجف الأشرف، ١٣٧٩ هـ)، ص ٦٩.

(٤) النكت الاعتقادية، محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تح: محمد رضا الحسيني، ط ١، (دار العارف، بيروت، ١٤١٤ هـ)، ص ٢٩.

(٥) تلخيص المحصل المعروف نقد المحصل، نصير الدين الطوسي، تح: عبد الله نوراني، ط ٢، (تهران،

ومن جملة التعريفات نرى أنَّ الصبغة العامة فيها تؤكد على الرئاسة والحكومة كما هو سائد بين أهل السنة، وكذلك النظرة الأولى على تعاريف الإمامة عند الشيعة الإمامية فيظهر أن كلا المذهبين الكلاميين يقدم تعريفاً واحداً مشتركاً عن الإمامة بكونها رئاسة عامة في الدين والدنيا^(١).

١ - الأدلة القرآنية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢)

* آية التبليغ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣)

٢ - الأدلة الحديثية: حديث الغدير «من كنت مولاه فعلي مولاه» (رواه أحمد)^(٤).

حديث الغدير، حديث الولاية الكبرى، حديث إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب تعالى، وهو حديث نزل به كتاب الله المبين، وتواترت به السنة النبوية، وتواصلت حلقات أسانيده

رابعاً: حق الأئمة في الولاية التشريعية:

البعد التشريعي للولاية يعني: السلطة الشرعية الممنوحة للإمام في تفسير النصوص الدينية واستنباط الأحكام وإدارة شؤون الأمة على وفق الشريعة الإسلامية، فأمر التصرف في الدين وأحكامه موكول إلى الأئمة بأمر الله تعالى وإذنه فهم يحللون ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا ولن يشاءوا إلا ما شاء الله تعالى فهم الأعرف بالمصالح والمفاسد في كل

١٣٥٩هـ)، ص ٤٢٦.

(١) المفاهيم المشتركة مع مفهوم الولاية، العتبة الحسينية المقدسة، imamhussain.org.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تح: محمد عبد القادر عطاء، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، مجلد ٢، ص ٦٨.



منذ عهد الصحابة والتابعين إلى اليوم الحاضر، وقد صبَّ شعراء الإسلام واقعة الغدير، في قوالب الشعر، وهو من أحسن ما أثار قرائحهم الشعرية وإليك فيما يلي حاصل تلك الواقعة، وخطبة الأكرم فيها:

أجمع رسول الله ﷺ، الخروج إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به حجته، تلك الحجة التي سميت بحجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام، ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله سبحانه، واشترك معه جموع لا يعلم عددها إلا الله، وأقل، ما قيل إنه خرج معه تسعون ألفاً، وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن، فلما قضى مناسكه وانصرف، راجعاً إلى المدينة، ومعه من كان

* حديث الثقلين: «أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» (رواه مسلم)^(٢)

* حديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(٣)

٣ - الأدلة العقلية: * ضرورة استمرار الهداية الإلهية بعد النبي ص

* حاجة الأمة إلى مرجعية علمية معصومة

* استحالة ترك الأمة دون قيادة شرعية .

(١) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، جعفر سبحاني، ط ١، (المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم - إيران، ١٤٠٩هـ)، ص ٨٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، باب مناقب أهل بيت النبي، مجلد ٦، ص ١٢٤.

(٣) صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب، مجلد ٥، ص ١٩.

المبحث الثاني

الأبعاد الكلامية لمفهوم الولاية عند علماء الإمامية

أولاً: أبعاد الولاية عند الإمامية

من أول مواطن النص على إمامة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، قوله حينما دعا أقرباءه الأذنين وعشيرته الأقربين فقال: (هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) وهو يومئذ صبي لم يبلغ الحلم. وكرر قوله له في عدة مرات: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (إلى غير ذلك من روايات وآيات كريمة دلت على ثبوت الولاية العامة له كآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١). تعتقد الشيعة الإمامية أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا

فيمن يعينه الله هادياً ومرشداً لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه؛ لأنَّ الشخص الذي له من نفسه القدسيَّة استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله ولا يعين إلا بتعيينه، ونعتقد أن «نبي ﷺ نص على خليفته والإمام في البرية من بعده، فعين ابن عمه علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين وأميناً للوحي وإماماً للخلق في عدة مواطن، ونصبه وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم الغدير^(٢)».

وتتجلى مكانة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في القرآن والسنة من خلال آيات قرآنية وأحاديث نبوية، تدعم ارتقاء هذه المنزلة والمكانة وتثبت وجودها، وتؤكد مدى التأخي بين النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام، وتؤكد أن علياً عليه السلام ورث مزايا الرسول ﷺ، ويستنتج منها أن النبي ﷺ كان يمهد لعلي عليه السلام أن يكون موضعه ومكانته بدرجة من العلو لتسلم أية مسؤولية دينية أو غيرها في ضمن الحدود التي تشرطها ثورة الإسلام؛ لأنَّ

(١) سورة المائدة: ٥٨.

(٢) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ط ١، (شبكة الفكر، بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٦٣.



النبي ﷺ كان يرى في علي عليه السلام صورة عنه من حيث سمو الخلق، ونبيل المقصد، وسائر المكارم الأخرى^(١).

اختص الإمام علي عليه السلام بكثير من الآيات القرآنية التي بينت مكانته ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، وتنص هذه الآيات على طهارة وولاية وقرب هذا الرجل العظيم من النبي ﷺ ومن الخلافة ومن أهم هذه الآيات التي نالها الإمام من الله تعالى، هي آية التطهير في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، وكذلك آية المباهلة في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣)، ولقد

ذهب أهل التفسير من جميع المسلمين، إلا أنها نزلت حين خرج الرسول ﷺ بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، لمباهلة نصارى نجران، فعبرت الآية عن الحسن والحسين عليهما السلام بأبناء الرسول ﷺ وعن فاطمة عليهما السلام بنسائه، وعن علي عليه السلام بالنفس وفي ذلك مكانه رفيعة لم ينلها غيرهم) . وكذلك ما نزل في سورة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(٤)، فهذه الآية نزلت بحق الإمام علي عليه السلام وأسرته عندما اطعموا المسكين واليتيم والأسير لوجه الله^(٥).

يمكن تلخيص أبعاد الولاية عند الشيعة الإمامية بما يلي:

(١) العدالة الاجتماعية عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أحمد عدنان عزيز الميالي، رسالة ماجستير فكر سياسي، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م، ص ٧٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، ٦١.

(٤) سورة الإنسان: ٨.

(٥) العدالة الاجتماعية عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المصدر السابق، ص ٧٤.

١ - البعد الإلهي التكويني: الفكرة الأساسية: يؤمن الشيعة الإمامة بأن الولاية ليست مجرد منصب سياسي أو اجتماعي، بل هي منحة إلهية وفضل رباني يختص به الله عز وجل أنبياءه ورسله والأئمة المعصومين من أهل بيت النبي ﷺ. هذه الولاية تشمل القدرة على التصرف في الكون بإذن الله، والعلم اللدني، والعصمة من الخطأ والخطيئة.

ثانياً: أثر الولاية على المجتمع الشيعي :-

تكمن أهمية الولاية في كونها أساساً للنظام الإسلامي يرتكز على مبادئ العدالة والتساوي والأخوة فهي ليست مجرد تعيين لقائد بل تأسيس لمفهوم القيادة بإذن الله، وكانت ولاية الإمام علي عليه السلام منارة للهداية والعدل ورمزاً للوحدة بين صفوف المسلمين، قاومت جميع أشكال الفرقة والتفرقة.

كان لولاية الإمام علي عليه السلام آثاراً إيجابية في المجتمع المسلم تجلت في تعزيز الوحدة والتضامن بين المسلمين ونشر قيم العدل والمساواة^(٣).

٢ - إنَّ من أهم الأبعاد العملية للولاية هو البحث عن الولي الحق الذي يلتزم شرع الله ومنهجه ويحرص على دين الناس وديناهم ويحمي مصالحهم ويدفع عنهم المفساد، وبولاية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام نرى أنَّه أعطى للولاية معناها الحقيقي وأبعادها العملية في القيادة والاقتراد حتى صار مضرب المثل في هذا المجال^(١).

٣ - إنَّ الولاية تعني المرجعية الفكرية،

(١) ينظر: الإمام علي وأبعاد الولاية الإلهية، محمد توفيق المقداد، مركز الإشعاع الإسلامي



تحدث علماء الإمامية حول أهمية الارتباط الولائي بالنبي الأكرم محمد ﷺ وبأهل بيته عليهم السلام وما يترتب على ذلك من فوائد وآثار عملية لها علاقة مباشرة بحياة الإنسان وتحقيق إنسانيته وفي سعيه لعمارة الأرض على وفق التخطيط الرباني وبما يتوافق مع هدف الخلقة.

وسيرتهم ليجد فيها المنقذ من الضلال وليتحرك معها في الخط الإسلامي الأصيل^(١).

ومن الآثار التي خلفتها الولاية على المذهب الشيعي وعلى الفرد والمجتمع بصورة عامة:

١ - على المستوى السياسي جاءت

فولاية الله تعالى هي التي تخرج الإنسان من الظلمات إلى النور فيرعاها الباري في كل مواقع حياته ويهديه إلى الصراط المستقيم.

أمّا ولاية الرسول ﷺ فإن دورها هو تحديد الخط الواضح الذي يلتقي فيه البداية بالنهاية في وضوح كامل يتميز بالصفاء والصدق وينفتح على الحق الذي لا ريب فيه من خلال الإيمان بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

نظرية ولاية الفقيه وهي نظرية تعتمد على مبدأ الجمع بين ما هو ديني وما هو دنيوي ويرفض الفصل بينهما، إذن هذه النظرية من سماتها الجوهرية المعرفة العملية لا تقتصر على المعطيات الدنيوية، بل تعتمد على اعتبارات دينية^(٢).

وبحسب نظرية ولاية الفقيه يكون الفقيه هو الولي على الأمة في عصر غيبة الإمام المهدي عجل.

٢ - على المستوى الاجتماعي: يولد

مفهوم الولاية روحاً جماعية، إذ يعدّ ارتباط المؤمن بالإمام جزءاً من هويته الدينية والاجتماعية، إذ جاء دور الحوزات العلمية والمرجعيات الدينية امتداداً

أمّا ولاية الأئمة عليهم السلام فهم الدعاة إلى الله الأدلاء على سبيله والمرجعيات المعصومة عن الخطأ والانحراف التي يطمئن الإنسان إلى الحق في كلماتهم

(١) مفهوم الولاية في فكر محمد حسين فضل الله، علي حسين مجلة الكلمة، kalema.net

(٢) ينظر: نظريات الحكم والدولة دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي، محمد مصطفى، ط ١، (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨م)، ٢٠٢.

بالشكل الصحيح، فالكل سيعرف حقوقه وواجباته، ومن هنا لا ظالم ولا مظلوم، وخير مصداق لذلك يتجسد في مقولة الإمام عليه السلام الخالدة عن العدالة الاجتماعية العالمية، إن الإنسان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، وهنا علينا الوقوف عند قوله في الدين بشكل مطلق لم يخص قوله بالدين الإسلامي أو المسيحي أو اليهودي وغير ذلك، بمعنى أخوة في التوحيد وإذا كان غير ذلك فقد خلقنا الله من نظير متشابه في الخلقة، هذه دعوته للتسامح الاجتماعي والمساواة في تقبل الآخر وينطلق من التفهم الديني كترية وتهذيب وزرع النفوس الطيبة فكلما ارتقى الإنسان بتعاليمه الدينية كلما وصل إلى مرحلة السمو الاجتماعي. أمّا المحور الثاني فهو السياسة الاقتصادية والتي يمكن أن تعرف بمجموعة من الإجراءات التي تسعى إلى تحقيق التكامل الاقتصادي ومن خلال الاطلاع على سياسة الإمام علي عليه السلام الاقتصادية في أثناء خلافته الرابعة في العهد الراشدي

لولاية الأمة مما يعزز دور العلماء في قيادة المجتمع.

٣ - على المستوى الثقافي: تعدّ ثقافة الولاية كحب أهل البيت واتباع تعاليمهم عاملاً رئيساً في الحفاظ على التراث الشيعي.

٤ - على المستوى الروحي والنفسي: يعطي الإيمان بالولاية الشيعة شعوراً بالحماية الإلهية خاصة في الأزمات^(١).

٥ - التربية والهداية: استخدام المعصوم عليه السلام للقدرة التكوينية الممنوحة له قد يتم بطريقة غير مباشرة لتوجيه الأفراد نحو الحق والعدل وإثبات أن الله تعالى قريب من عباده من خلال أوليائه لقوله تعالى: ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾^(٢).

وبالنظر إلى منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في العدالة الاجتماعية نراه ينقسم إلى محورين، الأول: هو التربية الدينية المؤمنة بالفرد والمجتمع، والآخر: السياسة الاقتصادية الناجحة، أمّا المحور الأول فإذا تم التأسيس للتربية الدينية

(١) آثار الولاية التكوينية، أحمد الكعبي، مركز الصدر العقائدي، alrasd.net.

(٢) سورة الطلاق: ١٢.



هذا وذاك، وغيرهما مما صدر منه ﷺ، في ظروف مختلفة، حول ولاية الإمام، تهيئة للأذهان، للإعلان الرسمي لهذه الولاية أمام الجموع الهائلة، ليقف عليها القريب والبعيد، والحاضر والبادي، فقام بإبلاغ ذلك في ذلك المحتشد العظيم، وأخذ منهم الإقرار والاعتراف، وهنا الصحابة علياً ﷺ، بهذه المكرمة الإلهية، فكان هذا إعلاناً رسمياً، للأمة جمعاء، لا يصح لأحد إنكاره، والتغاضي عنه^(٢).

الأمر الثاني: سند الحديث وتواتره:

إنَّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة من عصر الرسول الأكرم إلى يومنا هذا، يقف عليه من سبر كتب الحديث والتاريخ والسير والكلام والتفسير وغيرها. وما ربما يصدر من كلمات حول الحديث من أنه من أحاديث الآحاد فهو كلام صدر من المغرضين ورماة القول على عواهنه، من غير تدبّر وثبت إن كتب الإمامية في الحديث وغيره، مفعمة بإثبات قصة الغدير والاحتجاج بمؤداها. فمن

أرى أنَّها تقترب ما نستطيع تسميته الآن بالمنهج الاقتصادي الاشتراكي الساعي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية على قدم وساق من خلال عمله ﷺ المساواة في العطاء بين العرب و الموالي أو دعم الفقراء أو صيانة بيت المال أو إلغاء تقريب أقرباء الخلفاء السابقين من الشؤون المالية^(١).

ثالثاً: الإمام علي ﷺ والاحتجاج بولايته:

أجمعت الأمة على تواتر الأحاديث التي تثبت ولاية أمير المؤمنين ﷺ ومنها حديث الغدير، فلا نجد حديثاً يبلغ درجته في التواتر والتضافر، ولا في الاهتمام نظماً ونثراً. والاحتجاج به على إمامة علي ﷺ يتحقق ببيان الأمور الآتية:

الأمر الأول: البلاغ الرسمي للولاية

إنَّ النبي الأكرم أشاد بولاية علي ووصايته، في حديث يوم الدار، في مجتمع محدود، لا يربو عددهم الأربعين. وأشاد بخلافته عند توجهه إلى تبوك، أمام جماعة من الصحابة والمهاجرين، وكان

(١) العدالة الاجتماعية في فكر الإمام علي بن أبي طالب ع، عدي حاتم المفرجي، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢١م، uokerbala.edu.iq.

(٢) الإلهيات، المصدر السابق، ص ٨٥.

الأمر الثالث - دلالة الحديث

إنَّ دلالة الحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين، دلالة واضحة، لم يشك فيها أي عربي صميم، عصر نزول الحديث وبعده إلى قرون، ولم يفهموا من لفظة المولى سوى معنى الإمامة، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء إلى أن ولد الدهرُ إمام المشككين، فجاء بتشكيكات، كسائر تشكيكاته، التي تاب منها عند احتضاره، والدلالة مركزة على أن لفظ المولى نصّ فيما نثبته من الإمامة بالوضع اللغوي، أو بالقرائن المتحفة به. وعلى كلا التقديرين، يكون الحديث حجة قاطعة في الإمامة، ونحن نسلك كلا الطريقتين^(٣).

الأمر الرابع: الدليل العقلي:

لا يُعقل أن يترك النبي ﷺ الأمة من دون تعيين خليفة يوضح لها أمور الدين خاصة مع وجود نصوص كثيرة تؤكد أن الإمامة استمرار للنبوة في الحفظ والهداية، الإمام علي عليه السلام كان أفضل الصحابة علماً

مسانيد معنعة إلى مُنبَتِ أنوار النبوة، إلى مراسيل أرسلها المؤلفون إرسال المسلم، وحذفوا أسانيداً لتسلم الفريقين^(١).

وأما المحدثون وغيرهم من أهل السنة فلا يتأخرون عن الإمامية في نقل الحديث والقول بصحته، والركون إليه، والتصحيح له، والإذعان بتواتره إلا شُذَّاذ تنكبوا عن الطريقة، وقد ألف غير واحد من علماء الإسلام كتباً مستقلة، فلم يقنعهم إخراجهم بأسانيد مبثوثة في الكتب، فدوّنوا ما انتهى إليهم من أسانيد، وضبطوا ما صحّ لديهم من طرقه، كل ذلك حرصاً على أن تتطرق يد التحريف إليه، منهم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. صاحب التاريخ والتفسير المعروفين) ت ٢٢٤ - م (٣١٠)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة (م ٣٣٣)، وأبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميمي البغدادي (م ٣٥٥) وغيرهم^(٢).

(١) الإلهيات، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٢) الإلهيات، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٠.



الأمر السابع: استمرار النبوة بالإمامة:

الإمامة امتدادٌ للنبوة في حفظ الدين وقيادة الأمة، فلا يعقل أن يترك الله الأمة بعد النبي ﷺ من دون إمام معصوم يمنع التحريف والانحراف، العقل يقتضي أن من يكون حجة الله على خلقه يجب أن يكون معصوماً كالنبي ﷺ، وهذا ينطبق على الإمام علي عليه السلام^(١).

وشجاعةً وتقوى، فمن المنطقي أن يكون هو الخليفة بعد النبي^(١).

الأمر الخامس: الشواهد التاريخية:

مواقف الإمام علي عليه السلام في خدمة الإسلام منذ بداية الدعوة، كونه أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال.. مشاركته في جميع الغزوات مع النبي ﷺ وكونه بطل الإسلام.. إجماع أهل البيت عليهم السلام وأصحاب النبي ﷺ على فضله وإمامته^(٢).

الأمر السادس: أفضلية الإمام علي عليه السلام

في الصفات:

يشترط في الإمام أن يكون الأعلم والأتقى والأشجع، وقد ثبت عقلاً وتاريخياً أن الإمام علياً عليه السلام كان أفضل الصحابة في هذه الصفات العلم كان مرجعاً للصحابة في الفتوى والقضاء حتى قال عمر بن الخطاب: (لولا علي هلك عمر)^(٣).

(١) الدليل العقلي على إمامة علي، علي الحسيني الميلاني، مقالة مركز الإشعاع الإسلامي، islamu.com.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الدليل العقلي على إمامة علي، المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه.

الخاتمة

أبرز النتائج:

- ١ - الولاية تمثل الحجر الأساس في نظرية الإمامة، إذ تجمع بين القيادة الدينية والزعامة الدنيوية.
- ٢ - الجذور النصية للإمامة أثبتت وبأدلة قرآنية ونصوص شريفة الولاية وأيضا الحجج العقلية التي أكدت على ضرورة وجود معصوم لضمان استمرارية الهداية بعد النبي.
- ٣ - مفهوم الولاية الأثر الكبير في البناء الاجتماعي الشيعي حيث أصبح الإمام هو المرجعية المطلقة في الدين والدنيا.
- ٤ - تكمن أهمية الولاية في كونها أساسا للنظام الإسلامي يركز على مبادئ العدالة والتساوي والأخوة فهي ليست مجرد تعيين لقائد بل تأسيس لمفهوم القيادة بإذن الله، كما كانت ولاية الإمام علي عليه السلام منارة للهداية والعدل ورمزا للوحدة بين صفوف المسلمين، قاومت جميع أشكال الفرقة والتفرقة..
- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتغفر بفضل الزلات والصلاة والسلام على الرسول الأكرم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد:
- فها أنا أخط رحلي بعد جولة علمية مباركة عشتها مع دراسة موضوع «الأبعاد الفكرية لمفهوم الولاية عند الشيعة الإمامية»
- وفي ختام هذا البحث المتواضع يتضح أن مفهوم الولاية في الفكر الأمامي ليس مجرد فكرة عابرة، بل هو أصل عقائدي راسخ ومنظومة متكاملة تجمع بين البعد الغيبي والواقع العملي الاجتماعي والسياسي.



قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

*الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، جعفر سبحاني، ط ١، (المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم - إيران، ١٤٠٩هـ).

*الإمامة، الشهيد مرتضى مطهري، ط ١، (مؤسسة أم القرى، د.مكان، د.ت).
*التعريفات، الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني (٨١٦هـ)، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م).

*الحكومة الإسلامية، روح الله الخميني، دروس فقهية ألقاها الإمام الخميني على طلاب علوم الدين في النجف الأشرف، ط ١، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ).

*الشيعة في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، ترجمة: جواد علي، ط ١، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ).

*العدالة الاجتماعية عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أحمد عدنان عزيز الميالي، رسالة ماجستير فكر سياسي، جامعة بغداد.

*الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، تح: حسين النوري، ط ١، (دار الحديث، قم، د.ت).

*المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الفيومي أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط ١، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

*الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط ١، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت).

*النكت الإعتقادية، محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تح: محمد رضا الحسيني، ط ١، (دار العارف، بيروت، ١٤١٤هـ).

*الولي والولاية في ضوء الكتاب والسنة، محمد عبد الله البريدي، جامعة الملك خالد، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٧، رجب ١٤٣٠هـ.

*أوائل المقالات، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تح: مهدي نجف، ط ١، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

*تلخيص المحصل المعروف نقد المحصل، نصير الدين الطوسي، تح: عبد الله نوراني، ط ٢، (تهران، ١٣٥٩هـ).
*لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بأبن منظور، ط ١، (دار العلم للملايين، بيروت، د.ت).

*جامع الأسرار ومنبع الأنوار، حيدر الأملي، ط ١، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٣م)..
*مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، ط ١، (دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت).

*شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي، تح: عبد الحسين محمد علي، ط ١، (مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، إيران، د.ت).
*معاني الأخبار، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، اعتنى به: علي أكبر الغفاري، ط ١، (مطبعة الحيدري، النجف الأشرف، ١٣٧٩هـ).

*صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب..
*مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان داوودي، ط ١، (دار القلم، دمشق، د.ت).

*نظريات الحكم والدولة دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي، محمد مصطفى، ط ١، (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨م).
*صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، باب مناقب أهل بيت النبي.

*عقائد الإماميّة، محمد رضا المظفر، ط ١، (شبكة الفكر، بيروت، ٢٠٠٧م).
*غياث الأمم في التياث الظلم، أبي المعالي الجويني (٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد العظيم محمود الديب، ط ٢ (دار المنهاج، د.مكان، ١٤٠١هـ).

شبكة الانترنت والمعلوماتية: -

*آثار الولاية التكوينية، أحمد الكعبي، مركز الصدر العقائدي،



*الولاية والإنسان الكامل، عرض
محمد توفيق المقداد، مركز الإشعاع
الإسلامي،
سعيد نورا،
www.islam4u.com..

di.hobboiiah.com.

*الدليل العقلي على إمامة علي، علي
الحسيني الميلاني، مقالة مركز الإشعاع
الإسلامي،
islam4u.com..

*صحيفة الميسرة، أهمية الولاية في
الإسلام ودورها في توحيد الأمة،
almasirahnews.com..

*مفهوم الولاية في فكر محمد حسين
فضل الله، علي حسين مجلة الكلمة،
kalema.net.

*العدالة الاجتماعية في فكر الإمام علي
بن أبي طالب ع، عدي حاتم المفرجي،
جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم
الإنسانية، ٢٠٢١م،
uokerbala.edu.iq..

*المفاهيم المشتركة مع مفهوم الولاية،
العتبة الحسينية المقدسة،
imamhussain.org..





(الإمارة المتفرّدة في عهد
خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
والدروس الاعتباريّة فيها).

د. بيان العريض



كلية دجلة الجامعة الأهلية
قسم الإعلام



مدخل:

البحث محاولة لإلقاء ضوء كاشف على جانب من جوانب (الإمارة المتفردة) لأمر المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ونعني بها مدة الحكم الإداري للدولة الإسلامية في ظلّه لسنوات قصار، مثلت منعطفاً ومرتكزاً لتصحيح كثير من المسارات والاتجاهات في حياة الأمة الإسلامية، فهذه الإمارة بحدّ ذاتها كانت جبلاً شاهقاً ما بين منحدرين سحيقين، وسبيكة متنافرة عما سبقها ولحقها من فترتي الحكم.

ولما كانت العقول والأقلام قد أبحرت في عوالم أبي الحسن عليه السلام ما شاء لها الإبحار والتجذيف، في أفعاله وأقواله، وخطبه ومواقفه، وحكمه وأعاجيبه، ونصحه ومغيباته، وحروبه ومسلماته. إلا أن النزر اليسير من تسيطر كتب التاريخ والسرد هذه قد أشارت إلى بيت الإمام وأهله، ومعاملاته معهم ومعاملاتهم مع من حولهم بعد أن اضحى (رب البيت) حاكماً للدولة والمتصرّف في شؤونها.

فتولى الحكم في دولة اتّسعت رقعتها الجغرافية، وأصبحت قوة عالمية آنذاك، كان لا بد من أن تظهر آثاره في الحياة الأسرية للحاكم، ولاسيما أن هذا الأثر قد ظهر بينا على فترتي الحكم التي سبقتها والتي جاءت بعده، فهل ظهرت المتغيرات على نمط الحياة في بيت الإمام علي عليه السلام؟ وهل ترك بعده الحاكم تركة الآخرين؟.

يقسم البحث إلى ثلاثة أقسام:

الأول تحت عنوان الإمام علي عليه السلام في الكوفة، والثاني الإمام علي عليه السلام في أهل بيته، والثالث الإمام علي عليه السلام وأهل بيته وأهل الكوفة.

مع نتائج وخاتمة.

الإمام علي في الكوفة:

هذا بحث أحسبه جديداً في طرحه؛ لأنّه يستكشف حقبة حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتوليّه إمارة المسلمين من خلال روايات تعامله مع أهل بيته في الكوفة وظروفهم المعيشية التي حافظت



على خصائصه الإيمانية ولم يعتريها التبدل والانجرار إلى غواية المنصب والجاه وإغداق الدينار عليهم من خيرات دنيوية. فهل رافقت عائلة أمير المؤمنين عليه السلام ربهما في رحلته إلى العراق أم جاءت بعده؟ ومن كان معه في الكوفة من أزواج وأبناء واصهار؟ وكيف تعاملات هذه الاسرة في سيرتها الحياتي مع عدل الإمام المتناهي مع ذاته والآخرين؟

المؤمنين وسيرة إلى البصرة ثم الكوفة) (١)، وفي الأصل أن الإمام عليه السلام لم تكن وجهته إلى البصرة أو الكوفة بل إلى الشام: (قد ذكرنا فيما تقدم تجهيز علي إلى الشام فبينما هو على ذلك اتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عرفوا عليه فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم.....) (٢).

وحتى بعد ان قرر الإمام علي عليه السلام تغيير خط سيره من الشام إلى البصرة فإنه في حملته هذه كان يريد أن يلحق بطلحة والزبير قبل وصولهما البصرة وقرعهم لطبول الحرب: (فلما أراد على المسير إلى البصرة، كان يرجو ان يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما إلى البصرة أو يوقع بهما فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس، وعلى مكة تمام بن العباس، وقيل: أمر على المدينة سهل بن حنيف، وسار على المدينة في بغيته التي نصبها لاهل الشام اخر شهر ربيع الاخر سنة ست وثلاثين...) (٣).

لقد بخل التاريخ ومصادره في إغناء الجانب الاجتماعي من حياة الإمام بعد وفاة سيدة نساء العالمين مولاتنا الزهراء عليها السلام، فلا تكاد نعثر إلا على بضع روايات منتشرة وخطب أو حكم وأقوال مقتضبة في أثناء سرد وقائع الحروب وألمحت التي خاض غمرها سيد الأوصياء عليه السلام.

والمرجح أن الإمام علياً عليه السلام قد خرج إلى الكوفة ثم لحقت به عائلته بعد أن استقر فيها، فمجريات الأحداث تدل على ذلك.

ذكر ابن الاثير في كامله (بيعة أمير

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ...، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م، ص ٩٨

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٣

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٣

وفي نظرة فاحصة لمجريات الأحداث المتلاحقة بين قتل خليفة في المدينة وتنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين وخروج طلحة والزبير من مكة إلى البصرة ورفع معاوية راية الثأر والعصيان في الشام ورفع بعض الأمصار استقبال ولائها الجدد ما كان يمكن لسيد الأوصياء أن يزج بعائلته في هذا الركب المدجج والمتجه إلى أكثر من وجهة لإعادة الأمور إلى نصابها.

وأطلق الإمام علي عليه السلام على قصر الإمارة لفظ «قصر الخبال» عند دخول مدينة الكوفة في ١٢ رجب ٣٦ هـ فقليل له أي القصرين نترك لك؟ قال: قصر الخبال لان تنزلونيه^(٢). وقد أراد عليه السلام النزول في الرحبة^(٣). وتقع في الجهة الغربية من دار الإمارة وقد عرفت فيما بعد باسم «رحبة علي»^(٤). إنَّ مَدَّةَ إقامة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة تميزت بانعطاف ملحوظ في كلِّ شؤونها الإداريّة والماليّة والاجتماعيّة، وبعد ان وصل سيد الاوصياء إلى

(١) المصدر نفسه، ص ١١٤، في الطبري «سبعائة»

(٢) حولية الكوفة، دورية سنوية محكمة تصدر عن امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به، ع ٢٤، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م، ص ١٩ / نقلا عن نصر بن مزاحم: وقاعة صفين، ص ٦

(٣) المصدر نفسه، نقلا عن الدينوري: الاخبار الطوال، ص ١٥٢

(٤) نقلا عن اليعقوبي، البلدان، ص ٧٥



والإمام علياً عليه السلام ينظر إلى أفراد المجتمع وإلى الخلق أجمع نظرة مغايرة لما يراهم سواه، هو يراهم كما يراهم النص القرآني والسنة المحمدية.. سواسية كأسنان المشط، لا فرق ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وهم عنده عند (مقياس التقوى) يتبادلون بالقرب والبعد والاثرة؛ لأنهم حينما تعزتهم خبث السرائر يصبحون متسابقين في مضمار الحياة بوسائل أخرى غير وسائل الخير التي نص عليها رب العباد.

لقد احتفظ سيد الأوصياء عليه السلام بخصائصه الربانية منذ كان أول اللاحقين بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شهادة واتباعاً وحتى خاتمة وجوده الطاهر استشهاده، فعلي مع الرسول هو ذاته علي ما بعد الرسول ولم يعط الدنيا من هواه ذرة اشتهاه وهي التي ارتمت بين يديه صاغرة فبقي مبارزاً لا يحد (اغربي عني، فوالله لا اذل لك فتستذليني، ولا أسلسي لك فتقوديني. وايم الله - يمينا استثنى فيها بمشيئة الله - لا روضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعموماً، وتقنع

ولقد حظيت هذه المدينة بولي أمر جذر في وجودها الحضاري جل معالم الانفتاح والرقي والعدالة والاخذ بمبادئ العلوم والمفاهيم الإنسانية.

وجاء التحاق أسرته به ليؤكد من خلال التفاصيل ونهاره معهم أن إمارة سيد الأوصياء لا تشبه بوجه من الوجوه أي إمارة سبقتها أو جاءت بعدها.

إن أثر وجود الإمام علي عليه السلام في حياة الكوفيين والمسلمين عامة قد ظهر جلياً في سيرته العادلة وتفقده لأحوال رعيته في المسجد والمعسكر والأسواق وبيت المال... ولقد سطرت الأقلام لمآثر تلك السنوات القصار واكثرت..، ولكن لم تصل إلى جرف غاية علي بن أبي طالب في بناء الدولة الإنسانية.

فما الإنسان -الفرد في المجتمع- عند أبي الحسن عليه السلام؟

انظروا إلى خطبته في وصف الدنيا:

(وإنما أنتم إخوان على دين الله، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر، وسوء الضائر فلا توازرون ولا تناصحون، ولا تبادلون ولا توادون!!) (١). لنجد أن

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ط ١، مطبعة الإقامة، ص ٢٢١



بالملاح مآدوما، ولأدعن مقلتي كعين ماه نصب معينها، مستفرغة دموعها. اتملئ السائمة من رعيها فتبرك؟ وتشبع الربيضة من عشها فتربض؟ ويأكل على

من زاده فيهجع، قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية!)^(١).

إن قدرة الإمام علي عليه السلام على الانفلات من حبائل الدنيا ليس ظرفا زمنيا أو مكانيا أو حدثا وقتيا يتحول عنه.. بل

قدرة ربانية في كشف مستور ما انطوت عليه من غرور وتغدير بضحاياها، ويذهب الإمام ابعده من ذلك همة فيقسم صادقا: (والله لو كنت شخصا مرثيا، وقلبا حسيا، لاقت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني، وامم القيتهم في المهاوي، وملوك اسلمتهم إلى التلف، واوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر)^(٢).

إن علي بن أبي طالب عليه السلام على بينة

من امره فهو يحاكم نفسه ويحكم من حوله ويذهب به الايمان والرغبة في تحقيق العدالة إلى محاكمة الدنيا، ولكن هيهات فالدنيا ليست شخصا مرثيا.

وعلي بن أبي طالب لا يعظ الاخرين، ولا يدعو إلى طاعة، ولا ينهى عن معصية الا بعد أن يطبق ذلك عمليا^(٣). اسمعه يقول: (أيها الناس إني والله ما احثكم على طاعة الا اسبقكم اليها، ولا اناهكم عن معصية الا اتناهى قبلكم عنها).

ومن هنا يتضح كم كان نهج علي عليه السلام امرا صعبا مستصعبا لا يستطيع أي فرد ان ينهجه بيسر ولين لولا توفيق الباري، وهو كان على امتداده الإنساني وتخطيه للزمان والمكان، هو علي بن أبي طالب ذاك الانسان الكوني المتوحد في ذاته والمتناقض عن مغايرات عصره وصروف أيامه.

ففي البيت كما في المسجد، كما في معسكر الحرب.. لن يختلف الإمام علي في قوله أو فعله؛ لأن البشرية عنده سواء

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٢ ٨٣

(٢) المصدر نفسه.

(٣) يونس رمضان، بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣، ص ٤٨٦.



وتعامله مع البعيد أم القريب، لن يختلف مقدار شعرة في النصيحة والعطاء والإثراء. فمن ولادته في مكة، وهجرته إلى المدينة، وذهابه إلى البصرة، واستقراره في الكوفة عاصمةً للخلافة حيث استشهاد، كانت حدوده الوجود الإنساني كله، فمفهوم وحدة الأمة عنده من مفهومه لوحدة الإنسانية، إذ قال: (فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ). وتعامله مع الرعيّة توجزها كلمات ووصف ضرار الضبائي له عند معاوية: (وكان كأحدنا يخبينا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبئناه، ونحن والله مع تقرّبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، وهو يعظم أهل الدين، ويقرب المسكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله) ^(١).

هذا حاله مع رعيته، أمّا وصف حاله في أهل بيته فقد أوجزه ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس جلسة العبد، ويأكل أكلة العبد، ويطعم الناس خبز البر واللحم، ويرجع

إلى أهله فيأكل خبز الشعير بالزيت أو بالخل، ويشتري القميص من الكرابيس السنبلاقي، ويعطي خيها لعلامه قنبر، فيلبس رديها، فإذا جاوز أصابعه وكعبه قطع. وما ورد عليه أمران قط كالأهملما رضاء الله إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولا نزلت برسول الله ﷺ شديدة قط إلا وجهه فيها ثقة به. ولقد ولي قرب خمس سنين، فما وضع أجرة على أجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أورث بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يتاع لأهله بها خادماً، ولقد كان يعمل عمل رجل كأنه يقطر إلى الجنة والنار، ولقد أعتق ألف مملوك من ماله الذي مجلت فيه يده، ويعرق فيه جبينه التمس وجه الله عز وجل ورضائه ^(٢).

فلم يعرف التاريخ ولي أمر مسلم أو غير مسلم له ما لعل عليه السلام من خصائص أضفت على الخلافة والإمرة الشيء الكثير ولم تزينه بأي من مزاياها، وانظر إلى تاريخ الخلفاء قبله فنجد إطلاق يد آل الحاكم وحملهم على رقاب الناس،

(١) القندوزي، ينباع المودة، ج ٢، مكتبة العرفان، ط ٢، صيدا، ص ٤١

(٢) القندوزي، ينباع المودة، ج ١، ص ١٤٥



وانتشرت في الإمرة بعده كل صنوف الأثرة والأنانيّة والاحتكار وضرب بمبدأ المساواة والتوحيد عرض الحائط ^(١).

ومن وصف الإمام الصادق عليه السلام يستوقفنا أمر رغبة أمير المؤمنين عليه السلام بابتياح خادماً لأهله، وهذه الرغبة كانت في أيامه الأخيرة قبل مقتله الشريف، وهذا يعنى أن أسرة الحاكم بأمر المسلمين لم يكن لها خادم طوال مدة الخمس سنين في الكوفة، وهي عائلة كبيرة وسنأتي على ذكر تفاصيل الأمور لاحقاً.

أمّا من هو قائل أن فضة خادمة الزهراء عليها السلام قد بقيت مرافقة لأسرة علي عليه السلام بعد وفاة مولانا فاطمة عليها السلام فإنها لم تعد خادمة بل أضحت واحدة من أفراد هذه الأسرة المحمدية وهكذا عوملت طوال وجودها في كنف أمير المؤمنين ^(٢).

فهل أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام أهل بيته بمثل الشدة التي أخذ بها نفسه؟

كان الإمام علي عليه السلام يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل الباري عن وجل: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيتيمًا وأسيرًا﴾، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ^(٣).

وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية ^(٤)، فأنزل فيه: ﴿الذي ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية﴾ ^(٥)، وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها، وهو الذي قال: يا صفراء ويا بيضاء غري غير، وهو الذي لم يخل ميراثاً، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام ^(٦).

(١) للمزيد ينظر: كتاب * الفتن الكبرى للدكتور له حسين.

(٢) بيان عبيد العريض، نساء في مصر الإمام الحسن عليه السلام، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، مراجعة قسم الشؤون الفكرية والثقافية ف العتبة العباسية المقدسة، ط ١، كربلاء، ص ١٨٣ وما بعدها.

(٣) سورة الإنسان: ١٠٩.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ص ٤٧.

(٥) سورة البقرة ٢٧٤

(٦) ابن أبي الحديد، في شرحه، ص ٤٧.



هو سيد المتقين والعابدين، فلقد ضرب المثل في حسن خلقه، فكان بشر الوجه، مع طلاقة المحيا والتبسم^(١).

وقد قال معاوية لقيس بن سعد: (رحم الله أبا الحسن، فلقد كان هشاً بشاً، ذا فكاهة. فقال قيس: نعم، كان رسول الله ﷺ يمزح ويتبسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسواً في ارتغاء وتعييه بذلك؟ أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طعام أهل الشام)^(٢).

وهنا علينا أن لا نغفل عن واقع حال الظرف المعاشي الذي عاشته أسرة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة تحت كنفه وقد رافقته طوال حياته في أقصى الظروف الاجتماعية والسياسية التي حفلت بها أيام الإمام يوماً بيوم، قال العقاد في كتابه عبقرية الإمام: (أمّا معيشة علي في بيته بين زوجاته وأبنائه فمعيشة الزهد والكفاف، وأوجز ما يقال فيها أنه كان يتفق له أن

فعلي بن أبي طالب سيّد الزهاد في الدنيا، وأهل بيته أولى باتّباعه في طبعه وطباعه، وهو الذي ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً، إنّ عدالة الإمام علي عليه السلام في سيرته الدنيوية بين العباد، كانت امتداداً لتطبيق عدالته في محيط أسرته وعائلته ما بين زوجاته وأولاده، لذا لم يذكر لنا التاريخ أي واقعة أو حادثة تذكر لإحدى زوجات الإمام علي عليه السلام في حياته أو بعد مقتله واستشهاده تشير إلى اختلافهن أو تنافسهن أو عدم رضاهن تحت أي ظرف حياتي يومي، ما يظهر بشكل جلي أن تعامل أمير المؤمنين مع أهل بيته قد جسد خلاصة معالم الأسرة المسلمة في تماسكها وصونها لخصوصيات ودقائق أمورها العائلية.

إنّ شدة محاسبة سيد الأوصياء عليه السلام لنفسه وخشيته من الله تعالى، لا تعني قسوته وجفاف نبعه الإنساني في تعامله مع أهل بيته، كما قد يتوهّم بعضهم من المطلعين على سيرته، فإن كان أبو تراب

(١) محمد علي الأنصاري، أهل البيت عليه السلام إمامتهم / حياتهم، مجمع الفكر الإسلامي، ط ١، مطبعة شريعة، ١٤٢٤ هـ، ق، ص ٢٣٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ص ٢٥.



يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، وأن واحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أفل من النصيب الذي مات عنه، وهو خليفة المسلمين (١).

الإمام علي عليه السلام في أهل بيته.. في الكوفة

بعد أن استقر الإمام علي عليه السلام في الكوفة واتخذها مقراً وعاصمة للدولة الإسلامية التحقت به عائلته وعوائل أصحابه ممن كان في المدينة بعد أن جاءها نية أمير المؤمنين عليه السلام بعدم الرجوع إليها، والحق أن معظم أهل المدينة قد شعروا بأن خروج الإمام من عندهم لن يعقبه عودة وأنه مغادرهم، فيغادر مدينة الرسول صلى الله عليه وآله سلطانها وعزها، ها هو عبد الله بن سلام يعترض طريق الإمام علي عليه السلام عند خروجه من المدينة آخذاً بعنان فرسه، وقائلاً له متوجعاً: (يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله إن خرجت منها لا يعود

إليها سلطان المسلمين أبداً فسبوه (يعنى من كان برفقة الإمام) فقال: دعوا الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسار حتى انتهى إلى الربذة (٢).

وهكذا كان يقين سيد الأوصياء عليه السلام في أنه خارج من المدينة إلى البصرة ثم متّخذاً من الكوفة مستقراً ومنطلقاً، فخلال وجوده في الربذة أرسل إلى أهل الكوفة يعلمهم أنه قد اختار بلدهم من دون بقية الأمصار ٥٠٠ (ولما قدم على الربذة وسمع بها خبر القوم (يعنى طلحة والزبير) أرسل منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب إليهم إني اخترتكم على الأمصار ونزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهمضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً فمضينا وبقي علي بالربذة [يتها] وأرسل إلى المدينة فأتاه ما يريده من دابة وسلاح وأمر

(١) محمد جواد مغنية، فصول الإمام علي، ص ٤١ (نقلاً عن عبقرية الإمام للعقاد وأسد الغابة لابن الأثير).

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ...، ص ١١٤. والذي في الطبري «فنعم الرجل من أصحاب محمد» الخ.



أمره^(١).

لقد التحقت بالإمام علي عليه السلام عائلته التي كانت تسكن معه في بيت في المدينة وهم عدد كبير من الزوجات والأولاد والأحفاد، وفي الكوفة أبى أن ينزل القصر الأبيض المعروف بقصر الإمارة إيثاراً للخصاص التي يسكنها الفقراء من أهل الكوفة، ولم يبن أجرة على أجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة^(٢). وكان أهل بيته معه تحكمهم فضائله وخصاله الإسلامية الرفيعة، فهم أولى الناس باتباعها وانتهاجها. وعلى رأسهم أبناء الإمام من مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام ومولاتنا زينب الكبرى وأختها أم كلثوم عليها السلام وأزواجهم وأولادهم. مع بقية أزواجه وأولاده، وكذلك بعض من ذرية أخوانه كما في جعدة بن هبيرة المخزومي ابن أخته.

لقد اختلف المؤرخون في عدد النساء اللاتي تزوجهن الإمام علي عليه السلام اختلافاً كبيراً، فابن أبي الحديد يذكر في كتابه (نهج البلاغة) إنه تزوج بعد فاطمة رضي الله عنها ست نسوة، ويذكر الشبلنجي في كتاب (نور الأبصار) أنهن سبعة، أما المقرئ في كتابه (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء)

أنهن ثمانية وهو ما قاله الطبري في (تاريخ الأمم والملوك)^(٣). ويزيد ابن شهر آشوب في عددن إلى تسعة مع ذكر أسمائهن وأولادهن وأنسابهن^(٤).

ويذكر الشبلنجي أن الإمام علياً عليه السلام قد ترك بعده عدة زوجات في الكوفة، فبعضهن توفاهن الله عز وجل إيان حياته، وكان تحتها يوم قتل أربع زوجات وهن: إمامة وليلى بنت مسعود التيمية وأسما بنت عميس وأم الينين وأمها

(١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها

(٢) محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي، ص ٤١.

(٣) محمد بكر إسماعيل، فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب، الناشر شهاب الدين، المطبعة كلها، قم إيران، ط ١٤٢٧، ١٤٠٦م، ص ٨١.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢، انتشارات ذوي القربى، تحقيق يوسف البقاعي، ط ١٤٢٩، ١٣٨٧ هـ، المطبعة سليمان ترازه، قم / ص ١٩٤.



أولاده عشر إماء^(١).

ومحمداً وعوناً. وبعد استشهاده في يوم
مؤتة سنة ٨هـ، تزوجها أبو بكر، فولدت
له: يحيى وعوناً^(٣).

ويذكر ابن الأثير أن جميع ولده أربعة
عشر ذكراً وسبع عشرة امرأة وكان النسل
منهم للحسن

وبعض المصادر تذكر أنها ولدت
لجعفر بن أبي طالب ثمانية من الولد منهم
عبد الله ومحمد وعون، وكذلك جاء في
عمدة الطالب (ط نجف ص ٢٠) قال:
أولاد جعفر ثمانية بنين، ويذكر المفيد أن
أولادها من الإمام علي عليه السلام هو يحيى
فقط، أي أن عوناً هو ابنها من جعفر^(٤).

والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس
ابن الكلابية وعمر ابن الثعلبية^(٢).

هذا مع إضافة أفراد آخرين للعائلة
من ربائب الإمام علي عليه السلام فلقد تزوج
بعض النساء ولهن عدد من الذرية
فعاشوا في كنفه في عزة وكرامة كأنهم
أولاده، فهو أبو اليتامى والمساكين جميعاً
والأقربون أولى بالمعروف، كما في حالة
السيدة الجليلة (أسماء بنت عميس
) التي تزوجها الإمام عقب زوجين
هما جعفر الطيار فولدت له عبد الله
(هو زوج السيدة زينب الكبرى عليها السلام)

لقد اتخذ الإمام علي عليه السلام محمد بن
أبي بكر ربيباً وابناً، كان فيه محمد أطيّب
ثمرة لتربية الإمام ورعايته، حتى رثاه في
موته بكل الألم والتوجّع. وقال فيه الإمام
في بعض خطبه: (... فلقد كان إلى حبيباً
وكان لي ربيباً)، وكان الإمام طالما يردد:

(١) مؤمن الشيلاجي، نور الإبصار في مناقب آل النبي المختار، ط ١، ذوي القربى، نجف العراق، ص
٤٠٢، للمزيد يقظر: البداية والنهاية: ج ٦ / ص ٣٩٠، الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٨ / ص ٢٣٣،
الإصابة، ج ٧ / ص ٢٠٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل...، ص ٢٠٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى / تهذيب وتحقيق عبدالعزيز الطباطبائي، ط ١، مؤسسة آل البيت عليه السلام
لإحياء التراث، قم إيران، ١٤١٦هـ، ص ٢٨٥ ٢٨٠.

(٤) المفيد، الإرشاد، منشورات المطبعة الحيدرية ومكبتها، النجف الأشرف العراق، ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م،

ص ١٨٦

: في باب ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعددهم وأسائهم ومختصر عن أخبارهم.





(محمد ابني من صلب أبي بكر) (١). مصفداً، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم، كأنها سودت وجوههم بالعظام، وعادوني مؤكداً، وكرر عليّ القول مردداً: فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعُهُ، وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك التواكل يا عقيل، أأتن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجريني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟ أأتن من الأذى ولائن من لظى؟! وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعاتها ومعجونة شستها،

وعلى قصر المدّة الزمنيّة لوجودهم في الكوفة وعلى قلة حضور رب البيت معهم؛ لانشغاله بعدة وقائع عسكريّة متلاحقة ومتابعة حثيثة لشؤون الرعيّة، إلّا أنّ بعض الروايات تفصح عن كثير من العبر والشهادات الحيّة لتلك الأيام التي عامل فيها سيد الأوصياء أهل بيته، كما تعامل مع بقية أفراد المجتمع وهو القائل: والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال

(١) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٧٩، ص ٣٤١، ٣٤٠.

(٢) براهيم حسين بغدادي، زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، طاء، مؤسسة الأمل للمطبوعات، بيروت لبنان ١٤٣١، ٢٠١٠م، ص ٧٣.



كأنها عجنت بريق حية أو قينها، فقلت: أصله أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرم علينا أهل البيت، فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية، فقلت هبلك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أختبط أن ذو جنة، أم على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت؟ وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلني ولنعيم يفنى، ولذة لا تبقى. نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين^(١)

لعلي على بيت المال فدخل علي يوماً وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال: من أين لها هذه، لأقطعن يدها فلما رأى أبو رافع جده في ذلك فقال: أنا والله يا أمير المؤمنين زيتتها بها. فقال علي: لقد تزوجت بفاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالي ولها خادم غيرها^(٢)

إنَّ طريقة علي بن أبي طالب عليه السلام الغراء هذه جعلت الكثيرين يحيدون عن دربه

ولا يرتضون نقاء منهجه، انظر إلى ما ذكره الشعبي حين قال: دخلت الرحبة بالكوفة - وأنا غلام - في غلمان فإذا أنا بعلي عليه السلام قائماً في صبرتين (ما جمع به الطعام بلا كيل ولا وزن) من ذهب وفضة، ومعه مخفقة. وهو يطرد الناس بمخففته، ثم يرجع إلى المال ويقسمه بين الناس، حتى لم يبق منه شيء، ثم انصرف، ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً. فرجعت إلى أبي فقلت له: لقد رأيت خير الناس أو أحمق الناس. قال: من هو

في هذه الواقعة التي أخبر عنها الإمام عليه السلام في إحدى خطبه يؤكد عل أنه لن يفارق طريقته ومنهجه حتى مع أقرب الأهل إليه أخيه الأكبر ابن أمه وأبيه والأثير عند أبي طالب الذي ما فرط فيه يوم توزع عنه أولاده. وهذا حاله يتكرر مع ابنته في موقف آخر هو خبر ابنته أم كلثوم حين استعارت العقد من بيت المال لتلبسه يوم العيد، وهو معروف ذكره جميع المؤرخين من السنة والشيعة... (كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خازناً

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج ٢، مطبعة الاستقامة، ص ٢٤٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل...، ص ٢٠٠. (ذكر بعض سيرته)



قطيفة وهو يرعد فيه فقلت يا أمير المؤمنين: إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل هذا بنفسك فقال: والله ما أرزاكم شيئاً وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة^(٣) هذا هو الإمام الذي اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، خليفة المسلمين في العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر، يبيع سيفه ليشتري إزاراً بدرهمين!! علي والدنيا في يده يتصرف فيها كيف يشاء ومتى يشاء، يكتفي منها بمطمرين وقرصين^(٤).

وجاء في وصفه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشِب... عن سويد بن غفلة قال:

دخلت على علي بن أبي طالب القصر.. قال: فقلت لفضة وهي بقرب منه قائمة: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخل له طعاماً. قال: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال عليه السلام: بأبي

يا بني؟ قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين! رأيته يصنع كذا. فقصصت عليه، فبكى، وقال: يا بني، بل رأيته خير الناس^(١).

إنّ الشعبي هنا حاله كحال كثيرين ممن يعتقد أن الدنيا إذا ما أغدقت نعمها على المرء فعليه أن يبدأ بنفسه وأهل بيته وعياله وهذا المنظار واضح وجلي في كل حاكم وصاحب سطوة أو ملك من الأولين والآخرين، قد ظهرت عليهم آثار هذه النعم ذاتياً ثم في الحلقات الأقرب فالأبعد منهم.. إلا شخصين في هذه الدنيا هما النبي الأكرم ﷺ وأخيه سيد الأوصياء علي عليه السلام.

فلطالما شوهد علي وهو يحمل في ملحفته تمرّاً قد اشتراه بدرهم فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك فقال: أبو العيال أحق بحمله^(٢). وقال هارون بن عنتره عن أبيه دخلت على علي بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج ٢، ط، ١٩٥٩م، ص ١٩٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل...، ص ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٤) يونس رمضان، بغية الطالب، ص ٤٩٨.



وأمي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله تعالى (المقصود به رسول الله ﷺ) (١).

عن سيد الأوصياء علياً في معيشتة ونهجه في أهل بيته في الكوفة وما قبل الكوفة كان يضع نصب عينيه وهو قسيم الجنة والنار، خشية الله عز وجل وتربية النبي محمد ﷺ له واتباعه لسنن القرآن وآياته.. ولم يجد عن طريقته المثلث طرفة عين، عن الإمام الصادق أنه أهدي إلى أمير المؤمنين طست من فالودج، وكان في نفر من أصحابه، فقال مدوا أيديكم، فمدوها ومد يده الشريفة، ثم رفعها، فقالوا له:

أمرتنا أن نمد يدنا، ففعلنا ومددت يدك، قم قبضتها؟ فقال: ذكرت أن رسول الله ﷺ لم يأكله، فكرهت أكله (٢). وكانت خطته خطة الرسول ﷺ، بل عدالة الرسول وزهده عدالة علي وزهده.

لقد كان الإمام علي ﷺ شديداً في محاسبة ولاته أكثر منها شدته في محاسبة أهل بيته ولكن ما يفوقها شدة وتربصا، هو تربصه بنفسه وهواه ومغالبتة والغلبة عليه.. ولو كان أمير المؤمنين علياً غير ذلك.. ما كان علي بن أبي طالب. ولو كان أي حاكم أو والي قد اتخذ هذا السلوك المتعالي من التعفف والحيطة والحذر من نفسه ومن الدنيا وزخرفها لو صم بالبخل والحرص والظلم لنفسه وعياله.. إلا علي ﷺ.

لقد عرف أهل بيته طريقته المثلى في

(١) بيان العريض، نساء في عصر الإمام الحسن علياً، ص ١٨٧. نقلاً عن المجلس، بحار الأنوار: ج ١٨ / ص ١٢٥.

(٢) محمد جواد مغنية، موسوعة الإمام علي / ج ٣، مؤسسة دار المجتبي، ط ٢٠٠٥، ١م، إيران قم، ص ٤٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح النهج...، ص ٢٠٠.



والعيش فاتبعوها وارتضوا منهج تقويمه وإصلاحه لهم. فإن كان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم^(١). فإنه كان أشد على ابنته في المحاسبة والعقاب.

عن يحيى بن سلمة: استعمل علي عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج علي واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال: نحن نحضرهما فعزم عليه إلا ذكرهما له فأخبره فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فراهما قد نقصا فامر التجار بتقويم ما نقص منها فكان ثلاثة دراهم فأرسل إليها فأخذها منها ثم قسم الجميع^(٢).

وذاً الموقف قد تكرر مع ولده الإمام الحسن عليه السلام وهو حبيب الزهراء عليها السلام

وسيد شباب أهل الجنة، فلم يسامحه في رطلا من عسل قيمته درهماً، جاء في تذكرة سبط ابن الجوزي أنه أتى بزقان فيها عسل من اليمن، ونزل بالحسن عليه السلام ضيف، فاشترى خبزاً، وطلب من قنبر أدماً ففتح زقاً وأعطاه منه رطلاً، فلما قعد عليه ليقسمها، قال: يا قنبر، قد حدث في الزق حدث؟ قال: صدقت يا أمير المؤمنين، وأخبره لغضب، وقال: عليّ به، فلما حضرهم بضربه، فأقسم عليه بعمه جعفر وكان عليه إذا أقسم به عليه سكن، فقال: ما حملك على أن أخذت قبل القسمة؟ قال: إن لنا فيه حقاً، فإذا أعطيناه رددناه، قال: لا يجوز أن تنتفع بحقك قبل انتفاع الناس، لولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وآله يقبل ثنيتك لأوجعتك ضرباً. ثم دفع إلى قنبر درهماً وقال: اشتر به من أجود عسل يوجد. قال الراوي: فكأنني أنظر إلى يد علي على فم الزق، وقنبر يقلب العسل فيه، ثم شده بيده، وهو يبكي ويقول: اللهم اغفر للحسن فإنه

(١) ابن الأثير، الكامل...، ص ٥٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل...، ص ٢٠١.



لم يعلم^(١).

وها هو موقف الإمام علي عليه السلام مع ولده الحسن عليه السلام يحاكي موقفه مع ابن أخيه جعفر الذي إذا ما أقسم به عليه سكن، وهو في الوقت ذاته زوج ابنته مولاتنا زينب الكبرى عليها السلام، ونعني به عبدالله بن جعفر، فهذا هو يرده ولا يعطيه بغيته رغم افتقاره لها وحاجته الملحة، روى هارون بن سعيد، قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة! فوالله مالي نفقة إلا أن أبيع دابتي، فقال: لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك^(٢) هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام يتحرز في العطايا والهبات لأقرب الناس إليه، في حين اقتطعت ولايات وأراضي ومنحت أموال طائلة لمن تقرب من الولاية والحكام دون وخز ضمير أو محاسبة نفس على مدى التاريخ الإنساني حتى يومنا هذا، لذا تبقى إمارة علي بن أبي طالب عليه السلام إمارة متفردة

في بصماتها وإفرازاتها، ويبقى سيد الأوصياء عليه السلام كالطود الشامخ في توليه لأمر الرعية لا يرتقي إلى علاه بشيء، لا يحابي ولا يؤثر إلا بالحق، وهو الموصوف في قرآن العزيز الجليل.. «يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

لقد عرف أهل بيت علي عليه السلام نهج أبيهم فاتبعوه وبه استعانوا على قضاء حوائجهم وتصريف أمورهم الحياتية، ولم يذيعوا أمرهم إلا لمن اطلع على حالهم...، عن أبي صالح قال: دخلت على أم كلثوم بنت علي، فإذا هي تمشط في ستر بينها وبينني، فجاء الحسن والحسين، فقالت لهما: ألا تطعمون أبا صالح شيئاً؟ فاخرجوا لي قصعة فيها ماء حبوب. فقلت: تطعمون هذا وأنتم أمراء؟ فقالت أم كلثوم: يا أبا صالح إن أبي أمير المؤمنين قد أتى بأترجة فأخذ حسين أخي منها أترجة، فترعها من يده، فقسمها بين الناس^(٣).

فهل ذكر لنا التاريخ الإسلامي والإنساني، الحديث منه والقديم أن حاكماً

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ط ١٣٦٩، ٥٢، ص ١٢٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح النهج...، ص ٢٠٠.

(٣) القندوزي، ينابيع المودة / ج ٢، ص ٤٤.





قد فعل فعل أمير المؤمنين عليه السلام وكان شديد الحرص على حقوق رعاياه وعدم تضييعها ولو كان بحجم أترجة أو حبة خردل؟! لقد ذكرنا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر شدة على نفسه من أهل بيته، وهذا ما تظهره بعض الروايات التي تؤكد أن ما كان عليه الإمام عليه السلام من المجاهدة لم يصل إليها أحد حتى أولاده وأهل بيته الذين يحاولون أن يخففوا وطئ تعفف أبيهم على نفسه فيضيفون بعض الزيت أو العسل إلى طعامه فما هو فاعل عندها؟

عن الأحنف بن قيس، قال: دخلت على علي كرم الله وجهه وقت إفطاره إذا دعا بجراب مختوم فيه سويق الشعير، قلت له: يا أمير المؤمنين خفت أن يؤخذ منه فختمته فيه؟

قال: لا، ولكنني خفت أن يلينه الحسن أو الحسين بسمن أو زيت قلت: هما حرام عليك؟ قال: لا، ولكن يجب على الأئمة أن يغتذوا بغذاء ضعفاء الناس وأفقرهم كيلا لا يشكو الفقير من فقره، ولا يطغى الغني لغناه^(١).

وكأننا بسيد الأوصياء عليه السلام ينظر بعين بصيرته الإيمانية إلى كل شرائع وطبقات رعيته ليمتد طرف رحمته فيتفقد أكثرهم فقراً وأقلهم مؤونة ليتزود بأقل منه، فلقد عزف حتى المعوز عن تناول ما كان يتناوله أمير المؤمنين عليه السلام.. فقد جاءه أعرابي وقت إفطاره، وكان عليه السلام معتكفاً في مسجد الكوفة، فأخرج الإمام علي عليه السلام من جراب سويق الشعير، فاعطاه منه شيئاً فلم يأكله الأعرابي، فعقده في طرف عمامته، فجاء إلى دار الحسين رضي الله عنهما، فأكل معهما، فقال لهما: رأيت شيخاً غريباً في المسجد لا يجد غير هذا السويق، فترحمت عليه، فأحمل من هذا الطعام إليه ليأكله، فبكيا وقالوا: إنه أبونا أمير المؤمنين علي يجاهد نفسه بهذه الرياضة^(٢)

ولو تمنعنا قليلاً في عبارة الأعرابي في وصفه لسيد الزهاد عليه السلام لقد قال عنه (شيخاً غريباً)، وهو حقاً لكذلك غريباً عن كل من حاول التشبه أو الاقتداء به، وكان متفرداً في كل خصاله، لذلك لا يقاس الإمام علي عليه السلام بأحد من الخلق إلا

(١) القندوزي، ينابيع المودة، ج ١، ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧.



رسول الله ﷺ، أما الخلفاء والأمراء فهم يتبارون في مضمار آخر غير مضمار سيد الأوصياء عليه السلام. لذا لم يكن علياً أميراً للمؤمنين وفق المنظور البشري المعتاد أو السائد في عصره أو غيرها من العصور.

فهو في اللحظة ذاتها يكون أميراً وخليفة ورب الأسرة وإماماً وقائداً، روى يوسف بن يعقوب، عن صالح بياع الأكسية، أن جدته لقيت علياً عليه السلام بالكوفة، ومعه تمر يحمل، فسلمت عليه وقالت له: أعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك، فقال: أبو العيال أحق بحمله. قالت: ثم قال لي: ألا تأكلين منه؟ فقلت: لا أريد، قالت: فانطلق به إلى منزله، ثم رجع مرتدياً بتلك الشملة، وفيها قشور التمر، فصلى بالناس فيها الجمعة^(١)

وشملته هذه هي إحدى طمريه، والتي لم تكن أحسن حالاً من طعامه، فقد كان ثوبه مرقوعاً.

ونعلاه من ليف، وذكر ذلك في خطبة فقال: «والله لقد رقعت مدرعتي هذه

حتى استحييت من راقعها». ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: أعذب عني (عند الصباح يحمد القوم السرى). وقيل أن ولده الحسن عليه السلام كان راقع المدرعة، وكان يرقعها بجلد تارة، وبليف أخرى^(٢) وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام هو من يصلح نعله بيده، فإنه لم يتكئ على كرسي في بيته قط، فكان أبو تراب بحق من الولادة وحتى الشهادة، يقول سويد بن غفلة: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة، وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره، فقلت: يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال، ولست أرى في بينك شيئاً مما يحتاج إليه البيت، فقال عليه السلام: يا بن غفلة، إن البيت لا يتأث في دار النقلة، ولنا دار أمن قد نقلنا إليه خير متاعنا، وإننا عن قليل إليها صائرون.

إن علياً عليه السلام كان يعيش مع أهله ورعاياه ومجتمعه بجسده ولكن قلبه وروحه المتسامية عن دنيا الخلق كانت معلقة على الدوام مع باريها لا تغفل عنه طرفة عين فتتقاعس عن اللحاق

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج / ج ٢، ص ٢٠٢

(٢) محمد جواد مغنية، موسوعة الإمام علي، ص ٤١.



انتصر بالحجارة»^(١). وقد اكتسبت الكوفة الشرف الشامخ حينما اتخذها الإمام علي عليه السلام عاصمة للخلافة الإسلامية في الثاني عشر من رجب سنة ساء وثلاثين من الهجرة^(٢). وهو تاريخ يتوافق مع ذكرى مولده الشريف. ويوافق كذلك الرابع من كانون الثاني عام ٦٥٨ من الميلاد.

وهذا لا يعني أن الكوفة قد بزغ نجمها كمدينة حضارية بهذا التاريخ فلقد كانت الكوفة ومن القديم معهدا علمياً مهماً في تاريخ العراق، وقد ورثت حضارات وآداب كثيرة لأمم شتى وللدول التي سبقت العرب في تلك البقاع. ولكن إقامة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة تميزت بإنتاج عهد جديد في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية لعناية الإمام علي عليه السلام عناية فائقة بغرس وتنمية الحياة العلمية في نواحيهم، ولم تمنعه الحروب والاضطرابات التي استغرقت منه زمناً وجهداً كبيراً من مهمته في هذه الحاضرة

بالحبيب المصطفى ﷺ. فهل استثمر أهل الكوفة وجود مولانا أبي الحسن عليه السلام بين ظهرانيهم وهو الذي اختارهم من بين الأمصار وجلب لمدينتهم عنوان فخار على مدى الدهر؟ وكيف تعامل أهل الكوفة مع سيد الأوصياء وأهل بيته؟

الإمام علي عليه السلام وأهل بيته... وأهل الكوفة

لقد كان تمصير الكوفة سنة ١٧ هـ، ولكن سنة ٣٦ هـ كانت البداية التنويرية والحضارية لهذه المدينة بعد أن سكنها أمير المؤمنين عليه السلام، لأن مدة إقامة الإمام علي عليه السلام فيها تميزت بانعطاف ملحوظ في كل المناحي.

إذ تحولت الكوفة إلى عاصمة الدولة وقائدة الأمة، ويشكل هذا الحدث نقطة تحول في تاريخ مدينة الكوفة، وأشار إليها الإمام علي عليه السلام بقوله: «الكوفة جمجمة الإسلام وكنز الإيمان وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء وأيم الله لينصرن الله بأهله من مشارق الأرض ومغاربها كما

(١) حولية الكوفة / العدد ٢، ص ١٨. نقلاً عن: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ٦.

(٢) حولية الكوفة / العدد ١، ص ٢٦. نقلاً عن: المسعودي / مروج الذهب ٣٧٢ / ٢.

الجديدة^(١)

تبين بعد أهل الكوفة آنذاك عن معرفة أهمية أن يكون سيد الأوصياء عليه السلام بينهم...، روي أن الإمام الباقر قدر عدد الشيعة في العراق خلال خلافة الإمام علي بحدود الخمسين رجلاً، قال الباقر عليه السلام: «كان علي بن أبي طالب عليه السلام عندكم بالعراق يقاتل عدوه ومعه أصحابه، وما كان فيهم خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته»^(٣).

عجباً من ٢٠٠ ألف نسمة هناك فقط ٥٠ رجلاً هم من شيعة علي عليه السلام!، وللتمعن في هذا العدد المحدود من الملتحقين بركب الإمام عليه السلام حقاً، علينا أن نفكر هل كان الإمام علي عليه السلام في سياسته العادلة قوة طاردة للطامعين وأصحاب الأهواء والولاءات المنقلبة؟ وهل كان الإمام عليه السلام مثالياً في سدرته وتعامله مع رعيته وأهل بيته، فكان أثرهما محدوداً في محيطهما الكوفي!

كل الأحداث والدلائل التاريخية تشير إلى أن العلة كانت في أهل الكوفة؛

لذا لا ينكر ما للمدينة من ماض ضارب في القدم، إذ أسست الكوفة في بيئة مدينة عريقة، فهي وريثة لبابل والحبرة والمدائن، وقد قدر عدد سكانها في حدود المائتي ألف نسمة أو أكثر لأن عدد دورها كان على رواية بشر بن عبد الوهاب ثمانين ألفاً^(٢)

فهل استثمر أهل الكوفة حلول الإمام عليه السلام وأهل بيته بينهم خير استثمار؟

مجريات الأحداث لا تنبئ بذلك، فمع وجود الروايات عن أن بيت الإمام عليه السلام كان مرجعاً لكثير من المواليين والمتعاطفين، وأن أهل بيته لم ييخلوا بها لديهم للسائلين والباحثين عن المعرفة والرشاد، والقول إن نساء بيت سيد الأوصياء عليه السلام أخذن بثقیف نساء الكوفة ونشر تعاليم الإسلام الصحيح بينهن، إنما طبيعة المجتمع الكوفي لم تكن لتتشرب كثيراً من هذا النبع الصافي للدين الحق.

وهناك رواية ثمينة للإمام الباقر عليه السلام

(١) حولية الكوفة / العدد ٢، ص ٣١

(٢) حولية الكوفة / العدد ١، ص ٣٢. نقلاً عن: ياقوت الحموي، ج ٧، ص ٢٩٧.

(٣) حولية الكوفة / ٢١ ص ٣٩. نقلاً عن الكشي، محمد بن عمر، الرجال (النجف الأشرف) ص ١٢.



لأنَّ الإمام عليه السلام لم يكن مثالياً، بل مثالاً ورمزاً إسلامياً وكذلك أهل بيته حجت معطياته عنهم لطبيعة المجتمع الكوفي انذاك.

فأهل الكوفة كانوا في طليعة المسلمين الذين أطاحوا بحكم عثمان، وبعد أن آل الحكم في الكوفة للإمام علي عليه السلام لم تمنح أغلبية أهلها ولاءها التام له، ولم يستجب لندائه من أهلها إلا شطر صغير من سكانها.

انظر إلى قول معاوية فيهم عندما أوصى يزيد: «وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إلى من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف»^(١).

لقد كان عصر خلافة علي عليه السلام عصراً مضطرباً، لأن الرجل في ذلك الزمن كان يمسي مؤمناً بخلافته ومطيعاً لأوامره، ويصبح متطلعاً للالتحاق بمعارضيه، ولعل هذه الخطبة تعكس بوضوح وجهة نظر الإمام علي عليه السلام حول سلوك غالبية أهل الكوفة نحوه، على الرغم من أنَّه

اتَّخذ من بلدهم عاصمة له، وأنه اعتمد عليهم في حروبه... «أيُّها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتكم خضتم، وإن حوربتم خرتم وإن اجتمع الناس على إمام طعتم، وإن أجبتكم إلى مشاقة نكصتم. لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم؟ الموت أو الذل لكم؟ فوالله لئن جاء يومي - وليأتيني - ليفرقن بيني وبينكم وأنا لصحبتيكم قال، وبكم غير كثير. لله أنتم! أما دين يجمعكم! ولا محمية تشحنكم! أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجناة الطغام فيتبعونه على غير معرفة ولا عطاء، وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام، ورقية الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرقون على وتختلفون علي؟ إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى، فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاق إلى الموت!»^(٢).

فإنَّ كان هذا حال رجال أهل الكوفة، فإنَّ حال أسرهم لن تكون بأفضل من حالهم، فالنفس البشريَّة بطبيعتها تنجذب

(١) حولية الكوفة / ١، ص ٤٠. نقلاً عن الطبري، التاريخ / ٤، ص ٢٣٨.

(٢) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٣٦.



إلى القصور المزخرفة لا البيوت المتعففة
والتي لن يحصلوا على أي عطايا سخية !!
ولم يشعر أهل الكوفة بفداحة
خسارتهم إلا بعد مقتل سيد الأوصياء عليه السلام
سنة (٤٠) هـ، إذ أحكمت القبضة الحديدية
الظالمة للأمويين على أهل الكوفة،
فاستفاقوا وأخذت جموع عديدة منهم
تشعر بالندم على خذلانهم لعلي عليه السلام وأهل
بيته من بعده، وأصبح الإمام علي عليه السلام
في نظرهم الإمام الحق. وإنه وآله هم
رمز عزهم المفقود، وفرصتهم الذهبية
المضيعة، ولكن ولات حين مناص.
وعلى الرغم من تواضع عدد السنين
التي كان فيها إمام المتقين عليه السلام بين أهل
الكوفة، وعلى الرغم من تقاعسهم من
الاستزادة من نهل إمامته وولايته المتفردة
إلا أن بذر الإمام عليه السلام قد أينع سريعاً
وتجذر عميقاً، فأصبحت لمدينة الكوفة
منزلة خاصة في التاريخ الدامي للشيعه،
ومنها انطلقت الحركات العلوية وفيها
اجتمع محبو الأنمة من أهل البيت عليه السلام
أكثر من أي مكان آخر.



النتائج

أعطى الإمام عليه السلام للكوفة في سنوات قصار عمقاً حضارياً وإنسانياً وفكرياً وعلمياً بعيد المدى، أخذ يتجدد في كل آن، ولا ينضب نبعه من خطب على المنبر ومواقف في ساحات الحرب، وأقوال وحكم في السوق وبين الناس، فكانت مدة خصبةً بعبائتها الروحي ومددها العرفاني.

لم تمنح الكوفة وأهلها كامل طاقاتها وعنفوانها لولي أمرها لتتقارب فورات الحصاد الثمر من وجود هذا العملاق في ظهرانيها.. ولقد عاد أهل الكوفة إلى رشدتهم بعد مغيب الشمس عنهم فالتفتوا حول ذيول أشعتها المنسحبة.

اختار سيد الأوصياء عليه السلام الكوفة عاصمة لدولته وإمارته المتفرّدة في التاريخ عن وعد ووعي، وأضحت له مشوى ومزاراً إلى يوم الدين، فكانا قرنين تعاقداً على المجد والسمو وطيب الذكر منه ذكراً.

اتّسمت المدّة الزمنيّة لتوليّ سيد الأوصياء عليه السلام أمر المسلمين بالقصر وعمق الأثر والامتدادات.

كانت إمارة الكوفة، إمارة متفرّدة بين نظائرها في التاريخ وكانت رمزاً للإمارة الإسلاميّة العادلة، التي قاربت إمارة المدينة المنورة في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعادت أمور المسلمين إلى نصابها باتّباع المسار المحمدي.

كان علي بن أبي طالب عليه السلام ما قبل الإمارة وبعدها هو الإمام والرمز الإنساني العملاق الذي لم تثلم منه الرئاسة ولم تحيده عن طريقته الربانيّة في الحياة.

كانت عائلة الإمام علي عليه السلام خير عون له في الحفاظ على صورة بيت النبي بكل مفرداته الحيائيّة والتزاماته القرآنيّة، ولم يكن بيت الوصي يوماً بيت ملك أن رئاسة يمنح الجوائز ويقتطع العطايا من دون احتكام للسنن والشرائع الإلهيّة.





الخاتمة

ويجهد النفس للوصول إلى مشارف
 (الإمارة المتفرّدة) وسبر غور ثنايا
 يومياتها وأحداثها ليعثر على كنه وسر مجد
 تلك الأعوام المقتطعة من تدهور التاريخ
 وسقوطه في براثن الحكم البشري القاصر.
 لقد أعطت (الإمارة المتفرّدة) لعلّي
 بن أبي طالب عليه السلام درساً تاريخياً لا يتكرّر
 للتاريخ الإنساني، وجعل من الكوفة
 حلقة الدرس الذي ينهل منها العقلاء
 والعرفاء والمؤمنين على مدى الدهر.
 إذا ما ذكر سيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام
 تهادت إلى الذاكرة صورة الكوفة
 وتاريخها، وإذا ما ذكر مسجد الكوفة
 انبثق في الخاطر خطب (نهج البلاغة)..
 فما ذهبت الأذهان ولا تفتحت القلوب
 والهة على أنقى من عصارة تلکم
 السنوات القصار من عمر الإمارة الحقّة،
 إمارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
 لمدينة الكوفة، تلك الإمارة المتفرّدة
 في نهجها وتدايعياتها.

وما برح كل عملاق تاريخي يتناول



المصادر

٩. القندوزي / ينابيع المودة.
١٠. محمد بكر إسماعيل / فقيه الأمة و مرجع الأئمة.
١١. محمد جواد مغنية / موسوعة الإمام علي عليه السلام.
١٢. محمد جواد مغنية / شرح نهج البلاغة.
١٣. محمد علي الأنصاري / أهل البيت عليهم السلام إمامتهم، حياتهم.
١٤. محمد عبده / شرح نهج البلاغة.
١٥. مؤمن الشلبنجي / نور الأبصار.
١٦. يونس رمضان / بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب.
١. إبراهيم حسين بغدادي / زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة.
٢. ابن أبي الحديد المعتزلي / شرح نهج البلاغة.
٣. ابن الأثير / الكامل في التاريخ.
٤. ابن سعد / الطبقات الكبرى.
٥. ابن شهر آشوب / مناقب ال أبي طالب.
٦. الشيخ المفيد / الإرشاد.
٧. بيان عبيد العريض / نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام.
٨. حولية الكوفة / مسجد الكوفة المعظم.





الإمام علي بن أبي طالب ونظرية الحقوق المتكافئة

د. أحمد راسم النفيس



باحث ومفكر إسلامي
(مصر)





قال الإمام علي بن أبي طالب: (أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بُولَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوْسَعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ. ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَلِيِّ عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَلِيِّ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لَأَلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ

تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ. فَإِذَا آدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَلِيِّ حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَلِيُّ إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَاهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَبَيَّسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَلِيُّ بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْأَذْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتَرَكْتَ مَحَاجَّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُطْلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ! فَهُنَالِكَ تَذَلُّ الْإِبْرَارِ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارِ، وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ. فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبٍ





حُقوقِ الله على العبادِ النصيحةُ بمبلغِ جُهدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغَرَتْهُ النَّفُوسُ، وَافْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل، يكثر فيه الثناء عليه، ويذكر سمعه وطاعته له.

فقال عليه السلام: إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغَرَ عِنْدَهُ لِعَظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطَفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا، وَإِنْ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ. وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ، وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ

وَالْكَبَرِيَاءِ. وَرَبَّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقوقِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ، وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَاً فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَّمَسَّسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالِ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أَخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مُمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى).

يقول ابن منظور في لسان العرب: تَكَافَأَ الشَّيْئَانِ: تَمَثَّلَا. وَكَافَأَهُ مُكَافَأَةً وَكَفَاءً: مِثْلَهُ. وَمِنْ كَلَامِهِمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كِفَاءً الْوَاجِبُ أَيَّ قَدَرٍ مَا يَكُونُ مُكَافِئًا لَهُ. وَالتَّكَافُؤُ: الْإِسْتِوَاءُ.



من المؤسف أن المسلمين ولاسيما الكتاب والمفكرين لم يحاولوا تأصيل نظرية سياسية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بمعناها الأشمل (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) على الرغم من وفرة المادة الأصلية التي يمكن الرجوع إليها فضلاً عن تنوعها.

فضلاً عن ذلك فإن الباحث الشيعي - ليس التشيع التطبيري!! - وقع في ذات الفخ الذي وقع فيه الباحث (السنّي)، والسنة هنا بمعناها الأضيق الذي يعرفه الجميع، عندما انزلق إلى حفرة التمجيد والإشادة بابن خلدون وغيره ممن زعموا أو زُعم لهم أنهم مؤسسو نظريات من بنات أفكارهم مثل (نظرية العمران) على الرغم من أن ما قاله الرجل لا يعدو كونه اقتباساً من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لا يلزم أن تحمل سيفاً تدمي به رأسك، كي توصف أنك تنتمي لمدرسة التشيع التطبيري الذي يستند على تركيز الضوء في لحظة بعينها من عمر التشيع، على حين تغض نفس هذه المدرسة الطرف عن المسيرة الطويلة لخط الولاء لأهل

بيت النبوة وصولاً إلى اللحظة الراهنة، إذ تصطدم حركة التشيع بتحديات من نوع مختلف شكلاً وليس موضوعاً.

إن التشيع التطبيري لا يعدو كونه مجرد حالة انتماء عاطفي لا تعمل العقل في محاولة رد الأمور إلى أصلها أو إعادة الحق المغتصب لأصحابه فنراه يتجمد عند واقعة السقيفة أو مأساة كربلاء ثم لا نرى بعد ذلك جهداً كافياً لتسليط الضوء على العطاءات الفكرية لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولئلا يفهم كلامنا على غير وجهه، فنحن ننتقد التجمّد عند هذه النقاط وليس إعطاءها ما تستحق من الاهتمام، وأننا نستغرب أن نرى المفكرين المواليين لأهل بيت النبوة يفعلون نفس ما يفعله المتجمدون تحت ظل سقيفة بني ساعدة الذين أسسوا وباركوا دول الجور والقهر ثم يعلنون عن إعجابهم وانبهارهم بالفكر الغربي الحداثي ولا يمانعون الاقتباس منه بوصفه بدعة حسنة لا ضير في الأخذ بها!!!.

الأمر يتعلق بمجال الرؤية

(field of vision)

فلا يكفي المرء أن يركز البصر في نقطة



السلطة الكنسية والسلطة الزمنية، إذ ليس صحيحاً على الإطلاق ما يزعمونه عن دولة مدنيّة لا سلطة فيها للكنيسة التي ما تزال تمتلك نفوذاً هائلاً حتى وإن لم يكن ظاهراً للعيان.

ظل المسلمون عامّة يعتمدون نظريّة للحكم أسسها ابن آكلة الأكباد ودونها أزالاه بعد ذلك فيما يسمّى بكتب الحديث، إذ قام الفقهاء بتدوينها أحكاماً وفتاوى ودونكم هذه النماذج:

ذكر الإمام أحمد بن حنبل في اعتقاده: (السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع عليه الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أميراً للمؤمنين والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر منهم والفاجر وقال أيضاً ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار الواردة عن رسول الله ص فإن مات الخارج على هؤلاء الأئمة مات ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان

بعينها مهما كانت مركزيتها وأهميتها إذ لا بد أن تتسع رؤيته لتشمل امتدادات هذه النقطة وما يحيط بها وعندها يمكن مخاطبة الناس على قدر عقولهم وفقاً لمدركاتهم.

ولو أننا انطلقنا من حيث انتهى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نظيراً وعملاً لما احتجنا الآن لتلفيق نظرية سياسية تعتمد أول ما تعتمد على تجارب الغرب المسيحي الذي بقي يتخبط إلى عهد قريب بحثاً عن هذه النظرية وهو ما قاده إلى عدة حروب وكوارث أحرقت الأخضر واليابس كان آخرها الحربين العالميتين الأولى والثانية.

لم يكن لدى المتتمين للمسيحية علي بن أبي طالب الذي كان امتداداً لضوء النبوة نظرياً وعملياً (وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضُّوءِ مِنَ الضُّوءِ وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعَصْدِ)، إذ ترعرعت المسيحية وشكلت رؤاها تحت رعاية الإمبراطورية الرومانية، إذ كان من الطبيعي أن يؤثر كل منهما في الآخر فيظهر الإمبراطور أو الملك صاحب الحق الإلهي أو يحدث العكس فيدعي رأس الكنيسة لنفسه ذات الحق وصولاً إلى اللحظة الراهنة حيث ثمة توازن ما بين



ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل هذا فهو مبتدع على غير السنة و الطريق^(١) صلاح الصاوي الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٤٠.

وينقل عن العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام (إذا تفاوتت رتب الفسوق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسقا مثل إن كان فسق أحد الأئمة «تخيل: إمام فاسق!» بقتل النفوس وفسق الآخر بانتهاك الأبضاع وفسق الآخر بالتضرع بالأموال قدمنا المتضرع للأموال على المتضرع للدماء والأبضاع فإن تعذر تقديمه قدمنا المتضرع للأبضاع على من يتضرع للدماء وكذلك بترتيب التقديم على الكبير من الذنوب والأكبر والصغير منها على اختلاف رتبها فإن قيل يجوز القتال مع أحدهم لإقامة ولايته وإدامة تصرفه مع إعانته على معصيته قلنا نعم دفعا لما بين مفسدي الفسوقين من التفاوت ودرءا للأفسد وفي هذا وقفة وإشكال من جهة أنا نعين الظالم على فساد الأموال دفعا لمفسدة الأبضاع وهي

معصية وكذلك نعين الآخر على فساد الأبضاع (انتهاك الأعراض) دفعا لمفسدة الدماء وهي معصية ولكن يجوز الإعانة على المعصية لكونها وسيلة لتحصيل المصلحة الراجحة وكذلك إذا حصل بالإعانة مصلحة تربو على مصلحة تفويت المفسدة كما تبذل الأموال في فداء الأسرى المسلمين من أيدي الكفرة الفجرة)^(٢).

الذي نخلص إليه من خلال هذه الوثيقة التي سطرها الإمام علي عليه السلام أن الحكم في الإسلام يجمع بين النظرتين: الأولى: نظرية الحق الإلهي وهو حق للحاكم والمحكوم وليس للحاكم من دون المحكوم.

الثاني: أن العقد الاجتماعي هو الوسيلة الشرعية الوحيدة لإنفاذ هذه الحقوق وليس القهر والغلبة كما هي رؤية مدرسة الإجرام الأموي التي جندت جيوش المرتزقة وكلفتهم بالافتراء على رسول الله ﷺ ونسبة هذه الأكاذيب إليه ثم سطرت بعد ذلك كتبها يؤسس

(١) صلاح الصاوي الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق ص ٦٨.



السلطة مصدرها الإله غير أن الشعب هو من يقوم باختيار الحاكم بإرشاد من الآلهة فالعناية الإلهية كما هي قادرة على توجيه الحوادث فهي أيضا قادرة على توجيه إرادات الأفراد لاختيار الحاكم. تعني نظرية الحق الإلهي ضمن ما تعني -والكلام للدكتور صباح الفتلاوي - أن الملوك والأمراء يعدّون أنفسهم وزراء الله في الأرض أي أن الله اختارهم لحكم شعوبهم بموجب القوانين الإلهية وتحت إشراف الكنيسة والبابا الذي هو نائب عن صاحب الشريعة المسيحية في الأرض ولذا فليس من حق الأفراد أو المؤسسات محاسبتهم لأنهم يشغلون منصبا أعلى مما يشغله الآخرون وبتفويض إلهي^(١).

أما نظرية العقد الاجتماعي حسب د. صباح الفتلاوي فترجع إلى الفيلسوف الصيني كونفوشيوس الذي قال أن الحاكم مفوض من الله على الأرض ليحكم على وفق عقد يحدد نصوص هذا التفويض والطاعة واجبة للحاكم طالما احترام نصوص هذا العقد وإلا حق للأفراد الثورة عليه.

لحق إلهي مزعوم لابن آكلة الأكباد وبقية الطغاة والمجرمين!!.

المفكرون المسلمون والنظرية السياسية!! في بحثه عن (نظريتنا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي) نرى أن الباحث (صباح كريم الفتلاوي)، على الرغم من أنه ينتمي لجامعة الكوفة عاصمة الإمام علي عليه السلام وعاصمة الإمام المهدي عليه السلام لا يستعين بحرف واحد من نهج البلاغة للإمام علي، بل نرى كل مصادره إما أوروبية أو من مصادر عربية معاصرة!! تحت عنوان رئيسي (النظريات الثيوقراطية) يقول الباحث، يعتقد أصحاب نظرية الحق الإلهي أن أصل السلطة ديني ولها ثلاث منابع:

- (١) الطبيعة الإلهية للحاكم أي أن الحاكم الفرعون إله، (٢) الحق الإلهي المباشر للحاكم أو التفويض الإلهي حيث لا يلزم أن يكون إلهها أو من طبيعة إلهية إلا أنه يستمد سلطته من العناية الإلهية دون تدخل أحد من البشر في اختياره، (٣) الحق الإلهي غير المباشر باعتبار أن

(١) ص ١٠٠ نظريتنا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي دراسة مقارنة. د صباح كريم الفتلاوي. العدد العاشر مركز دراسات الكوفة



في مطلع العصر الحديث ظهرت أهمية العقد الاجتماعي نظراً لانتشار الجمعيات الخيرية والطوائف الدينية وكلها جمعيات تعاقدية كما أن التجارة والصناعة كانت تقوم على عقود تعاونية بين الأفراد والشركات وكان لهذا أثره المباشر على الفكر السياسي والاجتماعي في محاولة إيجاد تفسير معقول لخضوع الأفراد لسلطة الدولة.

كما استخدم الفلاسفة نظرية العقد لتوجيه نظر الملوك الطغاة إلى أنهم ليسوا من عنصر يعلو بقية البشر وأن عليهم الخضوع لهذه القواعد كشرط أساسي لطاعة الأفراد لهم.

وقد اتفق عدد من المفكرين على الآتي:
إنَّ الناسَ كانت تعيش قبلاً على الفطرة قبل أن يتنظموا في جمعيّة بشريّة.

لما كان من المتعذر البقاء في هذا الحال فإنَّ الناسَ أبرموا عقداً اجتماعياً انتقلوا بمقتضاه من الفطرة إلى النظام وأصبح الحاكم ذا سلطان كامل.

المعنى الذي نخلص إليه نحن أن ثمة اتجاهين رئيسين في التعاطي مع الحاكم.

الأول: هو الحق الإلهي، إذ تتشكل السلطة من أعلى إلى أسفل وعلى الشعب أن يسمع ويطيع وينفذ الأوامر الصادرة إليه من ظل الله على الأرض (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) .
والآخر: هو تعاقد مجتمعي يبرمه الأفراد أو الجمعيات والأحزاب أي من أسفل إلى أعلى.

لو نظرنا إلى نظرية العقود في الإسلام بصورة عامة نرى نوعين من العقود:

الأول: عقود بين الأفراد مثل عقود البيع والشراء والقروض.

والآخر: عقود ذات وجهين، ديني وبشري مثل عقد الزواج.

حتى النوع الأول الذي هو تعامل بشري مباشر وربما كان في السوق فالإرادة الإلهية تتخلل روح العقد وتنظمه وتلتزم أطرافه بالوفاء حتى وإن كان لا يحتاج إلى صيغة دينية لإبرامه مثل عقد الزواج باستثناء الالتزام بقواعد الحلال والحرام ومثال ذلك فهناك تجارات محرمة مثل تجارة الخمر والخنازير.



يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٢).

لا يحتاج من يكتب أيا من العقود المشار إليها إلى صيغة إيجاب أو قبول أو صداق أو غير ذلك من شروط الزواج الشرعي الذي يجمع بين كونه عقدا دينيا إلهيا وكونه عقدا (مدنيا) يمكن لأي رجل وامرأة راشدة عقده دون حاجة لكاهن أو شيخ أو كنيسة كما أن الكتابة هي مجرد وسيلة لإثبات الحقوق.

الرقابة الإلهية على التعاملات التي يجريها البشر لا بد أن تكون حاضرة في ضمير المسلم وتصرفاته بما فيها تأسيس النظام السياسي واختيار شخص الحاكم ووضع الضوابط الدستورية الحاكمة لتصرفاته وليس فقط عند التشريع وسن القوانين.

(١) آية ١ سورة المائدة.

(٢) آية ٢٨٢ سورة البقرة.

الله تبارك وتعالى حاضر في كل شيء!!.

هل يمكننا إذا تصنيف النظام السياسي في (الإسلام) أنه نظام يقوم على أساس عقد اجتماعي وحسب، أم ثيوقراطي كما يزعم المتفهبون وبعض أدعياء الثقافة. فمن ناحية فاللطف الإلهي بالبشر هو الذي أوجب عليه إرسال الرسل لهديتهم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ومن ناحية أخرى فأى نظام سياسي لا يقوم على رضا الشعب وقبل ذلك على دعم وتأييد من الدوائر المحيطة بالعرش أو كرسي الرئاسة لا يمكن له الاستمرار والبقاء والقيام بالمهام الملقاة على عاتقه. من هذا المنظار نتعامل مع ما قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بوصفه وثيقة تأسيسية لأي نظام إسلامي حاكم ولا نعني قطعاً تلك النظم الإجرامية التي أسسها الناكثون والقاسطون والمنقلبون على أعقابهم وأطلقوا عليها اسم خلافة ولا ندرى خلافة من؟!.

خلافة الله في الأرض وهي التي نطق بها كتاب الله عز وجل (إني جاعل في الأرض



خليفة) أم خلافة رسول الله ﷺ ونحن

ننكر ذلك أشد الإنكار ولا نرى فيها سوى الافتراء على الله ورسوله ﷺ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ^(١).

ما الديمقراطية؟؟

قال الدكتور (حسن الزين) في كتابه (الإسلام والفكر السياسي المعاصر) تحت عنوان (الخلاف حول ماهية الديمقراطية وأهدافها) :

هناك مدرستان مختلفتان تتواجهان على جبهة تحديد ماهية الديمقراطية، الأولى تفسر الديمقراطية على أنها محض آلية للحكم عارية من كل منظور اجتماعي أو قصد تاريخي أما الثانية فترى فيها مشروعاً مجتمعياً يرمي إلى تأمين الارتقاء الشخصي والجماعي للمواطنين كافة.

من هذا المنطلق ميز فرناندو هنريك كدروزو بين الديمقراطية كقيمة وميز فديريكو مايور بين الديمقراطية

تمكين المواطنين من حقوقهم

حق التعبير ومن المعروف أن الإمام علياً عليه السلام طلب في عهده إلى مالك الاشتهر أن يوفر للناس حرية البيان والقدرة على الشكوى والإفصاح، وذلك في قوله:

(واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع.. ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونحّ عنهم الضيق

(١) الأعراف ٢٨ - ٣٠.





بل و للعالم أجمع بصورة متوازنة تكفل حفظ حقوق الأطراف المشاركة في هذا العقد الاجتماعي السياسي و تكفل قيام كل طرف من أطراف اللعبة السياسية بواجبه على النحو الأكمل تلك الحقوق التي عبر عنها الإمام بقوله (ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَكَافُؤًا فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ) . إنها ليست مجرد نظام سياسي منفصل عن النظام الأخلاقي كما أننا لا نعتقد بأن النظام الأخلاقي ينبغي أن يبقى محصوراً في السلوك الإنساني الفردي أو حتى الاجتماعي.

وهي - أي الديمقراطية - جزء متمم و متداخل مع النظام الأخلاقي السائد؛ نظراً لأنها تتأثر بالأعراف و التقاليد الاجتماعية و القبلية الحاكمة في أي مجتمع من المجتمعات.

الديمقراطية لها طرفان أساسيان هما الحاكم و المحكوم و هناك أطراف أخرى مؤثرة في اللعبة السياسية مثل الإعلام و القضاء و الجيش إلا أنه في النهاية يبقى أن

كممارسة انتخابية و شكل للحكم و بين الديمقراطية كنمط للحياة و ميز كلاوس أوفي بين الديمقراطية كعتلة للتقدم و النموذج الليبرالي كديمقراطية إجرائية. الديمقراطية الإجرائية تتحدد بأنها قاعدة للعبة السياسية أو بأنها منظومة من المؤسسات ذات هدف محدد هو أن تقي الأفراد و المجتمع أخطار الديكتاتورية و الاستبداد على أن ضمانه حقوق كل فرد تنبع من احترام القواعد و الإجراءات القانونية التي تمنع كل عسف و سوء استخدام للسلطة من جانب الدولة نفسها) ص ٦٠ - ٦١ (الكتاب السابق) .

أما الديمقراطية من وجهة نظرنا فهي أكثر من كونها أداة لتداول السلطة كما أنها تشكل جزءاً هاماً و رئيساً من منظومة القيم و الأخلاقيات التي ينبغي للمسلمين أن يتمسكوا بها في وجه كل الترهات و الخرافات التي أطلقها وروج لها وعاظ السلاطين و فقهاء الطابور الخامس قديماً و حديثاً.

من الوجهة السياسية و الأخلاقية فهي نظام يقوم على نظرية الحقوق المتبادلة التي قدمها الإمام علي لهذه الأمة



الوظيفة الأساسية لأي من هؤلاء تصب في خانة أحد الطرفين أو كليهما.

فالإعلام في الدول الديمقراطية يصب لصالح المحكومين أما في الدول المتخلفة فالإعلام مهمته تزييف وعي الجماهير لصالح بقاء واستمرار الحاكم في موقعه ومن ثم يمكن لنا الزعم بأن (الإعلام المعاصر أفيون الشعوب) أما في الدول المتحضرة فالإعلام مهمته كشف الحقائق والدفاع عن مصالح الناس أو حتى جماعات المصالح التي تعلن عن نفسها وليس بالضرورة مصالح الحكم وجماعات المصالح غير المعلنة على عكس الجيش والشرطة اللذان هما عادة من أدوات السلطة بينما يفترض في القضاء أن يقف في المنطقة الوسطى بين الحاكم والمحكوم إلا أنه لدى الحكومات المنحطة يبقى مجرد أداة من أدوات السياسة الحكومية ووسيلة من وسائل التنكيل بخصومها أو تحجيمهم باسم القضاء العادل والنزيه. إن هذه العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم من وجهة نظر الإسلام هي علاقة بين بشر وليس بحال من الأحوال بين بشر اعتيادين هم الرعية وأنصاف آلهة هم الحكام المقدسون فالعلاقة بين البشر

قائمة على قانون يقول (أن الحق لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه، لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرتيه على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه).

إذا فليس هناك حكام آلهة ولا نصف آلهة، بل هم بشر عليهم أن يقرروا ويقبلوا بمبدأ المحاسبة قبل أن يتطلعوا لشغل مناصبهم لأن الله وحده هو الذي لا يسأل عما يفعل وكل الخلائق يسألون إما من البشر أشباههم في الدنيا أو من الخالق عز وجل يوم العرض الأكبر فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ولكن الله سبحانه تقدست أسماؤه وعلا مكانه مع كل هذا (جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُلاً مِنْهُ، وَتَوْشَعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ) أي أنه سبحانه وضع الموازين القسط لئلا تظلم نفس شيئاً (و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسين) (الأنبياء ٤٧).



الطبيعة في جميع المخلوقات». ولا شك أن الخلاف الجوهرى بيننا وبينهم يتركز على اعتقادنا بأن هذا القانون أو الحق الطبيعي الحقيقي ينبع من القانون الإلهي الكوني الذي يدير به الله عز وجل الأكوان ويسير به الأفلاك والذي يختلف عن القانون التشريعي في أن الأول يحكم علاقة الأشياء بمن فيهم البشر وفقا لقانون الأسباب و التئاج والثاني يخاطب إرادة المكلف سواء كان فرداً أو جماعة من البشر.

القانون الكوني يقول (ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم و اتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه و كانوا مجرمين* و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون) (١).

أمّا القانون التشريعي فيقول (الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) و الواقع أن مخالفة أي من القانونين الكوني أو التشريعي يصبان في اتجاه واحد هو استحقاق الغضب

نظرية الحقوق المتكافئة في مواجهة فقه الخنوع والإذعان:

يحق لنا أن نفخر أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال هذا الكلام وأصل هذه القواعد بعد عقود قليلة من وفاة الرسول الأكرم ﷺ و سلم، وفي وقت كانت الحاجة ماسة لمن يطيعه ويلتف حوله في مواجهة تلك الحروب المنهكة التي واجهها لكنه كما نوقن كان يؤسس لحاضر الأمة ومستقبلها بينما لم يبدأ الغرب في الاهتمام بقاعدة الحق الطبيعي ولا عن الحقوق المتبادلة إلا في العصور الحديثة.

قال الدكتور مصطفى صفوان في ترجمته و تعليقه على كتاب (العبودية المختارة) «أول نص تشريعي صاغ فكرة القانون أو الحق الطبيعي هو موسوعة القانون الروماني التي قام بجمعها و تبويبها وتعريف تصوراتها الأساسية والإشراف على تحريرها بأمر من الأباطور جوستينيان إمام رجال القانون في عصره تريونيان حيث يبدأ النص بهذا التعريف: قانون الطبيعة هو القانون الذي غرسته



الإلهي ونزول العقاب الذي يبدأ عادة في ساحة الاختبار الدنيوي المتمثل في الهزات الاجتماعية و الزلازل السياسيّة التي تلحق بهذه الأمة أو تلك و التي حذر منها الإمام عليّ عليه السلام بقوله هنالك (اِخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْأَذْغَالُ فِي الدِّينِ) ناهيك عن طمع الأعداء في الهيمنة على رقاب المسلمين و القضاء على دينهم.

ومن المهم هنا أن نذكر أن هذه القواعد التي وضعها الإمام ونبّه إلى أهميتها تخالف المألوف والسائد في مدرسة الفكر العربي السياسي المنسوبة إلى الإسلام والتي تجعل من الخنوع للطغاة والجبابرة والحياة في ظل الاستبداد والتماهي مع ما يفرضه على مجموع الأمة من ظلم وقهر وسلب ونهب (إلا أن اتروا كفرا بواحا ليس لكم من الله فيه سلطان) عملا صائباً تحتمه ضرورة الحفاظ على حرية الأمة واستقلالها في مواجهة أعداء الإسلام والدين، ومن المخجل أن أحداً ممن يطلقون على أنفسهم بالمفكرين الإسلاميين المستنيرين لم يحاول أن يعالج هذه القضية معالجة علميّة أو فكريّة أو أخلاقيّة حتى بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية تحت

الاحتلال الأمريكي الغربي الصليبي عام ٢٠٠٣، بعد أن جاء هذا الاحتلال رافعاً شعار مطالبة العرب بإقامة الديمقراطية وكأنه يخرج لسانه للعرب قائلاً: (قمنا باحتلالكم لأنكم لا تستحقون شرف الاستقلال ولأنكم ارتكبتم الأخطاء التالية) بقيت تحليلات هؤلاء السادة تراوح مكانها ولا تريد مغادرة مدرسة الغوغائيّة السياسيّة وطرح المسألة كلها في إطار الصراع الأزلي بين الإسلام والكفر وكفى وأننا نحن المسلمين لم نرتكب أي أخطاء توجب نزول هذه الكوارث بنا رافعين شعار (لا للإصلاح لا للتصحيح نعم للعصبيّة المذهبية نعم للعصبيّة القبلية نعم لحروب الإبادة والقبور الجماعية وأخيراً كذاب ربيعة خير من صادق مضر والاحتلال على يد عدلي خير من الاستقلال على يد سعد!!!).

لماذا لم يحاول هؤلاء السادة الاستفادة من تجارب وأخطاء الماضي القريب أو البعيد؟؟.

إنهم يعبدون الطغاة ويعدّون المساس بهم كفراً وخروجاً عن الدين والملة ويزداد ولوغهم في عبادة الفرد الطاغية



وتولهم به إذا كان من رافعي شعار (أهل السنة والجماعة)، فهذا الطاغية المسمّى صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب) قد جرى رفعه فوق عنان السماء؛ لأنّه تمكن من إخراج الصليبيين من القدس عام ٥٨٤ للهجرة والأهم من هذا أنه قضى على الدولة الفاطمية ونكل بالمذهب الشيعي في كل مكان طالته يده ثم انتهت به الأمور إلى أن عاد الصليبيون إلى القدس في اتفاقية استسلام وقعها أبناؤه عام ٦٢٦ للهجرة مع الملك أنبروزو هذه المرة من دون أن تراق قطرة دم دفاعاً عن القدس مما يعني أن الأمم المقهورة والمستعبدة لا يمكن لها بل ولا تقدر على الدفاع عن استقلالها وها هو الحاكم الفرد (جمال عبد الناصر) الذي جاء إلى الحكم عام ١٩٥٢ في انقلاب عسكري أسهمت في صنعه جماعة الأخوان المسلمون وعاشت البلاد في ظله تحت حكم فردي استبدادي لا مكان فيه للرأي الآخر ولو حتى من رفقاء السلاح الذين حملوه إلى الكرسي أو رفقاء الجماعة الذين أقسم على السمع والطاعة لهم يقود العالم العربي والإسلامي إلى تلك الهزيمة الفاجعة المسماة بنكسة ١٩٦٧ التي تسببت في

احتلال أجزاء واسعة من العالم العربي واحتلال القدس من الصهاينة والسبب دائماً هو ذلك النظام الذي يرى نفسه في معركة طاحنة مع أبناء شعبه ويرى فيهم أعداء قائلين أو محتملين فلا يقرب إلا الفاجر حيث تذلّ الإبرار، وتعرّض الأشرار، ولا يرقى أو يرتقي إلا البارعون في فن النفاق أو التزلف أو أساتذة الانحناء الخضوع أو الماهرون في جلب البغايا و بائعات الهوى وتقديم المتعة الرخيصة (لقادة الأمة) وعندها يقع المحظور الذي حذر منه الإمام (وَتَرَكْتُ مَحَاجَّ السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عَلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمٍ حَقَّ عُطْلٍ، وَلَا لِعَظِيمٍ بَاطِلٍ فِعْلٍ) وأخيراً فهناك فاجعة العراق التي لم تحرك ساكناً لدى أولئك المتمرسين على فنون الرشوة والنفاق. ولك أن تلاحظ دقة الصياغة في كلمات الإمام علي عليه السلام لنظرية الحقوق الإلهية المتكافئة والمتبادلة (ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ) فهذه الحقوق متكافئة في وجوهها وعلى سبيل



المثال فحق النظام في قبض الخراج أو الضرائب يقابله حق الناس في ضمان حقوقهم واحتياجاتهم الأساسية من العلاج والتعليم والأجر العادل وواجب النظام في حفظ الأمن وحقه في تعاون الناس معه حفظاً لها الأمن يقابله حق الناس في معاملة قانونية لائقة وكريمة وفقاً لقانون عادل ومنصف وليس وفقاً لقانون الغاب المسمى بالأحكام العرفية الذي يبيح لهذا النظام أو ذاك اعتقال الناس وسجنهم بلا محاكمة وقتلهم إذا رغب في ذلك وحق النظام أو الوالي في طلب الدعم والمساندة من الناس لا بد أن يقابله إقراره بحق الناس في المشاركة واحترامه لقيمة صوتهم الانتخابي وإلا ترك النظام لينزع شوكة بنفسه واكتفى الناس بالتفرج والمشاهدة على ما يجري من حولهم.

يقول الشهيد السعيد آية الله محمد باقر الصدر (كلما جسدت علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان العدالة والابتعاد عن أي لون من ألوان الظلم والاستغلال من الإنسان لأخيه الإنسان كلما وقع ذلك ازدهرت علاقات الإنسان مع الطبيعة وفتحت الطبيعة عن كنوزها وأعطت المخبوء من ثرواتها ونزلت البركات من السماء وتفجرت الأرض بالنعمة والرخاء. إن علاقة الإنسان مع الطبيعة تتناسب تناسباً طردياً مع ازدهار العدالة في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان. فكلما ازدهرت العدالة في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان ازدهرت علاقات الإنسان مع الطبيعة وكلما انحسرت العدالة مع الخط الأول انحسرت ازدهار عن الخط الثاني وهذه

إن تغافل النظم الحاكمة وخاصة تلك التي جاءت إلى السلطة على أسنة الرماح عن القيم الأخلاقية وعدم اكتراثها بها وبعمامة الناس واكتفائها بالأداة الباطشة وجوقة المتفعين المحيطة والأجهزة الأمنية الباطشة والأجهزة الإعلامية التي لا هم لها إلا تحسين الصورة صورة الحكام



العلاقة ليست ذات محتوى غيبي فقط ولكنها سنة من سنن التاريخ بحسب مفهوم القرآن الكريم لأن مجتمع الظلم مجتمع ممزق مشتت، الفرعونية على مدى التاريخ تستهدف تمزيق طاقات المجتمع و تشتت فئاته و بعثرة إمكاناته بينما يعمل المثل الأعلى على توحيد البشرية^(١).

موقع الإمامة من نظرية الحقوق:

قال الإمام محمداً المسلمين على حرية الكلمة (فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ) من النفاق أو تلك الصيغ المستخدمة في تقديم الخطاب مع الجبارين و المستكبرين ثم ينبههم إلى أن الخوف لا يكون إلا من الله وحده لا من أولئك الذين اعتادوا على التنكيل بالأحرار و من يجهر بالحق: (وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ) والأهم من هذا أن كلمة الحق لا بد أن تجد الاستجابة اللازمة والاهتمام الكافي من ولاة أمر المسلمين وإلا تصبح هذه الحرية نوعاً من الصراخ في الفضاء (وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَّمَسَّاسِ عِظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتِثْقَلَ

الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ) لأن الواجب يحتم على النظم الحاكمة الاستجابة لما يعرض عليها من المشورة الصائبة (فَلَا تَكْفُؤْا عَنْ مَقَالَ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةِ بَعْدَل، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أَخْطِئَ، وَلَا أَمِنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَا اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا).

وهنا سيطرح ذلك السؤال عن عصمة الإمام أين هي من هذا الكلام (لست في نفسي بفوق أن أخطئ) ولماذا لم يقل الإمام أنا معصوم ولا أنطق إلا بحق ولا أقول إلا الصدق والواقع أن هذا الخطاب صدر من الإمام وهو في موقع الحاكم والحاكم عليه أن يستخدم آليات الحكم وعندما وقف الإمام في موقع المقاتل استخدم السيف والإمام متأس بالرسول الذي استخدم الآليات البشرية التي يستخدمها البشر المكلفون في حياتهم الاعتيادية في مواجهة كل ما واجههم من صعوبات وتحديات وهو يخاطب الناس بلغتهم



لغة الحياة وليس لغة الغيب والتكليف الإلهي كما أن الإنسان لا يعاب إذا نزل عن موضعه الذي يستحق الارتفاع إليه من أجل أن يعلم الناس حقوقهم وواجباتهم وما لهم وما عليهم، بل يعاب من أنزل نفسه منزلاً ليس له فالذي يتحدث هنا هو الإمام عندما وقف موقف الحاكم وإذا كان الإمام الحاكم قال هذا وفعله وممارسه فما بال من هم أقل منهم شأنًا يترفعون عن إعطاء الناس حقوقهم و يترفعون إلى منزلة لا تحق لهم بل ويحاولون مساماة الله في عظمتهم وانظر إلى فرعون وكل الفراعنة من بعده وهو يقول (يا هامان اجعل لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) !! و يبقى أن كلمة الإمام (إني لست في نفسي بفوق أن أخطئ) لا تصدر إلا من إمام من أئمة الحق فالذي يمكن له أن يقول مثل هذا الكلام واحد من ثلاثة أصناف من البشر الأول هو ممن على شاكلتنا من عامة البشر الذين لا يحتاج الناس أن يسمعوهم منهم مثل هذا الكلام وإلا عدّ نوعاً من الكبر والغرور والصنف الثاني هم الطغاة المستبدون الذين لا يمكن لهم أن يقدموا

على أي نوع من التواضع خوفاً من اجترأ الناس عليهم والنوع الثالث هم أئمة الحق الذين يريدون تدريب الناس على القول به والجهربالعدل والذين لا يضيرهم على الإطلاق هذه الحرية لأنّها لن تكشف المستور أو تبدي ما يتعين ستره وإخفائه من عيوبهم قدر ما تظهر حقيقة ما يجري في دنيا الناس مما ينبغي أن يكون واضحاً ومعلناً وهذا هو ديننا الذي لا نشكّ فيه.

إنّ هذه الكلمات العلويّة المضيئة وتحديد لها لطبيعة العلاقة بين طرفي النظام السياسي (الحاكم و المحكوم) في إطار عقد متبادل بين الفريقين يضمن لكل طرف حقه حتى يتمكن في النهاية من أداء مهمته وتحقيق بغيته وحتى تبقى هذه العلاقة في إطار المشاركة المتوازنة بدلاً من أن تنزلق إما إلى نزاع مفتوح بين الفريقين أو إلى عقد إذعان من طرف لصالح طرف آخر كما هو الحال في النظرية السياسيّة السائدة في عالمنا الإسلامي منذ أن نجح التحالف القائم بين (جبابرة بني أمية و فقهاء الطابور الخامس) في إزاحة أهل البيت ﷺ وما يمثلونه من قيم عن قيادة الأمة بصورة يظنونها نهائية وقد



وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار الواردة عن رسول الله ص فإن مات الخارج على هؤلاء الأئمة مات ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل هذا فهو مبتدع على غير السنة و الطريق صلاح الصاوي الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٤٠^(١).

ويزيد الدكتور المذكور طينه بلة فينقل عن العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام (إذا تفاوتت رتب الفسوق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسقا مثل إن كان فسق أحد الأئمة بقتل النفوس و فسق الآخر بانتهاك الأبضاع و فسق الآخر بالتضرع بالأموال قدمنا المتضرع للأموال على المتضرع للدماء والأبضاع فإن تعذر تقديمه قدمنا المتضرع للأبضاع على من يتضرع للدماء وكذلك بترتيب التقديم على الكبير من الذنوب والأكبر والصغير منها على اختلاف رتبها فإن قيل أيجوز القتال مع أحدهم لإقامة ولايته وإدامة

تمثل هذا النظام السياسي الإذعاني في خطبة الافتتاح التي ألقاها معاوية بن أبي سفيان عند استلامه السلطة وقد ذكرناها في غير موضع (أتظنون أني قاتلتكم لتزكوا أو لتصوموا أو لتحجوا؟؟ إنكم لتفعلون وإنما قاتلتكم لتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون) ثم تبلور هذا النهج بعد هذا في نصوص فقهية شكلت ما يمكن أن يسمى بالفقه السياسي لأهل السنة والجماعة ذلك الفقه الذي تأسس في حقيقة الأمر من أجل تحقيق هدف وحيد هو الحيلولة بين الناس وبين الاستلهاهم من تراث أهل البيت أو الالتفاف حول قيادتهم حيث ينقل أحد فقهاءهم المعاصرين هو الدكتور صلاح الصاوي عن أحمد بن حنبل في اعتقاده (السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع عليه الناس و رضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أميرا للمؤمنين والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر منهم و الفاجر وقال أيضا ومن خرج على إمام المسلمين

(١) صلاح الصاوي، الطريق إلى جماعة المسلمين، ص ٤٠.



تصرفه مع إعانتته على معصيته قلنا نعم دفعا لما بين مفسدتي الفسوقين من التفاوت ودرءا للأفسد^(١).

إنه - إذن - فقه الخنوع والخضوع والإذعان لقوة القاهرة جرى إسباغ القداسة عليها يطلق عليها هؤلاء (الحاكم المسلم) حيث لا حقوق مضمونة للرعية ولا حتى حق الحفاظ على ممتلكاتهم أو أعراضهم أو دمائهم فما بالك بحق الاختيار الذي جرى القفز عليه عندما جرى إقرار مبدأ شرعية سلطة المتغلب وهي حالة لا نعتقد أن علاجها من مسئولية خبراء القانون والسياسة بل هي من مسئولية الأطباء النفسيين والغريب أن هؤلاء قد أعرضوا عن هذه المبادئ الرائعة التي نتحدث الآن عنها سواء من الناحية النظرية مثلما أعرضوا عن ذكر تجربة الإمام علي عليه السلام وجهاده من أجل تأسيس هذه المبادئ في أرض الواقع باعتبار أن الأمر كان فتنة طهر الله ألسنتهم من الحديث عنها كما طهر عقولهم من كافة أنواع العلم والفكر (!!) ولكنهم حتى لم يحاولوا الدفاع عن أعراض المسلمين عندما قبلوا

و شرعوا أن يحكمهم المتعرضون للأبضاع و منتهكي الحرمات تحقيقا لما يسمونه مصلحة الإسلام والمسلمين.

و يبقى أن هذه النقطة تحديدا وهي الإذعان المطلق للقداسة المزيفة لذلك (القاتل الزاني اللص) الذي قدمه لنا العز بن عبد السلام و تلميذه صلاح الصاوي في صورة الإمام الذي يتوجب له السمع و الطاعة هي من بين المطاعن التي يتلقفها الغربيون للجزم باستحالة الالتقاء بين الإسلام و الديمقراطية و كما يقول جون مونرو في تعليقه على ندوة عقدت في واشنطن بحضور عدد من الخبراء الأمريكيين (إنه وبالإشارة إلى كل تلك الملاحظات السخية عن الإسلام وتاريخه المجيد من قبل الخبراء الثلاثة الذين أكدوا في معرض أحاديثهم احترامهم العميق للدين الإسلامي إلا أن هناك قضية تغاضوا عنها فيما عدا دانييل بابينز (أحد كبار المسئولين في إدارة جورج بوش الآن ٢٠٠٣) الذي طرق بقوة نقطة مهمة وهي المتمثلة في أن من المبادئ الأساسية في الدين الإسلامي الطاعة في جميع الأحوال، برغم وجود أي



(١) صلاح الصاوي، الطريق إلى جماعة المسلمين، ص ٦٨.



إنه لما يؤسف له أن تكون هذه هي الصورة المنقولة إلى الغربيين عن الإسلام والمسلمين الذين يجذون الطاعة تحت كل الظروف و الوضع و برغم الأدلة المتناقضة في كثير من الأحوال و الواقع أننا لا نعتقد بضرورة أن يعتنق العالم كله الإسلام و لكننا نعتقد بواجبنا في تقديم صورة حقيقية عن هذا الدين و ما قدمه أئمة الحق و العدل من كنوز فكرية و أخلاقية للعالم أجمع إن لم يكن حتى بعنوان (الإمامة كما نرى نحن) فليس أقل من أن ما قدموه يمثل تراثا ثريا في مجال الفكر و الأخلاق اتخذناه وراعا ظهريا.

كيف تأسس فقه الخنوع و الإذعان و التغلب:

ليس سرا تلك الطريقة التي جرى بها تداول السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ولا الطريقة التي جرى بها استخلاف أبي بكر بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه و آله عن هذه الدنيا فقد انعقدت خلافته بخمسة أشخاص هم كل من حضروا اجتماع سقيفة بني ساعدة، إذ قال الماوردي في كتاب «الأحكام السلطانية» (تنعقد

دلائل متناقضة. وهذا الأمر يشترك فيه كل من المسلمين المعتدلين والأصوليين إذا ما أرادوا أن يكونوا من المسلمين الصالحين. إن الطاعة ليست من القيم التي يجذبها ويقدرها الغربيون أكثر من غيرهم.. ولكن القيمة الأعلى في ميزان القيم الغربية هي الحرية.. الحرية لأن نفكر وأن نتصرف وأن نؤمن بما نود أن نؤمن به، طبقا لما يمليه عليه عقل وضمير الفرد. إنه وبالطبع، فإن كل حرية كانت من مصادر سيئات الغرب، كما كانت من مصادر سعادته وحسناته، ولكن ليست هذه هي القضية. إن الإسلام والغرب قد يشتركان في نظام القيم نفسها في نقاط عديدة. ولكن كل من الغرب والإسلام ينظران بطريقة مختلفة إلى الله وإلى العالم الذي خلقه الله. وهذا، علي ما يبدو لي، هو السبب الرئيس لمصادر الاحتكاك والعزل فيما بينهما. ومن هنا، فإن دانييل بايس علي حق تماما، لأن هؤلاء الذين يصرون علي النظر إلي العالم من خلال عيون الأنبياء بدلا من تبني نظرة الواقعيين (البراجماتيين) سيتسببون في المتاعب، بغض النظر عن ادعائهم بأنهم يمثلون إرادة الله)



الإمامة من وجهين أحدهما باختيار أهل الحل والعقد والثاني بعهد الإمام من قبل وقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد بهم الإمامة على مذاهب شتى فقالت طائفة لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحل والعقد في كل بلد ليكون التسليم به عاما وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها وقالت طائفة أخرى أقل من تنعقد بهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها واستدلوا على ذلك ببيعة أبي بكر التي انعقدت بخمسة اجتمعوا عليه ثم تابعهم الناس وقال غيرهم بل ستة أشخاص لأن عمر جعل الشورى في ستة) ص ٧.

والواقع أن الإمام علياً عليه السلام علق على تلك البيعة بقوله

إذا كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشiron غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصومهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

أي أن النصاب القانوني لمثل هذا الاجتماع لم يكتمل لعدم حضور من يتعين دعوته لاتخاذ هكذا قرار وبالتالي فهو فاقد للأهلية القانونية التي تمكنه من

البت في مصير الأمة فضلا عن السؤال الجوهري عمن عين هؤلاء في وظيفة أهل العقد والحل ومنحهم حق تقرير مصير الأمة والمشiron غيب ويكفي أن نعلم أن عليا والعباس لم يحضرا لنعلم أي منقلب انقلب هؤلاء القوم. ثم حدث ما هو معلوم من تسليم السلطة من أبي بكر إلى عمر بعهد منه وربما قائل أن هذا العهد جرى نتويجه برضا الأمة ولكن الشورى الحقيقية تقضي أن تكون المداولات قبل اتخاذ القرار ثم ازداد الموقف تدهورا عندما تمت البيعة للإمام علي عليه السلام واجتمع معسكر المبغضين للإمام يشكون في شرعية خلافته بعنوان طلب الثأر لمقتل عثمان وقد امتد هذا التشكيك ليشمل مواقف الإمام علي من المتمردين عليه ووصف الأمر كله بأنه فتنة لا يعلم فيها وجه الصواب من الخطأ واتجه فريق المشككين هذا إلى تحريم قتال المسلمين مهما كانت الأسباب ومهما ارتكبوا من جرائم ثم انتهى بهم الأمر ليصبح مجرد الانتماء للإسلام موجبا لطاعة هؤلاء الملوك مهما ارتكبوا من جرائم تنقض انتماءهم للإسلام من جذوره ومحرمات على الناس التمرد عليهم طالما حافظوا



الآخر فدنوت منه فقلت له أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل و نقتل أنفسنا و الله يقول و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله و اعصه في معصية الله^(١).

سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم و يمنعوننا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثانية فجذبه الأشعث بن قيس و قال اسمعوا و أطيعوا فإنما عليهم ما حملوا و عليكم ما حملتم^(٢).

عن عوف بن مالك: خيار أئمتكم الذين تحبونهم و يحبونكم و تصلون عليهم و يصلون عليكم و شرار أئمتكم الذين تبغضونهم و يبغضونكم و تلعنونهم و يلعنونكم قالوا قلنا يا رسول الله أفلا

على انتمائهم الشكلي للإسلام و الأهم من هذا أنه منحهم سلطات مطلقة لارتكاب ما يحلو لهم من جرائم من أجل تدعيم سلطتهم اللامشروعة ثم جرى انتقاء تلك النصوص الأموية المهلهلة و المليئة بالثقوب و وضعها في تلك الكتب المسماة بالصحاح و من هنا نشأت أجيال و أجيال ترى ذلك الخضوع و الخنوع هو الدين ثم ازداد الطين بلة عندما ظهر خوارج العصر و استطاعوا اختراق هذه النصوص و تفسيرها لصالحهم و لصالح مشروعهم الدموي و الغريب أن أحدا لم ينتبه إلى حقيقة بالغة الأهمية وهي أن منتجي هذه النصوص كانت لهم مواقفهم المؤيدة للنظام الأموي الجائر أو الخاذلة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والتي دفعتهم إلى صياغة فقه الخنوع أو ما نسميه نحن بفقه الطابور الخامس.

نماذج من هذه النصوص

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (من بايع إماما فأعطاه صفقة يده فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث ١٠١٦.

(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث، ١٠١٧.



ننازدهم عند ذلك قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية ولا ينزعن يدا من طاعة^(١).

جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرية ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال إني لم آتكم لأجلس أتيتمكم لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ص قال من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له و من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.

عبد الله بن عمر يبايع لبني أمية بالرغم من رفضه البيعة لعلي عليه السلام (عن عبد الله بن دينار قال شهدت ابن عمر لما بايع الناس عبد الملك بن مروان فكتب إليه إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله و سنة رسوله ما استطعت و إن بني قد أقرؤا بذلك)^(٢).

فقه الطائور الخامس يوجب ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و

العودة عن مواجهة الظالمين: عن أبي موسى (تكون فتنة النائم فيها خير من المضجع و المضجع فيها خير من القاعد و القائم فيها خير من الماشي و الماشي فيها خير من الراكب و الراكب فيها خير من الساعي قتلاها كلها في النار قلت أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جليسه قال فما تأمرني إن أدركت ذلك قال اكفف نفسك و ادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرايت إن دخل على بيتي قال فادخل مسجداً و اصنع هكذا و قبض بيمينه على الكوع و قل ربي حتى تموت على ذلك^(٣).

عن أبي موسى أيضاً (إن بين يدي الساعة فتنة كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً و يمسي كافراً القاعد فيها خير من القائم و الماشي فيها خير من الساعي فكسروا سيوفكم و قطعوا أوتاركم و اضربوا سيوفكم بالحجارة قال فما تأمرنا قال كونوا أحلاس بيوتكم^(٤). إذن فقد أسس هؤلاء القوم لمدرسة

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث ١٠٢٣

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج ١٣، ص ٢٠٦.

(٣) الفتن و الملاحم، ابن كثير، ص ٦٩ - ٧٠.

(٤) الفتن و الملاحم، ابن كثير، ص ٧٢ - ٧٣.



فقهية وفكرية لا يمكن لها أن تتج إلا فريقاً من الأحلاس الفاقدين لكل نخوة ومروءة العاجزين عن القيام بأي تغيير أو النهوض لتغيير أي منكر أو نصرة أي مظلوم في انتظار أن يصدر أحدهم فتوى بكفر هذا الحاكم أو ذاك لأن أبا هريرة روى أن (من جاءكم ليفرق جمعكم وأنتم على قلب رجل واحد فاضربوه بالسيف كائنا من كان) ولا شك أن معارضة أي نظام حاكم أو انتقاد سلوكياته وتصرفاته الجائرة مثل تصرفات معاوية بن أبي سفيان ستعد تفريقاً للشمل و تفريقاً للصف تستوجب أشد أنواع العقوبات صرامة وعندما حاول هؤلاء الرواة تبرئة ذمتهم قالوا أطعه في طاعة الله واعصه في معصيته وكيف يمكن القيام بهذه المهمة المستحيلة مع من استباحوا حرمان المسلمين يوم الحرية وغيرها و لماذا المعارضة وهم يزعمون أن رسول الله ص أمر بطاعة هؤلاء طاعة مطلقة ما أقاموا الصلاة وما أسر هذه المهمة علي نظام جائر لا يهيمه ولا يمانع أن يمضي الناس وقتهم كله في الصلاة معطين ما لقيصر لقيصر وما لبني أمية بني أمية وما لله الله. ونواصل قراءة (الإمام) وهو يعرفنا

بالمصلحة الحقيقية الممكن تحقيقها من خلال الحفاظ على قيم العدل (عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء) فالعدل والتوازن وحده هو الكفيل بالحفاظ على كيان الأمة في مقابل أعدائها وعلى ثروتها ورخائها والأهم من هذا الحفاظ على تماسكها الخلقي ورفعتها المعنوية هذه وحدها هي المصلحة وهي العكس المطلق لما فعله أزام بني أمية ثم يحدد الإمام الآثار الخطيرة الناتجة عن اختلال هذا التوازن القائم بين الوالي والرعية عندما يتجاوز أي من الطرفين على حقوق الطرف الآخر وهو ما يسمّى بالطغيان (اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الأذغال في الدين، وترك حجاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل! فهناك تذلل الإبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد). عندها تنقلب الموازين الاجتماعية فتصبح طليعة المجتمع من قياداته الفكرية



والأخلاقية في المؤخرة ويتقدم المنافقون والأزلام والإمعات وأشباه الرجال إلى المقدمة لا لكفائتهم بل لقدرتهم على ممارسة التلون والتزلف والنفاق والخاسر هو الأمة جمعاء خسارة قيمية ومادية واجتماعية.

إننا نسوق هذا الكلام لهؤلاء الغوغاء الذين أقاموا الدنيا ولم قعدوها دفاعاً عن طاغية العراق الذي أذاق شعبه المسكين شتى صنوف الذل والهوان والإبادة الجماعية والفردية فكانت النتيجة أن اختلفت الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وطمع الأعداء ووجدوا الفرصة سانحة لاحتلال العراق وهي النتيجة الكارثة القابلة للتكرار في كل بلد يقع فريسة لهذا الظلم والطغيان ولا يجد من يرد هذا الظالم عن ظلمه.

إن هذه النظرية التي طرحها الإمام علي بن أبي طالب هي ما أخذت به المجتمعات الديمقراطية، إذ قال الباحث الأمريكي ملفين يورو فسكي (لا بد أن يكون لكل المجتمعات العصرية رئيس تنفيذي قادر على القيام بمسؤوليات الحكم، بدءاً من الإدارة البسيطة لبرنامج

ما، وحتى قيادة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن أيام الحرب. لكن يجب التنبه إلى وجوب إعطاء مثل هذا المسؤول ما يكفي من الصلاحيات للقيام بمهامه، وفي الوقت نفسه، الحد من سلطته كي لا يصبح دكتاتوراً. يرسم الدستور في الولايات المتحدة، حدوداً واضحة لصلاحيات الرئيس. وفي حين يُشكّل منصبه أحد أقوى المناصب في العالم، فإن قوته تنبع من رضى المحكومين ومن قدرة شاغل البيت الأبيض على العمل بانسجام مع سلطتي الحكم الآخرين. الأمر المهم، هنا أيضاً، ليس كيفية تنظيم عمل الرئاسة، ولكنه القيود المفروضة على ذلك المنصب بموجب مبادئ متبعة مثل مبدأ «الفصل بين السلطات». في الحكم الديمقراطي، على الرئيس أن يحكم مُعتمداً على مهاراته السياسية، ليقم إطار عمل للتعاون مع السلطة التشريعية، ولكن في المقام الأول مع الشعب نفسه. في نفس الوقت، يجب أن يشعر المواطنون بالثقة من أن القيود الدستورية تضمن أن يكون الرئيس، أو رئيس الوزراء، خادماً للشعب لا سيده).

الإمام يقرر حق المعارضة:



ثم يقرّر الإمام حقّ الشعب في المعرفة وواجبه في أن يقدم للحاكم أو الرئيس المشورة الواعية العادلة التي لا يمكن تقديمها إلا من خلال إتاحة الإمكانية لأبناء الشعب وخبرائه ومثقفيه للحصول عليها فيقول: (فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ، وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَّمَسَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكْفُفُوا عَنْ مَقَالَ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أَخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي) وهو نفس ما يقرره هذا الباحث عن حق الشعب في أن يعرف فيقول (قبل هذا القرن، إذا أراد الناس أن يعرفوا كيف تعمل حكوماتهم، كانوا يتوجهون إلى مقر الاجتماعات للإصغاء إلى المناظرات والمناقشات. أما اليوم، فهناك بيروقراطيات ضخمة معقّدة، وقوانين وأنظمة يقع بعضها في مئات الصفحات، وعملية تشريعية، حتى ولو كانت خاضعة للمحاسبة من قبل الشعب، قد تكون مبهمة ليسمح لأكثرية

الناس بفهمها. في النظام الديمقراطي، على أعمال الحكم أن تكون شفافة قدر الإمكان، أي أن المداولات والقرارات يجب أن تكون متاحة لتدقيق الناس. من الواضح أنه لا يجوز أن تكون كل أعمال الحكومة علنية، ولكن للمواطنين الحق في معرفة كيف تُصرف أموال الضرائب التي تجبى منهم، وما إذا كانت المحاكم تتمتع بالكفاءة والفعالية، وما إذا كان المسؤولون المنتخبون يتصرفون بمسؤولية. إن كيفية توفير مثل هذه المعلومات تختلف بين حكومة وأخرى، ولكن ما من حكم ديمقراطي بوسعه العمل بسرية تامة). ملفين يوروفسكي أوراق الديمقراطية وزارة الخارجية الأمريكية.

والأهم من هذا أن الإمام لا يجعل من المعارضة انتقاصا من قدر الرئيس أو القائد أو الإمام و بالتالي فهو لا يجعل من الإمام ذلك الإله الذي لا (يسئل عما يفعل و هم يسئلون) فهذا لله وحده دون سواه

وأخيرا يعطي الإمام القدوة من نفسه بقبوله واحتماله للنقد وأن هذا النقد المستند لقاعدة الإخلاص للدولة الإسلامية يصب بكل تأكيد في خانة



تبصير النظام بالأخطاء تفاديا للوقوع فيها أو تصحيحها لها قبل أن تستفحل وتأخذ شكل الكارثة التي لا يمكن تصحيحها فأين هذا من نظرية الحكم المعتمدة لدى إخواننا من أهل السنة و التي يزعم بعضهم أن الممكن تحويلها بقرار إلى نظرية ديمقراطية تماما مثلما يحلم البعض بتحويل رمال الصحراء إلى ذهب؛ لأنّها تشبه الذهب في لونه بينما كان البعض الآخر أكثر صدقا وإفصاحا عن نواياه السلطوية عندما أعلن استحالة حكم العرب و المسلمين ديمقراطيا ولا شك أنه يعبر عن حاله ويصف نفسه ولا يصف الإسلام الحقيقي إسلام أهل البيت عليه السلام بأي حال.

ويبقى أن الإمام عليّ بن أبي طالب كان يؤسس تأسيساً نظرياً مبدئياً بما تحتمله أدوات ذلك العصر الأول التي لم تكن تعرف الآليات الديمقراطية التي استحدثها العالم فيما بعد ولو أتيحت له الفرصة لوضع هذه المبادئ والقواعد في أرض الواقع لما وصل حال المسلمين إلى ما هو عليه الآن من تخبط وديكتاتورية جرى التأسيس لها باسم الإسلام والدين ويبقى أيضا أن كل ما يقال عن غيره من

احترام حرية الرأي ومساواة بين الناس هي محض مبالغات لا أساس لها و يكفي كل هؤلاء أن الذين دفعوا الخليفة الثالث عثمان بن عفان لرأس الأمة الإسلامية كانوا عالمين بأنه سيحمل بني معيط على رقاب الناس وبتحذيرات رسول الله صلى الله عليه وآله المتتالية من بني أمية و رغبتهم العارمة في التحكم في الرقاب وفي الثروات (إذا بلغ بنو العاص ثلاثون رجلا اتخذوا مال الله دولا و عباده خولا و دينه دخلا) وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل (راجع كتابنا عن الجمل وفقه الطابور الخامس).

وأخيراً نرى الإمام في وصيته لمالك الأشتر لما ولاه أمر مصر يؤكد له على أهمية التواصل المباشر مع الجماهير المستضعفة من أصحاب المظالم والشكاوى ممن يلحق بهم الظلم أكثر من غيرهم لضعفهم واجترأ الأقوياء عليهم وما يغلب على ظن هؤلاء المستكبرين من أن هؤلاء البسطاء غير قادرين على إيصال صوتهم لصاحب السلطة على عكس المقرّين من دوائر السلطة من كبار القوم ومن هنا يصبح هذا الاتصال المباشر ضرورة من ضرورات تحقيق العدل في أي نظام سياسي فيقول (واجعل لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ



الأخرى: أن العقد الاجتماعي هو الوسيلة الشرعية الوحيدة لإنفاذ هذه الحقوق وليس القهر والغلبة كما هي رؤية مدرسة الإجرام الأموي التي جندت جيوش المرتزقة وكلفتهم بالافتراء على رسول الله ﷺ ونسبة هذه الأكاذيب إليه ثم سطرت بعد ذلك كتباً وفقها يؤسس لحق إلهي مزعوم لابن آكلة الأكباد وبقيّة الطغاة والمجرمين!!.

كما أن سريان العقد الإلهي الاجتماعي وامتداده يقوم على أساس تبادلي متكافئ فيحصل كل طرف من أطراف العقد على حقه المشروع في ظل القانون الإلهي الكوني الذي يعطي كل طرف حقه وإلا حل الغضب الإلهي وحلت النقمة بمن ظلموا أنفسهم ومنعوا الناس الحق فاشتروه وهذا معنى كلامه سلام الله عليه (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقتَدَوْهُ) ^(١).

قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (عليه و على آله الصلاة و السلام) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ». ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ وَنَحَّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ، يَسْطُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِيَ مَا أُعْطِيََتْ هَنِيئاً، وَامْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ).

الذي نخلص إليه من خلال هذه الوثيقة التي سطرها الإمام علي عليه السلام أن الحكم في الإسلام يجمع بين النظرتين:

الأولى: نظرية الحق الإلهي وهو حق للحاكم والمحكوم وليس للحاكم دون المحكوم.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٧٧



فكرة العدالة عند الإمام عليّ عليه السلام

إدريس هاني



باحث ومفكر إسلامي
(المغرب)





مقدمة

ليست العدالة قضية ثانوية في ضمن قضايا أخرى في تدبير عليّ عليه السلام للمدينة، بل هي قضية مركزية تلخص مساراً طويلاً وحافلاً بالتضحية. كان علي بن أبي طالب شهيد العدالة الإنسانية، قد بذل كل الوسع في إيقاف زحف التحريفة، والانقلاب الأوليغارشي الأموي الذي خطط على مدى سنوات لاختطاف المشروع النبوي، المشروع الذي جعل من العدالة مقصداً أسمى: ليقوم الناس بالقسط^(١).

لم يضع عليّ وصايا نظرية عن العدالة فحسب، بل قاد حروباً مختلفة عن تلك التي ركن إليها الأموي طلباً للخراج، أعني فتوح البلدان. ولقد كان بالفعل وكما ذهب ابن حزم، حروب علي الداخلية من أجل الفتوح؛ لأنها فتحت الضمائر والعقول وأرست معالم العدالة الإنسانية، إذ وجدت في هذه المعركة غاية تسمو عن خطط الفتوح نفسها.

فلقد أبت الأوليغارشية الأموية أن تسلم لعليّ خوفاً من مؤسسة العدالة، فكانوا أكثر وعياً بما ستؤول إليه الأمور، وأن النموذج العدلاقي الذي كان عليّ يسعى لإرسائه كان حريّاً أن يجعل حركة الفتوح تقوم ليس على القوة الخشنة واستجلاب الخراج من دون استصلاح البلدان، بل كان عليّ فيما لو استقام له الأمر بالطاعة أن يفتح البلدان بالقوة الناعمة التي تقوم على عامل الجذب وقوة النموذج. لقد كان المستضعفون في الأرض يومها يتطلعون إلى الانعتاق وإلى نموذج عادل. وكانت الحركة الأموية قد أدت دوراً بتوافق مع البزنطيين لاختطاف المشروع الإسلامي وإعاقة الحركة العلوية حتى لا يقوم هذا النموذج الذي كان الأمويون أكثر وعياً بمآلاته.

حين تصبح قضية العدالة هي قضية نكون أو لا نكون، فهذا وحده يفسّر لماذا لم يتسامح علي بن أبي طالب مع الأمويين، حين رفض مشورة بعض من أصحابه

(١) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ / الحديد: ٢٥





بالإبقاء على معاوية طلباً للاستقرار. وكان عليّ مدركاً أكثر من حوله بأنّ دولة من دون عدالة لا يمكنها أن تستقر إلاّ على أساس العنف، كما أدرك بأنّ السماح لمعاوية ليلة واحدة، هو تطبيع مع الظلم، فكان منذ البداية حاسماً في موقفه من العدالة. ومن هنا كان هو زيناً وشرفاً للخلافة وليس العكس^(١).

ترقى العدالة هنا ليس إلى قيمة القيم بالمعنى الذي تصبح ميزاناً للقيم نفسها، بل هي حين تكون عنوان التضحية تصبح قضية أنطولوجيّة لا فكاك عنها، فمن دونها يكفّ الوجود أن يكون خيراً محضاً. وعلى هذا الأساس كان من

(١) جاء في ترجمة علي عليه السلام في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمة علي عليه السلام بإسناده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين، فذكروا خلافة أبي بكر و خلافة عمر بن الخطّاب و خلافة عثمان بن عفان فأكثرُوا، و ذكروا خلافة عليّ بن أبي طالب و زادوا فأطالُوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في عليّ و الخلافة، و الخلافة و عليّ، إنّ الخلافة لم تزَيّن عليّاً، بل عليّ زَيَّنّها. وعليه، ذكره سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص: و حكى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، أنّه كان يقول: و الله ما زانت الخلافة عليّاً، و لكن هو زانها. انظر تذكرة الخواص: ج ١، ص ٢٤٥، ناشر: المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، مركز الطباعة و النشر؛ مكان چاپ: قم - ايران

(٢) يقول ابن عباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام: والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم، إلّا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً. انظر: نهج البلاغة، ص ٧٦، دار الكتاب اللبناني، ط ٤، ٢٠٠٤، تحقيق د. صبحي الصالح



العدالة عند الإمام علي في كونه خطاباً نابعاً من داخل شروط مجتمع وسيطي مرتين للنمط الإقطاعي والعبودي. كيف يسعى حاكم في هذا السياق التاريخي لتأسيس دولة العدل؟ إنَّ الفكرة المستفادة من هذه الواقعة، هي أنَّ الثورة على أنماط اجتماعية تاريخية في حقبة محكومة بالنمط العبودي، هي فضلاً عن كونها ثورة سوبر - تاريخية، هي محاولة تهدف إلى خلق علاقة مثالية من داخل النمط الاجتماعي - التاريخي. لم يكن الإمام عليّ يسعى لفرض إرادة مثالية من خارج الشروط الواقعية، ولكنه كان يحمل مسؤولية مزدوجة، إحداها تتعلق بالمتلقي من جيله والثانية ترسل رسائل مطوية للمستقبل، هكذا بات خطاب الإمام عليّ بن أبي طالب معاصراً، ويمكن استقباله من منظور أكثر نضجاً بلحاظ التحولات الجديدة في تاريخ الأفكار والثورة السياسية الحديثة ومفاهيم علم السياسة والفلسفة السياسية المعاصرة. ولا نجد أولى من بسط رؤية الإمام علي بن أبي طالب للعدالة من خلال نهجه العملي وتعاليمه المتفرقة ووصاياه لعمّاله على الأقاليم وفي مقدمتها عهده لعامله

على مصر: مالك الأشر، وهو عهد لا نكاد نجد له نظيراً فيما جاء في تاريخ العهود السياسية، ويكشف عن أنَّ عهد صالح لكل العصور، ويعكس الفلسفة السياسية للعدالة والدولة والإدارة عند الإمام عليّ.

في النظام السياسي الانتخابي، وجب الأخذ بالحسبان العناصر الاجتماعية والثقافية، إذ تعزز المقاربة الأثرولوجية السياسية مفهوم البنية المركبة للفعل السياسي حتى في مجتمعاتنا المعاصرة. يضعنا علم الاجتماع السياسي لموريس أمام هذا التركيب الذي يمنح الطاعة قيمة سياسية بالنسبة للسلطة المركزية. فالطاعة هنا بالمعنى السياسي الذي تفرضه الحكومة الشرعية التي يتمتع فيها الحاكم، وتخوله سلطات يقوم بها تدبير المدينة. تحسّر عليّ بن أبي طالب، وهو الحاكم بعدم الطاعة في بيئة متمحضة لمفهوم العصية والغلبة. وكان في مقدوره أن يستند إلى العصية والشوكة بالمعنى الخلدوني لعبارة، ويقبل بالتحالف مع معاوية، لكن عليّ لو كان همّه السلطة - أو القتال عليها كما اتهمه ابن تيمية في المنهاج نصبا - لما كان في حاجة لمناهضة



معاوية. لقد أراد أن تكون الطاعة مبنية على مفهوم الشرعية، أي طاعة من خولت له الحكومة صلاحيات الإدارة. فالذين أفسدوا عليه رأيه بعدم الطاعة ليسوا أحراراً؛ لأنهم سيخضعون لغيره شرّ خضوع. لا توجد ثقافة سياسية لا تنطوي على خضوع. يذهب دوفيرجي إلى أنّ ما من ثقافة قائمة إلا وهي خليط من ثلاثة أنماط مجردة: ثقافة رعائية، وثقافة الخضوع، وعناصر من ثقافة المشاركة^(١). التفت الإمام عليّ إلى حقيقة وجود إمكانيات لقيام ثقافة المشاركة، واستعمال أمثل لتلك العناصر التي تبدو متناقضة، والتي تنطوي عليها الثقافات السياسية. فلقد كان يميل إلى نمط الطاعة المبنية على الشرعية وليس على الإكراه.

عن أي سياسة نبحت في حكمة عليّ بن أبي طالب؟

خاض الإمام علي معارك على مستويات متعدّدة، فعلى مستوى تثبيت الدولة، ناهض الفوضوية الخوارجية، وعلى مستوى تثبيت العدالة، ناهض

الأوليغارشيا الأموية. ولعله من قوام عدله أنّه ميّز بين الاتجاهين، كنظامين سياسيين، عادداً دعوى الأوائل نابعة من سوء تقديم لمعنى الإمارة، على حين عدّ دعاوى الآخرين بوصفها خداعاً.

وجد الإمام عليّ معارضة من داخل الصف الذي راهن عليه في مقاومة الأوليغارشيا الأموية، لقد وجد نفسه يقاوم مشروعاً استراتيجياً في شروط صعبة، آخرها انشقاق شريحة من جنوده، وقعت ضحية اليأس، ولم تصمد أمام مغالطات الإعلام الأموي، فتكونت أولى ملامح الفوضوية السياسية وفكرة اللادولة. ففي التحكيم أوهم عمرو بن العاص نظيره أبا موسى الأشعري بأهمية خلع الاثنين: معاوية وعلي معاً. والحقيقة أنّ النزعة الأنارشية واللدولية، هي في الأصل مشتركة بين أبي موسى الأشعري الذي وافق على خلع الاثنين، وبين الخوارج الذين خلعاها أيضاً بناء على شعار: لا حكم إلا لله.

قاوم عليّ هذه الحقائق، ولكنه بدأ

(١) موريس دوفيرجي: علم اجتماع السياسة، ص ٩٤، تـ: سليم حداد، ط ٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م



يشعر بالخذلان النابع من الجهل وقوة الدعاية الأموية وتغلغلها في الرأي العام. فلقد أكد للخوارج بأن الحكم لله هي كلمة حق لا مرية في ذلك، ولكنه لا بدّ من قيام الدولة بغضّ النظر عن قيمة الحاكم، وذلك نظراً لتوقّف النظام العام على قيامها ومركزيتها. حرب علي على الخوارج كانت حرباً على الفوضوية العملية وليس على النوايا، وفي الوقت نفسه كان يخوض حرباً على الاستبداد والأوليغارشية لقد قال للخوارج بعبارة تلخص أهمية الدولة ومركزيته، إذ لا يمكن قيام العدل في غياب الدولة. يقول: «كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة، فإنه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرة المؤمن، ويستمتع فيا الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقا تل به العدو، وتأمّن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القويّ، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر»^(١).

حين وضع علي بن أبي طالب مداميك فكرة الدولة، مناهضاً شكلاً عنيفاً من الفوضوية السياسية، عاد ليعزّز من فكرة العدالة، ويعلّل مقاصدها ويعيد تأسيس فلسفة العدالة وعلاقتها بالحكمة والتدبير.

إنّ الاستبداد والجور لن يحققا البديل في إرسال استقرار الاجتماع السياسي، فلا محيد عن العدل ولا بديل عن الإنصاف، فـ «ليس في الجور عوض من العدل»^(٢) ولا يوجد حكم أفضل من الحكم العادل: «العدل خير الحكم». بل هو في نظر، أفضل السياستين. ويمنح علي بن بي طالب بُعداً إستيقياً للعدل، إذ جعله فضلاً عن كونه قوام الرعاية، بمنزلة جمال الولاة. فالبعد الجمالي في تدبير السياسة حاضر في منظور علي بن أبي طالب لفكرة العدالة، فجعل العدل شرطاً في ثبات الدولة: «ثبات الدولة بإقامة العدل»، وهو الشكل العقلاني من الحكومة، فالعدل من العقل: «غريزة العقل تحدو

(١) نهج البلاغة، خ ٤٠، ص ١٨ (م، ن)

(٢) هذه الكلمات وما يليها عن العدل والجور، من غرر الحكم، انظر الريشهري في ميزان الحكمة (م، س) ج ٣.



عهد الامام عليّ لمالك الأشتر^(١)

يحاول طه حسين أن يعذر مجتمع الفتنة الكبرى بكونهم كانوا يجهلون الدستور. والحقيقة في خطاب عليّ بن أبي طالب تؤكد أنّ القوم يدركون العدل وقد رأوه، ولكن هناك نزعة ضدّ القيم والمروءة، هي باعث هذه الفتنة. إنّ عهد عليّ لمالك الأشتر يظهر معرفة هذا الجيل بأعظم موثيق الاجتماع السياسي، لكن الإرادات المتصارعة على الاستئثار بالسلطة والمقاومة التاريخية للإقطاع، أخّرت انتصارات عليّ بن أبي طالب الذي أرسى أعظم دستور سياسي عملي لا زال يملك فلسفة سياسية حيّة، هي غاية لكل دساتير العالم المعاصرة. وعند مراجعة هذا العهد ندرك أنّ الخطاب الذي غلب على الفكر السياسي الإسلامي التاريخي هو الآداب السلطانية والسياسة الشرعيّة التي لا ترقى إلى مضمون ذلك العهد العلوي، الذي يحتوي على روح القوانين، وينطوي على فلسفة سياسية حقيقية، مع أنّه ظلّ عهداً مغيباً، وهو ما يؤكد أنّ العقل

على استعمال العدل». بل ربط بين العدل والبركات: «بالعدل تتضاعف البركات»، وأيضاً عمارة: «ما عمرت البلاد بمثل العدل».

ليس العدل قيمة نافلة في تدبير الدولة وسياسة الرعيّة، بل هو من الواجبات التي يتحقق بها الأمن وتنمو بها البلاد ويتزين بها الاجتماع السياسي. وهذا يعني أنّ عليّ بن أبي طالب، لم يكن يهدف بهذا التوجيه بيان ما تزدان به الحكومة وتقوى فحسب، بل يحمل مفهوماً عن أسباب سقوط الدّول وانهيار العمران البشري أيضاً.

حين نقف على توصيات عليّ بن أبي طالب لعامله مالك الأشتر، ونقف على سياسات التدبير في دولة الأوليغارشيا الأمويّة، ندرك الفارق الكبير الذي ستدفع ثمنه التاريخي سمعة الإسلام الذي أراد له عليّ أن يكون ثورة من أجل العدالة الاجتماعيّة، في حين أراد له معاوية وبنوه أن ينحو منحى الاستبداد والشّطط في استعمال السّلطة والاستئثار والظلم.

(١) الكلمات المعتمدة تباعاً في هذه الفقرة، هي من وصية عليّ بن أبي طالب لعامله على مصر مالك الأشتر النخعي، المصدر السابق، ابتداء من ص ١٣٨.



السياسي العربي تجاهل واحدة من أهم العهود التي كان من المفترض أن تحضر في المشاريع الأيديولوجية لنقد التراث، إذ اختزل بعضهم - كما فعل محمد عابد الجابري - العقل السياسي «الإسلامي» في عهد أردشير وتأثيره، من دون أن يستوقفه عهد علي لمالك الأشتر بتفاصيله التي كان يفترض أن تؤكد على اللامفكر فيه في العقل السياسي العربي، وكذلك اللامفكر فيه في مقاربة هذا العقل، كما كان بالإمكان أن تجنب الجابري اختزال العقل السياسي العربي في تجربة علي بن أبي طالب فيما سماه بعقل العقيدة، في نوع من التبرم عن حكمة علي السياسية، إذ كيف نحكم على سياسة علي من خلال الدعاية الأموية من دون أن نطلع على آرائه السياسية وعهده لمالك الأشتر؟ هناك تواطؤ بين الواقع التاريخي والمشاريع الأيديولوجية التي أسهمت في إعادة إنتاج الرؤية التقليدية الآبية للتوقف عند التراث الآخر، وتسعى للتسوية «العقلاني» لأسوأ ما في التراث. ما خفي على معظم من تجاهل الأسس الدستورية التاريخية في تجربة الإمام علي، هو أنه بنى على الدستور العرفي الذي شكّل مرجعية هذا الخطاب

السياسي.

يقدم عهد الإمام علي لمالك الأشتر نموذجاً لمشروع دولة حقيقية تنطوي على فلسفة في الحكم، يرقى بها إلى الوظيفة التربوية للدولة كما ذهب هيغل. إنَّ العهد يظهر بالفعل ما سيظهره حفيده الإمام زين العابدين فيما بعد، في رسالة الحقوق، وهنا سنجد العهد يتطرق لحقوق الرعية والشعب على الحاكم؛ لأنَّ الخطاب موجّه لعامله، وبالتالي فهو يحثّه على واجبات الحاكم وشكل الحكامة الضرورية في إدارة الشأن العام. إنّه لا يتحدث عن الجبايات فحسب بل يتحدث عن العمارة أيضاً: الجباية مقرونة بالعمارة، ويجعل من العمارة هدفاً أساسياً في التدبير، وهو ما يؤدّي معنى التنمية في مفهمتنا المعاصرة. يذكر الإمام عليّ مالك الأشتر بانتظارات الناس، فالقضية ليست حقيقية وزارية وتوليّ منصب في السلطة، بل القضية تكمن في كيفية الاستجابة لانتظارات الناس، ولا سيما وقد مرت عليهم سياسات سابقة، من عدل وجور. ويذكر عامله أن يتنزل منزلة الناس يوم كان مواطنًا ينتظر من الولاة ما ينتظرون،



مركب من المؤمنين والإنسانيين معاً، بل إن الدين في تعاليم الإمام علي هو ارتقاء بالمعاني الإنسانية إلى أقصى ما يطلبه الإنصاف والعدل. ولقد جعل الرابطة الإنسانية من السياسة والعدل في تدبير الحكومة، فالناس في نظره: «صنفان، إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق». جمالية الحاكم وإيثيقا الحكم وتقنية الحكامة، ترقى بالحكومة إلى شكل من الطوبى التي تنزل للمرة الأولى مداركها في تجربة الحكم العلوي، فالناصح هنا ليس مستشار الأمير - كما هو حال ميكافيل - بل هي نصيحة الحاكم الفعلي لعامله على مصر. فهو خطاب تربوي للحاكم يذكره بالرحمة والمحبة واللطف تجاه الرعية، فهذه الأخيرة معرضة للأخطاء، والزلل والعلل، والمطلوب حينئذ أن لا يُدار المجتمع وفق مقارنة أمنية مشددة، بل يرسي الإمام علي ثقافة للتسامح والصفح ويسعى لتنمية علاقة بين الحاكم والمحكوم مبنية على الثقة، وهو ما يؤمن الاستقرار والسلم المجتمعي. فلقد تضمن عهد الإمام علي لملك الأشتر خطاباً من شأنه القضاء على كل أشكال الشطط في استعمال السلطة.

ويقول فيهم ما سيُقال عنه اليوم. وهذا درس في التناوب السياسي في النظام الديمقراطي على الرغم من اختلاف السياقات. إن المسؤولية تكليف يراعي انتظارات المجتمع: «ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم».

ففي الفلسفة السياسية لعلي بن أبي طالب في خطاب العهد لملك الأشتر، تكمن نزعة الأنسنة، عنواناً للحكم الرشيد. لقد كانت دولة علي هي دولة الإنسان، والمواطنة فيها تستمد مشروعيتها من هذا المشترك. لقد انتقد علي بن أبي طالب التوحش في الحكم في سياق تاريخي يعتبر فيه الحكم مكسباً لا يتقيد بحكمة ولا انتظارات، هكذا وجه خطابه لملك: «ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم».

ويلعل ذلك بأنهم في كل الأحوال، يشتركون معك في الدين أو في الإنسانية، فمجتمع علي بن أبي طالب هو مجتمع



على أن هذا العهد قد يتنزل في صورة أنظمة تماما كالدستور، ويمكن أن ينتج تكاملا في المهام والقطاعات والسلط، يقول: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك».

إنّ الزهو بالشطط هو من أسباب انهيار الدول وخراب العمران، والاحتياط هنا مهم حتى لو أنّه خالف الواقع. إنّ في روح هذا التوجيه يمكن استلزام التخفيف من جمود البيروقراطيات، لا سيما في العقوبات، وهو ما يرشد إلى المحاكمة العادلة وحكمة القضاء في دولة العدل. أما الحاكم، فإن عفا، فهذا موقف وإن لم يترك أثارا في القريب فهو يترك أثارا في البعيد؛ لأنّ العفو محمود على كلّ حال. ففي القانون الجنائي لاندامة في عفو ولا تبجح في العقوبة، ومن هنا يخاطب الإمام عليّ مالك الأشر:

«ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع

فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير».

لقد أسس الإمام علي لاهوت تحرير جعل الله في فلسفته السياسيّة ضامنا للعدالة، وحارسا للضمير ورقيا على الجوانيّة في التدبير. وهذا ما يميز المدرسة العدلية في الإسلام عن غيرها، فالله في نظر عليّ بن أبي طالب مع الشعب والمجتمع، فالله خصيم وحرب على من ظلم عباده، وهو لهذا السبب راعى في عمّاله الورع والتّقوى. إنّّه يلخص مفهوم لاهوت التحرير في مجال إدارة الحكم بالقول:

«ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب».

لم توجد مثل هذه العبارة في التاريخ الأوربي الوسيط، حين كانت الكنيسة تبارك الإقطاع، وتجعل الدين في تأويلها شاهد زور على الظلم، وكان الله في التأويل الكنسي الوسيط داعمًا للشطط في السلطة، وهو ما أحدث ردود فعل تاريخيّة، أسهمت في إبعاد الدين عن السياسة، لكن مؤرخ الأفكار السياسيّة، سيحار حينما يجد عبارة مثل هذه في عهد



الإمام علي لمالك الأشر، يجعل فيها الله ضامنا للعدل، وأن الله مع الجماهير. وعليه، فإنّ رضى المجتمع غاية الحكم، وبأنّ رضى عامة الناس مقدّم على رضى الخاصة:

«وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يحجف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة».

لا يعني هنا بالخاصة الأقليات، فمجتمع علي لا توجد فيه أقلّيات، لأنها مشمولة في المشترك المزدوج: إمّا الرابطة برسم الدين أو الرابطة برسم الإنسانيّة، ولكنه يقصد الخاصة والمحيط. ولقد كانت علاقة عليّ بن أبي طالب بالخوارج مثالا لدولة الحق والقانون، فلقد كانوا مواطنين كاملي الحقوق، فضلا عن أنه كفل لهم حقّ التعبير عن الرأي.

لقد ذمّ عليّ خواص الحاكم، وحذّره من تقديم رضاهم على رضى الرعية، معتبرا أنّ قوام الأمة هي العامة، وأمّا الخاصّة فهي تعاني من داء الانتهازية، ولكنها غير قادرة على الصمود في

البلاء، ففي تاريخ الاجتماع السياسي، كانت الخاصّة دائما أوّل من يخذل الحاكم والأكثر توريطا له في مقام الاستشارة وتقدير الموقف:

«ليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكرا عند الاعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملهمات الدهر، من أهل الخاصّة». وفي مقابل ذلك تظّل العامّة هي المعوّل عليها في قيام الأمم وحصانتها؛ ذلك لأنّ «عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم». في العهد الحديث للدولة الترمويّة، هناك عناية فائقة بالطبقة الوسطى، رمز الاستقرار وهدف التنمية الأساس. وكان مجتمع الإمام عليّ بن أبي طالب هو مجتمع العدالة، وحينئذ لا يمكن الحديث عما هو تحت خطّ الفقر. لقد جاء في سيرته أنّه كان يكنس كل يوم بيت المال، إذ لا يسمح بأن يكون في بيت المال دائق على حين أنّ في المجتمع جائعاً، وهو القائل: كيف: «ولعل في اليمن من لا عهد له بالشعب».



ففي الدولة الحديثة وعلاقات الإنتاج القائمة على الاحتكار والاستثمار يكون أمرا كهذا خطرا على الموازنة وتهديدا للتوازن الماكرو - اقتصادي والاحتياطي من العملة، غير أن الأمور تُقرأ في سياقها التاريخي والأنماط السائدة للإنتاج، حيث الاقتصاد الوسيطى القائم على الربح والنمط العبودي، فتعين إذاً مقارنة الأمر من وجهة نظر المضمون والمقاصد، أي محاربة الهشاشة وتمكين الفئات من الانخراط في الدورة الاقتصادية. وهكذا رفع الإمام عليّ شعار: «لو كان الفقر رجلا لقتلته»، وذلك في سياق تثبيت سياسة اجتماعية لتحسين المجتمع من الهشاشة والفقر، وتعزيز دولة العدالة ومجتمع الإنسان والكرامة.

لقد قدّم علي بن أبي طالب في عهده ذاك تصوّرا عن الكفاءات المنوط بها عملية التدبير، وذلك من خلال بناء مجتمع التسامح والرخاء المادي والمعنوي، واستبعاد المقاربة الأمنية الصلبة في التدبير، أي خلافا لمنهجية معاوية التي كانت تأخذ المواطن بجريرة ظنية: «خذوهم بالتهمة والظنة»، فإنّ عليّ بن أبي طالب دعا إلى إرساء سياسة نزع الحقد، وتحرير المجتمع من عقدة الأحقاد، وهو هنا يرسى مفهوم عن الدور التربوي للدولة، ويربط بين الحقد والسياسات: «أطلق عن الناس عقدة كل حقد. واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين».

لقد كان من الطبيعي أن يتوفّق العالم الإسلامي في العصر الوسيط من حيث مراكمة الذهب والفضّة، بقوة الفتوح والخراج، وحيث قلّما وُجد له منافسا غير بيزنطة كما ذهب فرناند بروديل، تلك السكوكات كانت هي «وسائل

(١) فرناند بروديل: الحضارة المادية والاقتصاد الرأسمالي: ص ٦٠٧، ج ١، ترجمة: مصطفى ماهر، ط ١ - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م.



التربوي والطبائع البشرية وبين التدبير السياسي، فليس بالضرورة أن تكون السياسة الفاسدة مقصودة بسوء نية، بل قد تكون انعكاساً لطبائع راسخة في تكوين الأشخاص. وهكذا نهى أن يتولّى المشورة البخيل والجبان والحريص الطمّاع، فكل هذه خصال مشتركة في تعزيز سوء الظن بالله: «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».

إنّ دولة علي بن أبي طالب تشجّع الكفاءات وتثمن المبادرات وتكرّم النبوغ، وهذا يدخل في الوظيفة التربويّة للدولة، حيث التّكريم يساعد على مزيد من الإحسان في العمل، والتجاهل يُضعف التنافس في العمل الصالح، بل هو في مثل هذه الحالة تدريب على الإساءة، فوجب عدم التسوية في الفضل والتقدير بين من أتقن العمل ومن أهمله، بهذا تتحقّق تنمية المجتمع وتطور الكفاءات: «ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك ترهيداً لأهل الإحسان

في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه». على السياسة الرشيدة أن تعزز من السنن النّافعة، وتبني عليها في طلب مزيد مما يعززها لا مما هو ضارّ بها. إن انتهاك سنن الأولين الصالحة، يُحمّل الحكومة وزر نقضها على حين يُؤجر من سنّها، وتبقى سمعته في سجل التاريخ طيبة. فلا يُصار إلى تبديل السياسات إلّا بما هو أنفع وأبقى: «ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها. والوزر عليك بما نقضت منها».

إنّ دولة علي بن أبي طالب لا تنتكّر للنخب والمثقفين والعلماء، بل المطلوب أن يقدموا أفكاراً وتقارير علميّة لبناء أفضل السياسات. فالسياسة لا يمكن أن تكون جُزافية، بل لا بدّ من خضوعها للمُدارسة. فدور العلماء والخبراء أساسي في تعزيز صلاح البلاد: «وأكثر مدارس العلماء ومنافثة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك».

لقد قسّم علي بن أبي طالب طبقات المجتمع إلى أقسام، وهي طبقات لا



يستغني بعضها عن بعض، وهو يقصد قطاعات الدولة، مثل الجند والقضاء والتجارة والصناعة، ولكل هذه الطبقات سهمه بمن في ذلك «الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة».

إنّ هذه السياسات هي الداعم الأساسي لفكرة الوطنية، وتعزيز الشعور بوحدة المصير، فبقدر تفقّد أحوال الرعية يحصل الودّ، فلا ينبغي تحقير لطف «تعاهدته بهم»، إنّما كل هذا ينتج وحدة الموقف، فيكون «همهم همّا واحداً في جهاد العدو». لقد حرص الإمام عليّ على وضع مداميك حقيقية للوطنية، إذ لا يكفي التواجد في الأحياء الجغرافية المشتركة، فالفقر الذي ناهضه الإمام عليّ من موقع الحكومة، هو خطر يهدد الشعور الوطني بحيث يجعل الهموم متفاوتة، فالفقر في منظور الفلسفة الفلسفة السياسيّة للإمام عليّ، هو غربة في الأوطان: «الفقر في الوطن غربة». ولا أخطر من الفقر في تدمير النسيج الاجتماعي، وهي نظرة متقدّمة فيما يتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعيّة كشرط لتحقيق الحرية والكرامة، بل هي من حقوق الإنسان الضرورية. وهذا من

شأنه أن ينزع الغلّ من صدورهم، وتحقيق المودة التي لا تقوم على النفاق، بل وإنه «لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاية أمورهم، وقلة استئثار دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم. فافسح في آمالهم».

وضع عهد علي بن أبي طالب خارطة طريق للحكم الرشيد، وأمّا مضامينه فهي غنية لو وضعنا أمامها المفاهيم الكبرى لعلم السياسة والحكمة، إنّها غاية ما تصبوا إليه الفلسفة السياسيّة. إنّ من يتوفرون على الكفاءة الحقيقية للإدارة قليلون، وهم ناذرون في النوع، وقد يكون من الخطأ وضع من لا يتمتع بملكة التدبير في مقام إدارة شؤون الناس، كمن يضيق صدره إزاء قضايا الناس أو من يشطّ ويغضب ويطمع، ولا بدّ من المحاسبة الشديدة، فصفاة من يستحقون الحكومة والاستوزار ليست متاحة، بل لا بدّ من الاجتهاد في الاختيار: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتماهى في الزلة، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا



عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزهيه إطرأ ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل».

يدعو علي بن أبي طالب من ناحية أخرى إلى الفسح في البذل للتخفيف عن أولئك العاملين في إدارة الحكم لكي تقل حاجتهم إلى الناس، وهي سياسة علوية سابقة في محاربة الرشوة وأسبابها، بل ويدعو إلى تقريبهم من الحاكم لكي لا يطمه فيه غير الحاكم من خاصته. كما دعى إلى اختيار العمال اختبارا لا محابة أي حكم الكفاءات: «وتوخ منهم أهل التجربة والحياء».

إن الدولة الرشيدة تسلط جهاز استخباراتها لمراقبة يوميات تدبير السلطة والإدارة في دوائر العمل وعلى المسؤولين أنفسهم في إطار ما يُعرف اليوم في الحكامة السياسية باقتران المسؤولية بالمحاسبة، وتفعيل آلية الرقابة، وهذا من روائع ما اشتمل عليه عهد الإمام علي لملك

الأشتر، لا سيما حين يقول: «ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدودهم لهم على استعمال الأمانة والرفق بالريعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة».

لهذا ونظائره من الشواهد حاربت الأوليغارشيا الأموية علي بن أبي طالب، لأنه أراد أن يمسس الدولة وأجهزة الرقابة على المال العام والإدارة، وتغيير الثقافة السياسية لكي تكون الطاعة على الشرعية لا بالشوكة والقوة. وكان ابن تيمية قد شطّ في ذلك شططا بعيدا، حين وصف عليا بالمخذول والمقاتل على الرئاسة لا للديانة، كما فعل في المنهاج، مانحا الحق لمن يكره عليا ويسبّه وليس أن يجعل من علي وسيرته معيارا كما أخرج غير واحد منهم النسائي عن ابن سعيد الخدري: (إنما كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا). بل يرى ابن تيمية في منهاج السنة ن عليا



قاتل الناس على طاعته لا على طاعة الله
مريدا العلو في الأرض والفساد.

وجعل ذلك دليلاً على أفضلية
معاوية على عليّ في الفتوح، هذا في
حين انشغل عليّ بإرساء فلسفة الحكم

الرشيد، وتنمية مركز الدولة وإصلاح
العمران والقضاء على طبائع الاستبداد
الأموي والفوضى. وقد تطرق ابن حزم
في رسالته حول الفتوح، بأنّ حروب علي
من أجل الفتوح، حيث يقول: «ثم فتح
عليّ عليه السلام قتل الخوارج، وهو كما تقدم
من أجل الفتوح، لأنهم كانوا لا يرون
طاعة خليفة، ولا يرونها في قرشي، وكان
ضررهم معلوماً»^(١).

لم يكن همّ الإمام عليّ البحث عن
الخراج واستغلال الفتوح في إطار مشروع
ونزعة ميكرونتيلية استعمارية، بل كان
همّه بناء أمة وتوحيد همومها على أساس

الحرية والعدل. وسنجد أن طريقة تدبيره
للخراج، تعكس الفلسفة السياسية
العلوية نفسها، فالخراج هو فرصة
لإصلاح أصحاب الخراج أنفسهم،

الخراج من أجل التنمية والعمارة، وأنّ
نهب الخراج والمال العام هو خراب
للعمران. فهو يوجه عامله على مصر
لكي يحسن تدبير الخراج واستعماله في
إصلاح البلاد وتنميتها:

«وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله
فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن
سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم،
لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.
وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من
نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك
لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج
بغير عمارة أضرّ البلاد وأهلك العباد،
ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا
ثقلًا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو
إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها
عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح
به أمرهم».

لقد كان عليّ بن أبي طالب يدرك أهمية
رفع الفقر عن المجتمع وإدخال كل الفئات
في الدورة الاقتصادية. وكان يمتلك فكرة
كافية - سيكتشفها الاقتصاد السياسي

(١) رسالة في جمل فتوح الإسلام، ج ٢، ص ١٢٦، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات
والنشر، بيروت ١٩٨٧



الحديث متأخراً - بأن ما يكون من سعة البذل والعطاء للرعية سيعود على البلاد بالنفع وسيساهم في التنمية وتعزيز الدورة الاقتصادية. إن سياسة علي بن أبي طالب هي المقاومة الدائمة للفقر، حيث ترى فيه أم المصائب في الاجتماع البشري، فلا يقال أن التوسعة في البذل للمجتمع خطر يهدد الاقتصاد، فالسياسة الاجتماعية هي مناطق قوة المجتمع وتماسكه:

«ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبور».

كان علي بن أبي طالب مشغولاً ببناء

مجتمع حقيقي وتعزيز دولة المؤسسات التي تنهض بالعدل، فهو وإن كان في سياق اجتماع سياسي قروسطوي مرتين لأنماط إنتاج تاريخية ما قبل المرحلة الصناعية، إلا أنه حرص على تمكين التجار والصناع، ودور الدولة في تمكينهم من تنمية أوضاعهم. لم يقف ماكس وبر على عهد الإمام علي ممالك الأشرار، ليعرف بالفعل كيف أن المفهوم البيروقراطي والمؤسسي للدولة، والعناية بالتجارة والصناعة، هي جزء أساسي في قيام دولة العمارة والتنمية العلوية. وهذا على الأقل كان بإمكانه أن يخفف من الحكم القطعي بدور البروتستانتية في بروز الرأسمالية في مقابل شيوع النزعة السحرية في الإسلام. لا يوجد في مدونات البروتستانتية عهد في تدبير الدولة والمجتمع كعهد علي بن أبي طالب ممالك الأشرار، حيث يقول: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلاها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم



لا تخاف بائقته، واصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. اعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضره للعامة وعيب على الولاة. فامنع من الاحتكار فإن رسول الله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقب في غير إسراف.

لم يكن هدف الإمام عليّ إطلاق مشروع فيودالية متوحشة على طريقة الأمويين، لا تلتفت في سياستها إلى من هم تحت خط الفقر، فلقد خاطب عليّ عامله مالك الأشتر في مرحلة تاريخية ما قبل الرأسمالية والثورات الاشتراكية التي ناضلت قدر الوسع لانتزاع بعض الحقوق والسياسات الاجتماعية من داخل الرأسمالية، لا سيما بعد الخميس الأسود الذي كاد يطيح بالرأسمالية لولا تدارك الأمر بتنفيذ مخطط كينز الذي منح الدولة دوراً أكبر في العملية الاقتصادية وحماية السياسة الاجتماعية. إن الطبقات السفلى في دولة عليّ بن أبي طالب لهم سهمهم،

وهناك في دولته سياسة لتدبير حاجاتهم. دولة علي بن أبي طالب هي دولة رعاية اجتماعية للضعفاء ودوي الاحتياجات الخاصة والمسنين وممن ليست لهم حيلة، فهم موضوع عناية وتفقد. إن هذه السياسة الاجتماعية تبدو ثقيلة، لكن عليّ بن أبي طالب يذكر عماله بأن الحق كله ثقل :

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً. واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، وفرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج



وكان معاوية وخصوم علي يدركون أنّ مروءة عليّ وهو إمام المتّقين مانعة من نكث العهود، فاعتبروا أنّ المكر والغدر هما أقصر الطرق للنيل من عليّ. وكان عليّ يؤكّد مراراً بأنّ خصمه ليس بأذكيّ منه ولا أمكر، ولكنه فقط يغدر ويخون العهد. إنّ الوفاء لما تمّ التعاقد عليه مع العدوّ هي من روائع الفلسفة السياسيّة عند علي بن أبي طالب، إنّها تعزز المصداقية والثقة، وينطلق عليّ بن أبي طالب من المبنى العقلائي في تعزيز الوفاء بالعقود فضلاً عن الشّرع. فالوفاء بالعقود شاع حتى بين المشركين، وهذا ما يعني أنّ خصوم عليّ بن أبي طالب هم أخطّ في مدارك القيم من الجاهلية الأولى، ومن هنا ندرك كيف نكثوا العهد ع ابنه الحسن فيما بعد. يقول الإمام عليّ:

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحطّ عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من

إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل والحق كله ثقيل».

طالب عليّ بن أبي طالب من خلال عهده لمالك الأشتر بأن يخصص الحاكم لذوي الحاجات، جلسات خاصة يبعد عنهم فيها كل مظاهر التسلط حتى يستطيعون مكالمته غير متوجسين «فإني سمعت رسول الله يقول في غير موطن: (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعت)». كما اعتبر طول الاحتجاب عن الرعية نوعاً من الضيق: «وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعتك، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور. والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل».

العدل وفاء

إنّ العدل يتقوم بالوفاء، ولا يمكن لعادل أن لا يفي. وهذا هو الإنصاف.



عواقب الغدر! فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك».

وسنجد أن علي بن أبي طالب في هذا العهد، يجعل قدسية العهد والتعاقد موصولة بحرّمات الله، حتى لو كانت مع غير المسلمين. في الوقت الذي غدر خصومه بالعهد معه. إن العهود هنا مطلقة، لا تختص بمجال دون آخر، فهي تتعلق بالتعاقدات التجارية كما هو مستفادة في فقه المكاسب، وعقود الزواج، والمعاهدات الدولية. إن الفلسفة السياسية لعلي بن أبي طالب ترمي إلى تعزيز سياسة

دولية قائمة على الوفاء بالعهود واحترام الاتفاقيات، وجعل ذلك من حرّمات الدين.

ولأنّ دولة عليّ هي دولة العدل وبالتالي الحرية والكرامة، وهو كما جاء في دعوة لحفيده الإمام زين العابدين: «اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة»، فإنّها كانت دولة تعايش وتسامح، لا استبداد فيها ولا عنف. وقد أوصى مالك الأشر أن يسلك بهذه الروح في تدبير شؤون الرعية، فنهاء عن سفك الدماء والقتل، وأن لا يقيم حكمه على قتل النفس المحترمة. وقد اعتبر أنّ سياسة القتل وسفك الدماء مزلزلة للدولة، فهي سياسة تضعف الحكم وتزيله، كما حدّر عامله من مغبة أيّ خطيئ تكون نتيجته قتل النفس المحترمة، فإنّه سيخضعه لعقوبة القود كما في القانون الجنائي وأحكام القصاص والديات:

«إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها! والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد



فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانتك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة، فإن في الوكزة فما فوقها مقتل فلا تطمحن بك نخوة سلطانتك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم. وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين».

لا يمكن أن يكون الحكم بناء على حمية أو لحظة غضب، هنا يكون من الرشد تأجيل المبادرة والحكم حتى تهدأ النفس ويكون بمقدرها تشخيص الأمور بروية وعقل. يعطي الإمام علي درسا بيداغوجيا في سيكولوجيا التدبير، ويغلق عليه منافذ وأسباب الاستبداد والعنف، فلقد أكد الإمام علي لملك الأشرع بأن يتبع ما وصاه به وينفذ ما عهد له به، فهو لم يعتبر عهده ذاك مجرد تنظير في فلسفة الحكم، بل حجة مستوثقة وتكليفاً:

«املك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك وغرب لسانك. واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار. ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك. والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها».

ثم يتضمّن دعاء الإمام علي لنفسه ولعامله على مصر أهداف حكومته، حيث يتأكد فيها رضى الضمير ورضى الله والشعب والنمو والكرامة، حيث يقول:

«وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه، من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن



يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، وإننا إليه راغبون والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً». إن عهد الإمام علي لمالك الأشتر هو دستور غنيّ بالمفاهيم السياسيّة الكبرى التي تتعلّق بتدبير السياسة، وقيام دولة الحق والقانون والعدالة الاجتماعيّة. وهو كان يدرك أنّ عهده هذا نقيض للمنهجية الأمويّة القائمة على الظلم واستباحة الدماء وحقوق الرعية، وهو إذ أظهر تحدّيه لمعاوية، كان في الواقع ضدّ نهج خصمه عليّ دفاعاً عن الأمّة، إنه أدرك أنّ معاوية هو خصم تقليدي للأمّة، ليس على مقتضى السياسة كما في تعريف كارل شмит، من حيث هي صناعة العدو، بل هي في منظور علي بن أبي طالب تشخيص عادل ومنصف للعدوّ، حتى أنّه في وصاياه لم يجعل من الخوارج عدوّاً حقيقياً بقدر ما أكد على أنّ العدو الحقيقي المشخص للإسلام وأمتّه هو الأوليغارشة الأمويّة. لقد أدرك عليّ بأنّ العدو الأكبر للأمّة هو الحزب الأموي، لذلك انشغل بهم عن

الفتوح، مما يعني أنّ غاية عليّ هي تحصين الأمّة من التغلغل الأموي وتخريب بنيتها الفوقيّة مهما اتسعت بنيتها التحتيّة نتيجة اتساع الفتوح وتكاثر الخراج. ولقد كانت تلك المعارك الداخليّة التي خاضها عليّ لتحقيق الاستقرار هي من أجلّ الفتوح بتعبير ابن حزم، على أنّ ما يوجب التوقف عنده هنا، هو حصره تلك المعارك في معاركه ضدّ الخوارج، مع أنّ عليّ بن أبي طالب اختلف مع الخوارج في قضية محدّدة، لكن ظلّ عدوّه الأساسي هو حزب معاوية، فكان أحرى أن يقال - لولا ميول ابن حزم الأمويّة - بأنّ حرب عليّ على معاوية هي من أجلّ الفتوح. لم ينشغل عليّ بمعاوية عن الفتوح، بل كان لا بدّ من الإشارة إلى مدى انشغال معاوية أيضاً بعليّ عن الفتوح، وذلك حيث هادن معاوية البنزنيين، ومنح مقابل الصلح للأمبراطور قسطنطين الثاني جزية سنوية. يعلل بروكلمان ذلك بالقول: «وكان على معاوية، عندئذ، أن يساوم على الصلح مع بيزنطة لينصرف إلى قتال عليّ»^(١).

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١٢٥، ترجمة بني فارس ومنير بعلبكي، طبعة ١٩٨١، دار العلم للملايين، بيروت



وهذا يؤكد على أنّ معاوية غزا البلدان الضعيفة وقاتلها على الهيمنة والخراج لا للديانة، لكنها انصرف عن البنظيين ليقا تل عليّ للرئاسة. إنّ عهد الإمام علي لمالك الأشتر يضعنا أمام معالم مشروع طوبى سياسيّة، إلّا أنّ الحقيقة أنّها لم تكن خطاباً طوبايّاً محض، بل تكليفاً واقعياً تنزلت في شكل قوانين وسعت فيه سياسات تنفيذية لم يتأوّه بعدها محروم في دولة عليّ. ومع ذلك يمكن القول بأنّ الدولتين: دولة محمد ﷺ ودولة علي عليه السلام، بقدر تأسيسهما لنموذج طوبوي - نسبة إلى (طوبى لهم وحسن مآب) وليس الدولة الحاملة العصية على التحقق - كانا يهيّآن الأسس ومنظومة القيم الحاكمة في عمليّة انتقالية تاريخيّة، تبحث عن الأمثل في شروط اجتماعيّة وأنماط اقتصادية مختلفة، وقد أوجزت ذلك في عبارة في بحث تحت عنوان: «عقل الانتاج وأخلاقيات العمل، من المدينة الكالفانية إلى المدينة الإسلامية؛ في نقد الوظيفة السوسيولوجية

لقد كان من المفترض أن يمثّل هذا العهد ثورة في فلسفة الحكم والسياسة، بل إنّ تأمّلاً سريعاً في هذا المشروع الذي طواه النسيان والتجاهل، يكفي لنذكر الدوافع الحقيقية لإعلان الحرب أمويّاً على علي بن أبي طالب. إنّ عليّاً كان يسعى لبناء مجتمع حرّ ودولة عادلة، على حين كان معاوية يسعى لتعزيز جبرية دولة الاستبداد ومجتمع مستباح لا يتمتع بحقوقه. لقد جهل وتجاهل الكثيرون هذه الحقيقة واختزلوا الوعي السياسي

(١) ادريس هاني: حوار الحضارات بين أنشودة الثقافة وصرخة الهامش، ص ٧٢، ط ١، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢، بيروت - لبنان

الأموي في خبث طرائقه ودهائه، معزّزين بذلك المفهوم المدّنس للسياسة، حيث تكمن قيمتها في كونها خداع، على حين ارتقى عليّ بن أبي طالب بمفهوم السياسة إلى المقدّس نفسه، بما أنّها تدبير للشأن العام واكتساب لمرضاة الله والشعب والضمير، إنّ من تأمل تلك الشروط التي وضعها عليّ للسياسة في بناء دولة الحق والعدالة التوزيعية، يدرك أنّ السياسة لما جُعِلت له، فإن جُعِلت لخدمة الأمم فهي مقدّسة، وإن جعلت في خدمة المستبد

فهي مدّّسة. وهكذا نجد بعضاً من قراء التراث العربي ونقاد عقله السياسي يتسبون لأحزاب اشتراكية تدعوا للعدالة الاجتماعيّة، ولكنهم في قرائتهم للتراث يعتبرون معاوية أكثر تمرساً في السياسة لأنه تغلّب، على حين أدرك عليّ بن أبي طالب هذه الشبهة في زمانه حين قال: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس».





آليات مكافحة الفساد الإداري
والمالي في الفكر الإسلامي
دراسة في ضوء نهج
الإمام علي عليه السلام.

أ. د. أمل اسمر زبون
جامعة القادسية / كلية الإدارة والاقتصاد



الباحث جعفر عباس رشك
وزارة التربية / مديرية تربية - ميسان





ملخص البحث: -

علي عليه السلام يطبق العدل والمساواة في جميع جوانب الحكم، وكان يرى أن العدل هو أساس الوقاية من الفساد الإداري والمالي. وبناء على ذلك يهدف البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الفساد الإداري والمالي في حكومة الإمام علي عليه السلام، وكيفية الوقاية منه، وآليات مكافحته، وإبراز أهمية الإرث الحضاري للأمة الإسلامية. واعتمدنا من خلال هذا البحث على منهجية البحث الوصفي، وذلك من خلال إجراء المسح المكتبي (الاستقراي) في سبيل بناء الإطار النظري والإطلاع على الكتابات والدراسات السابقة في إعداد هذا البحث، ومن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى جملة من التوصيات، أهمها ضرورة الاهتمام بتنمية الوازع الديني لدى عموم المواطنين للحث على النزاهة ومحاربة الفساد عبر وسائل الإعلام المختلفة، من خلال اختيار الولاة والأمراء الصالحين، إذ كان الإمام علي عليه السلام يحرص على اختيار الولاة والأمراء الصالحين الذين يتمتعون

تعدّ حكومة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نموذجاً فريداً في العدل والنزاهة ومكافحة الفساد الإداري والمالي، وقد وضع الإمام علي عليه السلام أسساً راسخة للوقاية من الفساد ومكافحته، إذ يعد الفساد الإداري والمالي من المواضيع المهمة؛ لما له من جذور تاريخية انتشرت في مجتمعاتنا الحاضرة سواء أكانت النامية منها أم المتقدمة أكان الإمام علي عليه السلام يرى أن العدل والمساواة هما أساس الحكم الرشيد، وأن الفساد الإداري هو خروج عن هذا الأساس، وشدّد الإمام علي عليه السلام على أهمية الأمانة والنزاهة في العمل الإداري، وحذر من استغلال المناصب لتحقيق مصالح شخصية، وأكد الإمام علي عليه السلام على أهمية المسؤولية والمحاسبة في العمل الإداري، ودعا إلى مراقبة أداء الموظفين ومحاسبتهم على أخطائهم. كان الإمام علي عليه السلام يحرص على اختيار الأكفاء للعمل في المناصب الإدارية، وكان يرى أنّ الكفاءة والأمانة هما أساس اختيار الموظفين، كان الإمام





التي تقوّض عمليات التنمية، فهو يعد آفة المجتمعات وهو ليس بظاهرة غير مرغوب بها فحسب، بل ظاهرة خطيرة تقود للفساد الأعظم ألا وهو انهيار الدولة والمجتمعات، ويتناول هذا البحث بشكل عام موضوع آليات مكافحة الفساد الإداري والمالي في الفكر الإسلامي مع التركيز في فكر حكومة الإمام علي عليه السلام لمواجهة الفساد الإداري والمالي.

مشكلة البحث

يعدّ الفساد الإداري والمالي من أكبر المشكلات التي تواجه الحكومات والمجتمعات في الدول النامية والمتقدمة على حد سواء وتقف عائقاً في تحقيق تنميتها المستدامة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث عن أسباب الفساد الإداري والمالي والحد من انتشاره ووضع صيغة ملائمة لمعالجته. من خلال طرح السؤال الآتي: ما هي الآليات المتبعة في منظور فكر الإمام علي عليه السلام؟

٢ - فكرة البحث

إنّ الفساد ظاهرة قديمة قدم البشرية من حيث النشأة والظهور، ولكنها حديثة متطورة ومتجددة من حيث الأساليب

بالتقوى والورع والعدل، ويراقب أعمالهم باستمرار وتطبيق العدل والمساواة كان عليه السلام يحرص على تطبيق العدل والمساواة بين جميع أفراد الرعية، وعدم التمييز بينهم بسبب النسب أو المكانة الاجتماعية.

المقدمة:

إنّ الفساد ظاهرة قديمة قدم البشرية من حيث النشأة والظهور، ولكنها حديثة متطورة ومتجددة من حيث الأساليب والأشكال والصور التي تظهر بها وتمارس من خلالها بين الأفراد والجماعات والمجتمعات وحتى الدول، فهي ليست وليدة اليوم، وليست مرتبطة بزمان أو مكان معينين، فمنذ أن خلق الله عز وجل الأرض عُرف الفساد بأنواعه وأساليبه المختلفة. هدفه في غالب الأحيان تحقيق أهداف فتوية وفردية ضيقة، وتشهد المجتمعات الإنسانية باختلاف أنظمتها شكلاً أو اشكال أخرى من أشكال الفساد، فالفساد كغيره من مفاهيم الخير والشر كل منهما مرتبط بالنفس البشرية والطبيعة الإنسانية منذ مهد الخليقة، والفساد يغذى نفسه بنفسه ويخلق مناخاً واسعاً من الأعمال غير المشروعة



والأشكال والصور التي تظهر بها وتمارس من خلالها بين الأفراد والجماعات والمجتمعات وحتى الدول، فهي ليست وليدة اليوم، وليست مرتبطة بزمان أو مكان معينين، فمنذ أن خلق الله عز وجل الأرض عُرف الفساد بأنواعه وأساليبه المختلفة. هدفه في غالب الأحيان تحقيق أهداف فتوئية وفردية ضيقة، وتشهد المجتمعات الإنسانية باختلاف أنظمتها شكلاً أو أشكال أخرى من أشكال الفساد، فالفساد كغيره من مفاهيم الخير والشر كل منهما مرتبط بالنفس البشرية والطبيعة الإنسانية منذ مهد الخليفة، والفساد يغذى نفسه بنفسه ويخلق مناخاً واسعاً من الأعمال غير المشروعة التي تقوض عمليات التنمية، فهو يعد آفة المجتمعات وهو ليس بظاهرة غير مرغوب بها فحسب، بل ظاهرة خطيرة تقود للفساد الأعظم ألا وهو انهيار الدولة والمجتمعات، ويتناول هذا البحث بشكل عام موضوع آليات مكافحة الفساد الإداري والمالي في فكر الإمام علي عليه السلام.

٣ - هيكلية البحث:

من أجل تغطية موضوع البحث فقد

قُسم على ثلاثة مباحث تناولت الآتي:

١. المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للفساد الإداري والمالي وأسبابه ومظاهره.
٢. المبحث الثاني: استعراض آراء المفكرين والعلماء المسلمين حول الفساد الإداري والمالي.
٣. المبحث الثالث: الآليات المتبعة في الفكر الإسلامي لمواجهة الفساد الإداري والمالي مع التركيز في فكر الإمام علي عليه السلام لمواجهة الفساد الإداري والمالي.

٤ - نتائج البحث

أهمها ضرورة العناية بتنمية الوازع الديني لدى عموم المواطنين للحث على النزاهة ومحاربة الفساد عبر وسائل الإعلام المختلفة، وخطباء المساجد والعلماء والمؤسسات التعليمية وغيرها، وإعداد حملات توعية وطنية تحذر من وباء الفساد وأثاره المدمرة، وحثهم على التعاون مع الجهات المعنية بمكافحة الفساد، والإبلاغ عن جرائم الفساد ومركبيها، وتوجيه علماء وطلبة الإدارة والباحثين ممن لديهم سعة إطلاع في العلوم الشرعية إلى إجراء مزيد من البحوث والدراسات التي تبين دور



تأخذ أبعادا واسعة وتتداخل فيها عوامل مختلفة يصعب التمييز بينها، وتختلف درجة شموليتها من مجتمع إلى آخر، إما فيما يخص موضوع بحثنا (الفساد الإداري والمالي) فقد وردت تعاريف عدة منها: -

- تعريف موسوعة العلوم الاجتماعية (الفساد هو سوء استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح خاصة) ولذلك كان التعريف شاملاً لرشاوي المسؤولين المحليين أو الوطنيين، أو السياسيين مستبعدة رشاوي القطاع الخاص.

إمّا تعريف منظمة الشفافية العالمية فهو (إساءة استخدام السلطة العامة لتحقيق كسب خاص) إما تعريف صندوق النقد الدولي (IMF) (علاقة الأيدي الطويلة المعتمدة التي تهدف إلى استحصال الفوائد من هذا السلوك لشخص واحد أو مجموعة ذات علاقة بين الأفراد) (محمود واخرون، ٢٠٠٦: ٣).

ويعرّف ييبر الفساد أنّه «كل عمل يتضمنّ سوء استخدام للسلطة العامة لأغراض خاصة وهو أيضا خروج عن النظام والقانون أو استغلال غيابها وتجاوز السياسة والأهداف المعلنة والمعتمدة من

الشريعة الإسلامية في الحد من هذه الآفة الخطيرة وتجنب آثارها المدمرة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للفساد الإداري والمالي وأسبابه ومظاهره.

المطلب الأول: مفهوم الفساد الإداري والمالي: -

مما لا شك فيه إنّ الفساد المالي والإداري أصبح سمة بارزة من سمات العصر الحديث، على الرغم من أنّ نشأته تعود في جذورها إلى بداية الخليقة ونشأت البشرية، وذلك بدلالة ما ورد في القرآن الكريم من قصص الخلائق ومنذ آدم عليه السلام، إذ إنّ أول من بدأ بالفساد هو إبليس الذي استأذن رب العزة تعالى (قال ربي فانظرنى إلى يوم يعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) (الآيات ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥ من سورة ص). واليوم تعد ظاهرة الفساد المالي والإداري ظاهرة عالمية واسعة الانتشار، وذات جذور



قبل السلطة السياسيّة وغيرها وذلك بهدف تحقيق منفعة شخصيّة سواء أكانت سياسيّة أو اجتماعيّة أو لمجموعة من الأفراد (بيتر، ٢٠٠٦: ١٤).

ويعرّف الفساد الإداري قياساً على مفهوم الفساد أنّه: استغلال الوظيفة العامة بكل ما يترتب عليها من سلطة إلى جانب مخالفة القوانين لتحقيق منافع خاصة ماليّة أو غير ماليّة (مهدي، ١٩٩٣: ٣٨)

وعرّفه أيضاً جوزيف ناي

Joseph Nay.

أنّه السلوك المخالف للتعليمات والواجب الرسمي للحصول على المصلحة الشخصية، ويدفع هذا السلوك إلى استعمال الرشوة لمنع موضوعية شخص معين، ويشمل سوء استخدام المال العام كالتوزيع غير العادل وغير القانوني للموارد العامة بهدف تحقيق مكاسب شخصيّة (عليم، ٢٠١٧: ٨١٩).

أمّا الفساد المالي فيمثل سوء استخدام المنصب العام أو النفوذ العام من طرف أعضاء و مسؤولي المؤسسات والهيئات

والفساد المالي يقصد به أيضاً هو السلوك المنافي للقوانين والأخلاق، القائم على الإخلال بالمصالح والواجبات العامّة من خلال استغلال المال العام لتحقيق مصالح خاصة، (عزيزة: ٢٠١٢: ٤) ويعرف أيضاً على انه «الانحرافات الماليّة ومخالفة القواعد والأحكام الماليّة التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة الماليّة يظهر في الرشوة والاختلاس والغش الضريبي (عاني، ٢٠١٨: ٣).

ونلاحظ مما سبق أنّ الفساد الإداري والمالي بينهما علاقة الشمول والخصوص، حيث فالفساد الإداري أشمل وأعمّ من الفساد المالي وهذا الأخير ينجم ويتبع عن فساد إداري لذلك يطلق على الفساد بالفساد الإداري والمالي والذي يعدّ من أخطر الظواهر السلبيّة التي تصيب المجتمعات.



المطلب الثاني: أسباب ومظاهر الفساد الإداري والمالي: -

أولاً: هناك عدة أسباب تقف وراء شيوع ظاهرة الفساد الإداري والمالي يمكن تلخيصها بما يأتي:

أسباب بايولوجية و فزيولوجية: وهي جميع الأسباب التي دافعها الأولي والأساسي هو ما اكتسبه الفرد عن طريق الوراثة وكل ما يتعلق بالخلفية السابقة من حياته وما تركته من آثار على سلوكياته وتصرفاته

أسباب سياسية: يقصد بالأسباب السياسية هي غياب الحريات والنظام الديمقراطي، ضمن مؤسسات المجتمع المدني، ضعف الإعلام والرقابة (ميخائيل، ١٩٧٥: ١٥٥) (الجواد، ٢٠١٨: ٣)

عدم استقلالية القضاء: بعد استقلال القضاء من المبادئ الهامة والأساسية التي تقوم عليها الدولة وتتجلى أهميتها في وجود سلطة قضائية نزيهة تمارس عملها بشكل عادل وتمتلك سلطة الردع للمخالفين للقانون دون تمييز وتعمل على إشاعة العدل بين أفراد المجتمع. أما في حالة وصول الفساد للسلطة القضائية

فان ذلك يمثل نفس للجهود الرامية للحد من هذه الظاهرة وبالتالي ينبغي العمل على تدعيم القضاء والمحافظة على استقلالية ليكون بمثابة صمام الأمان للمجتمع ورادعا قويا لكل من يحاول الاعتداء على حقوق وممتلكات الآخرين الأسباب الهيكلية: تُعزى الأسباب الهيكلية إلى وجود هياكل قديمة للأجهزة الإدارية لم تتغير على الرغم من التطور الكبير والتغير في قيم وطموحات الأفراد، هذا كان الاثره الكبير في دفع العاملين إلى اتخاذ مسالك وطرق تعمل تحت ستار الفساد الإداري بغية تجاوز محدودية الهياكل القديمة وما ينشأ عنها من مشاكل تتعلق بالإجراءات وتضخم الأجهزة الإدارية المركزية (عبود، ٢٠٠٨: ٨٣)

أسباب اجتماعية: يتمثل بالحروب وأثارها ونتائجها في المجتمع والتدخلات الخارجية، الطائفية والعشائرية والمحسوبيات، القلق الناجم من عدم الاستقرار نتيجة الأوضاع والتخوف من المجهول القادم لذا استدعى جمع المال بأي وسيلة لمواجهة هذا المستقبل



والمجهول الغامض الذي نتج عن ذلك
الاتي:- (الوائلي، ٢٠٠٦: ٣)

قلة الوعي الحضاري وانتشار الجهل
والتخلف والفقر والتفاوت من الدخول
بين الأفراد.

التخلف البنيوي في الهياكل المعنية
بإدارة اقتصاد الدولة فضلاً عن التخلف
التقني والتكنولوجي.

محدودية دور وسائل الإعلام وضعف
قدرتها على فضح الفساد، وعدم وجود
الشفافية في محيط العمل

ثانياً: مظاهر الفساد الإداري والمالي

ينطوي الفساد على آثار بالغة الخطورة،
مدمرة للمجتمع، وبوصفه يمثل احد
أشكال السرقة العامة للثروة الوطنية، فانه
يتسبب في تسرب الأموال العامة بطرق
غير مشروعة إلى جيوب مرتكبي الفساد،
وغالباً ما تجد طريقها إلى خارج البلد،
بدلاً من توظيفها داخل البلد لجلب
المنفعة العامة، وللفساد المالي والإداري
مظاهر متعددة وآثار خطيرة: - (سالم،
٢٠٠٨: ٤٣) (هند، ٢٠٢٠: ٣٦٩)

الفساد الأخلاقي: ويتمثل بمجمل
الانحرافات الأخلاقية والسلوكية المتعلقة

بسلوك الموظف الشخصي وتصرفاته،
كالقيام بأعمال مخلة بالحياء في أماكن
العمل، أو يستغل السلطة لتحقيق مأرب
شخصية له على حساب المصلحة العامة،
أو أن يمارس المحسوبية بشكلها الاجتماعي
الذي يسمى (المحاباة الشخصية)

الفساد الاقتصادي: ويتمثل بمجمل
الانحرافات المالية ومخالفة القواعد
والأحكام المالية التي نظم سير العمل
الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها،
ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة
المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية
المختص بفحص ومراقبة حسابات
وأموال الحكومة والهيئات والمؤسسات
العامة والشركات، ويمكن ملاحظة
مظاهر الفساد المالي في: الرشاوى،
والاختلاس، والتهرب الضريبي
وتخصيص الأراضي، والمحاباة والمحسوبية
في التعيينات الوظيفية.

الفساد السياسي: يتجلى هذا الفساد
في الحكم الشمولي الفاسد، وفقدان
الديمقراطية وفقدان المشاركة وفساد
الحكام وسيطرة نظام الحكم على الاقتصاد
وتفشي المحسوبية، وهو السلوك السياسي



والمالي في محاولة لتفسير الظاهرة في المجتمع الإسلامي لذا يمكن ايجاز تلك الآراء بالاتي: -

اولاً: رأي عبد الرحمن بن خلدون حول الفساد الإداري والمالي: -

إذ يرى بن خلدون أن سيطرة ذوي النفوذ من الحكام و الأمراء لساحة النشاط الاقتصادي يؤدي إلى ذهاب رأس مال الفلاح، و يتكرر ذلك على التاجر والفلاح بما يذهب رأس ماله فيقعد عن سوقه، ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة و فساد الأرباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك جملة فينقبض الفلاحون عن الفلاحة، ويقعد التجار عن التجارة (ابن خلدون، ٢٠٠١: ٢٦٥) فبحسب ما يراه ابن خلدون أن أساس الفساد الإداري والمالي هو الولع بالحياة المترفة في المجتمعات لدى الحكام والمحكومين، وأن الحضارة هي السبب الرئيسي في ذلك حيث يقول: «أن غاية العمران هي الحضارة و الترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى فساد و أخذ في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات، بل نقول إن الأخلاق الحاصلة في الحضارة والترف

الفساد والمخالف للقانون، واستخدام المال العام لتحقيق أهداف معينة خلال التأثير في العملية السياسية، ويتجلى في فضائح الحملات الانتخابية، وبالرغم من إن الفساد السياسي يتعلق أيضا بالمال العام حيث يتم استغلاله لأغراض حزبية أو شخصية، فان هناك أفعالا فاسدة أخرى تقع تحت عنوان الفساد السياسي، ومنها تزوير الانتخابات.

الفساد الإداري: يتعلق بالانحرافات الإدارية والوظيفية أو التنظيمية التي تصدر عن الموظفين العموميين في أثناء تأديتهم لمهام عملهم، وتتجسد مظاهر الفساد الإداري في التسبب لدى الموظفين وعدم احترام الوقت وتمضيته في أمور لا علاقة لها بمهام الوظيفة واستحقاقاتها، وعدم تحمل المسؤولية وإفشاء أسرار العمل وغبرها (سمير،

[http:// www.nazaha. iq](http://www.nazaha.iq))

المبحث الثاني: استعراض آراء المفكرين والعلماء المسلمين حول الفساد الإداري والمالي.

تطرق العديد من المفكرين والعلماء المسلمين حول موضوع الفساد الإداري



ثالثاً: رأي محمد الغزالي حول الفساد الإداري والمالي: -

يعد هو الآخر من بين المفكرين الإسلاميين المعاصرين الذين تطرقوا الموضوع الفساد الإداري والمالي بإسهاب، فها هو يكتب في مفهوم الفساد وأسبابه من خلال كتابه الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية حيث يرى فيه بأن سبب بلاء الأمة الإسلامية يرجع إلى هذا الداء أي الفساد السياسي الذي استشرى في مختلف أقطارها، ولا محالة أن ذلك يعود إلى الميوعة الفكرية في استعمال مفهوم الشورى التي غابت عن تسيير الشؤون السياسية للأمة، بمعنى تغيب مبادئ الإسلام في الحكم و الفهم الخاطئ للشورى، مما أدى إلى تعسف الحكام واستبدادهم، وحمل الناس على الطاعة والولاء الأعمى لهم. اختصر محمد الغزالي رحمه الله - هنا الفساد كله في الفساد السياسي وأرجعه إلى استبداد الحكام و الاستعمال المميع للشورى المغيبة في المجتمعات الإسلامية و انحلال الأخلاق (الغزالي، ٢٠٠٤: ٥٢) ونجد محمد الغزالي الذي تطرق لهذا

هي عين الفساد وإذا فسد الإنسان في قدرته ثم أخلاقه ثم دينه فقد فسدت إنسانيته و صار مسخاً على الحقيقة (محمود، ٢٠١٨: ٦١)

ثانياً: رأي عبد الرحمن الكواكبي حول الفساد الإداري والمالي: -

وبمراجعة التراث الفكري للمفكر عبد الرحمن الكواكبي تجده تناول الظاهرة من زاوية استبداد الطبقة الحاكمة، والتصرف المطلق في شؤون الرعية في ظل غياب المحاسبة والمراقبة، كون الطبقة الحاكمة تمتلك السلطة المطلقة وتستخدمها وفق ما تمليه مصلحتها الخاصة، وبالتالي يصبح الشعب تابعاً لرغبة الطبقة الحاكمة، حيث يقول الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب، وهي تشمل حكومة الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالغلبة أو الوراثة، كما أن الحكومة المنتخبة قد تكون أيضاً مستبدة إذا كان الحاكم المنتخب غير مسؤول (الكواكبي، ٢٠٠٧: ٢٤: ٢٣).



خامساً: رأي علي الوردي حول الفساد الإداري والمالي: -

يرى الوردي بأن العقيدة الدينية التي تمنح الإنسان تماسكا وهدوءا نفسيا، إذا تحلل (تخلص) منها أدى به ذلك إلى التطوع في الأهواء التي تلقن له خلال التنشئة الاجتماعية، ويقول: لهذا نجد الكثير من الناس تؤدي أركان الدين و شعائره ولكنها في الوقت نفسه تغش و تسرق و تقتل بغير حق و تظلم وهي من مظاهر الازدواجية، ولو كانت القيم لردعت الناس من المنكر، فحسب وجهة نظره أن هذه القيم مرتبطة بضوابط دنيوية تنهار بانهارها و تبقى بقائها، فهي ليست مرتبطة بقيم الإسلام من عدالة و تواضع التي لا تزول بزوال الضوابط الدنيوية (محمد، ٢٠١٢: ١٣٢).

فحصول المفاصد في الدين والأخلاق يؤدي بالضرورة إلى مفاصد دنيوية، وهو بذلك يميل نوعا ما إلى رأي ابن خلدون «إذا فسد الإنسان في قدوته ثم أخلاقه ثم دينه فقد فسدت إنسانيته، وعليه فإن مدلول مصطلح الفساد من منظور إسلامي من خلال وجهة نظر المفكرين

الموضوع في العديد من كتاباته، وتطرق في كتابه الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية إلى ظاهرة الاستبداد كونها سبب فساد الطبقة الحاكمة وفساد المجتمعات حيث يذكر أن المستبدين يضعون أنفسهم فوق المسؤولية، وبالتالي عندما يخطئون فإنهم يجعلون الخطأ على الغير، (كريمة، ٢٠١٢: ٢١).

رابعاً: رأي أبو عبد الله بن الأزرق حول الفساد الإداري والمالي: -

الذي يرى في كتابه «بدائع السالك في طبائع الملك»، أن الفساد الإداري والمالي هو يحدث عندما يكون الاختلاط بين التجارة والإمارة إذ يقول: «.. لإخفاء أن تجارة السلطان تؤدي إلى ضرر الرعية، وفساد الجباية، وأنها تؤول باخرة إلى خراب العمران و نفاذ الدولة.

وبالتالي يمكن القول أن الكتاب يعبر عن حقيقة موجودة ومنتشرة بكثرة في مختلف الأنظمة المعاصرة التي أصبحت فيها السياسة هي الطريقة المثلى لكسب الأنشطة التجارية، وبهذا تكون فكرة ابن الأزرق عن الفساد تتفق نوعا ما مع فكرة ابن خلدون (سعود، ٢٠٠٧: ٤٨)



النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، مع التركيز على مسألة النظام السياسي بالخصوص، وأثره في تمزيق المجتمع وتفتيت وحدته وتحديد كيانه. وعلى حد سواء نظرت كل من الشريعة الإسلامية إلى أن الفساد ظاهرة خطيرة وفتاكة بالأفراد والمجتمعات والدول على اختلاف أنواعها وأشكالها (نعمان واخرون، ٢٠٠٧: ١٩٥).

وفيما يلي نتناول بعضاً من اليات مكافحة الفساد المالي والإداري حسب المنظور الإسلامي على النحو التالي: -

أولاً: غرس مراقبة الله تعالى والخوف منه وتنمية القيم الإسلامية في أفراد المجتمع:

لا شك أن للعقيدة تأثير كبير على النظام الذي يعتنقه المجتمع، ولا يمكن فصل أي نظام اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي عن عقيدته، وبما أن النظام الاقتصادي الإسلامي قد جعل العقيدة الإسلامية هي مصدره الأساسي التي يستقي منها قيمه وقواعده وخصائصه (الكبيسي، ٢٠٠٩: ٩).

الإسلاميين السابق ذكرهم وغيرهم كثير يمكن استنتاج ما يلي: - (ابن خلدون، ٢٠٠١: ٢٦٦)

اعتمادهم على معيار الأخلاق والقيم في تحديد مدلولات الفساد المختلفة، إذ كلما كان هناك انحلال أخلاقي فثم الفساد.

من الأسس والمبادئ التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام الشورى، هذه الأخيرة المغيبة في البيئة العربية الإسلامية جعلت الأمة تعيش حالة من الفوضى والاضطراب والاختلال وبالتالي تغلغل الفساد في أوساطها.

إن من أسباب الفساد في العالم العربي والإسلامي استبداد الحكام وتعسفهم في استعمال السلطة.

فالفكر الإسلامي تناول ظاهرة الفساد المالي والإداري من حيث كونها ظاهرة اجتماعية أخلاقية ترتبط بالطبقة الحاكمة وبالمحكومين على حد سواء وفي نفس الوقت تنعكس سلباً على الفرد والمجتمع والأمة، وارتبطت الظاهرة بمفهوم واسع وهو خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عليه أو كثيراً، ويستعمل في



ثانياً: نشر الوعي العام بين أفراد المجتمع بمخاطر الفساد وضرورة مكافحته :

بعد إيقاظ الضمائر في نفوس المفسدين وتنشيط الرقابة الذاتية تأتي الخطوة الثانية في مواجهة الفساد وهي توعية الأفراد بخطورة الآثار السيئة التي يولدها الفساد على المجتمع وعلى الاقتصاد، وتبدأ هذه التوعية بمحاسبة الأفراد لأنفسهم ومراجعتها ثم توعية المحيطين بهم بذلك (احمد، ٢٠١٠: ١٠٢) .

ثالثاً: الحرص على اختيار ذوي الكفاءات لشغل الوظائف العامة والخاصة :

فكان النظام الإسلامي فكان يشترط في الموظف لتولي الوظيفة هو شرطي الأمانة والقوة فالأمانة هي التي تحمل صاحبها على أداء عمله بإخلاص وإتقان، مع على ما يولى عليه (العلي، ٢٠٠٥: ٤٣٣) . المحافظة وهذا ما حرص عليه النظام الاقتصادي في الإسلام، قال تعالى حكاية عن نبي الله يوسف عليه السلام قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ) فقد طلب نبي الله يوسف عليه السلام من ملك

مصر أن يوليه خزائنها، وبين مسوغات ذلك الطلب، بأنه حفيظ للأموال أمين عليها، عليم بوجوه نفقاتها وتصرفاتها. (القرطبي، ١٩٨٩: ٢١١) .

رابعاً: العدل في توزيع الرواتب والمستحقات المساواة بين الأجر والنتاجية :

في النظام المالي في الإسلام فقد أوجب على الدولة توفير حد الكفاية لكل إنسان يعيش على أرضها سواء كان مسلماً أو غير مسلم، ويستوجب هذا تأمين المعيشة الكريمة التي تليق به وبمن يعول، ولذا نجد علماء المسلمين يؤكدون على توفير الحاجات الاقتصادية الأساسية للأفراد سواء كانوا موظفين عموميين أو أفراداً عاديين .

خامساً: تفعيل دور الأجهزة الرقابية والتنظيمية :

في النظام الاقتصادي الإسلامي فقد نص على أن من يؤدي عملاً لابد وأن يحاسب ويسأل عنه، فلا يكفي أن يدقق الإمام في اختيار ذوو العلم والأمانة والكفاءة للقيام بالأعمال - كما ذكرنا، وإنما لابد أن يراقبهم أثناء تأديتهم

أو ما يعرف بنظام الخوافز، وهو وسيلة جيدة لحمل العامل على إتقان العمل والإخلاص فيه، وبذل أقصى جهد ممكن وقد أسهب في توضيح هذه القضية امير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب في توجيهاته الحاكم مصر في عهده فيقول «لا» يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن ذلك ترهيداً لأهل الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة (بن سعد، ٣٣٥).

ثم يواصل توجيهاته موضحاً جوانب أخرى لموضوع الخوافز قائلاً «وواصل في حسن الشئاء عليهم، فإن كثرة الذكر الحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل. ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه. ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً (شوقي، ١٩٧٩: ١٤٦).

لأعمالهم، أيا كانت هذه الرقابة داخلية أو خارجية، لأن هذه الرقابة تحمي المال، وتضمن سلامة تحصيله وإنفاقه، وتعصم العاملين من مخاطر العبث فيه، وتحد من الفساد وانتشاره في المجتمع.

وهو ما طبقه الرسول - - فقد كان يحاسب عماله عن العمل الذي يؤديه، فعن أبي حميد الساعدي - - قال استعمل رسول الله - - رجلاً من الأسد، يقال له ابن الكتيبة، قال على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا لي أهدي لي. فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال عامِل أبعثه فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه: بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: «اللهم قد بلغت» مرتين (بن الجوزي، ٢٠٠٠، ٩٦) ولا شك أن نظام الحساب والمساءلة



المبحث الثالث: الآليات المتبعة في الفكر الإسلامي لمواجهة الفساد الإداري والمالي مع التركيز على فكر الإمام علي عليه السلام لمواجهة الفساد الإداري والمالي:

المقدمة

إنَّ مكافحة الفساد المالي والإداري في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تمثل ركيزة أساسية في منهجه السياسي والإداري، وتستمد قوتها من عمق إيمانه وعدله وحرصه الشديد على مصلحة الرعية.

وكلما كانت هذه الاساسات مبنية وفق اسس علمية كان البناء اكثر متانة، ولا يتعلق هذا بالجانب المادي فقط وانما يشمل الجانب المعنوي.

ولو نأتي إلى البناء المالي لوجدنا أنَّ الإمام علياً عليه السلام وضع اسس عامة يقوم عليها هذا البناء أولها نشر الوعي والثقافة التي تؤهل لبناء مالي أو إداري رصين وما دمننا بصدد الحديث عن النظام المالي يمكن القول انه عليه السلام اراد نشر ثقافة أخلاقية وطنية تقوم على جملة أمور ابرزها التثقيف لنبذ الاثراء الفاحش لأنه

يعود بالضرر على الفرد نفسه والمجتمع لذا نجده يوصي ابنه الامام الحسن عليه السلام بالقول ولا تكن خازنا لغيرك « وبذلك فان الإمام علي عليه السلام قد نهى عن اكتناز الأموال المادية والعينية، وهذا ما يتناغم مع النفس القرآني في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم (وكلام الامام عليه السلام فيه اكثر من مغزى في اطار موضوعنا عن البناء المالي الرصين واشاعة ثقافة الجودة فيه ويمكن إجمالها بما يأتي: -

بعد أخلاقي يتعلق بالتكافل الاجتماعي وتوزيع الثروات بشكل عادل.

بعد مستقبلي يتعلق بتوريث هذه الاموال للغير على الرغم من الحرمان منها.

بعد إداري إنطلاقاً من أنَّ الامام الحسن عليه السلام كان يمثل قيادة وإن كان في زمن أبيه عليه السلام فضلاً عن الجانب المستقبلي.

بعد تعليمي لكون كلام الامام عليه السلام شمولي لا يتعلق بعصر، بل هو موجه من خلال الإمام الحسن عليه السلام إلى الناس (بحر، ٢٠١٠: ١٢)

بيّن الامام عليه السلام أثر الدين في الحفاظ



على الفرد وعصمته عن تلك الاخطاء لاسيما أنّه عليه السلام أشار إلى أن ضعف الدين وعدم تنزيهه بهكذا اعمال هو الذي فتح الباب لتلك الاخطاء.

وقد توجّه الإمام علي عليه السلام إلى مرحلة أخرى متقدّمة من مراحل الثقيف لبناء مالي وهي بيان المفهوم السامي للاقتصاد وملحقاته المفهوم الذي نستطيع ان نسميه مفهوم واقعي أخلاقي وهو مفهوم التوسط أو الوسطية في التعامل مع المال، ويلاحظ الك من وصيته إلى عامله على البصرة وصيته زياد بن أبيه «فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك».

وتحتم علينا أن نفهم المسألة على هذا الاساس أي ان وصية الامام عليه السلام لتثقيف زياد الحاكم وليس زياد الفرد بأن يتعامل مع اموال الشعب على مستوى الاعتدال والتوسط وليس على مستوى الاسراف والتبذير لان التوسط هو ابرز المعان التي يراها الامام عليه السلام لاقتصاد (محمود،

www.hetta.com).

وقد تعدى الامام في مرحله الثقيفية

لبناء نظام مالي رصين إلى اختيار الخبراء أو المستشارين في ذلك وقد حدد المساوئ التي قد تصيب النظام في حال تجاوز الاختصاص لان ذلك سيؤدي إلى ظهور الفساد المالي وبالتالي الإداري ايضا اذ بين ذلك في وصيته إلى عامله مالك الاشر حينما قال «لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزيّف لك الثمرة بالجور، فان البخل والجبن والحرص غرائر شتى يجمعها سوء الظن بالله» وإذا اردنا ان نستفيد من هذا الكلام بما يحقق البناء المالي الرصين يجب ان نتعمق في دراسته وفق المنظار الذي يعتمد على النقاط الآتية الفساد الإداري):-

اولاً - اختيار المتخصصين في النظام المالي الإدارة الأمور الحسابية ووضع ورسم السياسات الماليّة وعدم التخط في ذلك.

ثانياً: في الوقت الذي أكّد به الإمام علي عليه السلام عدم التبذير فإنه يدعو الحكام إلى عدم التقدير على الشعب بل يجب ان تكون السياسة التي وضعها المتخصصون قائمة



على اسس علميَّة ومراعية للمستحقين. إنَّ ذكر الإمام علي عليه السلام للصفات

(<http://news.naseej.com.sa/detail.asp>)

السالفة هو يمثل صورة تثقيفية للعمل وفق قوانين علميَّة وأخلاقية وليس غرائز نفسية كحب المال وبالتالي البخل والحرص أو الجبن والخوف التي تمنع من اتخاذ القرارات الشجاعة المناسبة. (حسين، ٢٠٠٣: ٢٥)

لم تكن اليات علاج الفساد في نهج الامام علي عليه السلام وفلسفته رقابة بشعة صارخة، أو سيفاً مسلطاً على رقاب العاملين، بل كانت رقابة وجهها الخشوع الله تعالى، ولباسها التقوى وترك المنكرات، وأسلوبها الرفق بالعاملين والموظفين، وحمايتهم من أن يقعوا في شرك الفساد والانحراف.

ويبدأ علاج الفساد في فكر الإمام عليه السلام من أصغر الأمور، وتصحيح الأوضاع منذ بدايتها، وليس انتظار الأمور حتى تكبر، وتتفاقم، ثم يكون التنكيل والانتقام وبالمحصلة فأسلوب العلاج في فكره عليه السلام إنما هي تحصين العمال ضد الغش والخيانة، وبعبارة أخرى هي وقاية وليست علاجاً، وقد قيل قديماً درهم

وقاية خير من قنطار علاج (الفساد الإداري،
ثالثاً: حتى لا ييأس الناس من عدالة الدولة التي لا تثيب المحسن، ولا تعاقب المسيء فيخيب ظنها بالدولة، وتفقد إيمانها بعدالة النهج، ونزاهة المسؤول، فتقطع العلاقة بين الراعي والرعية، ويسودها عدم الثقة والاحترام.
والحق أن مكافأة المحسن، ومعاقبة المسيء يحملان بين طياتهما معاني سامية، لعل من أهمها المحافظة على الأخلاق الفاضلة في المجتمع، وحماية النسيج الاجتماعي من التآكل والانحيار، إذا ما فقدت القيم، وتساوى في ميزان الأعمال المحسن والمسيء، مما يؤدي إلى عدم إيمان الأفراد بالعدالة الاجتماعيَّة، والقيم الأخلاقية، وهذا بدوره سيؤدي إلى شيوع الظلم والعدوان في المجتمع، ولا من رادع لذلك.

وهذا يعني أن علاج فكر أمير المؤمنين لم تقتصر على الجوانب الاقتصاديَّة والماليَّة فحسب، بل تعدت ذلك إلى مراقبة الجوانب المعنوية التي قد تؤثر في نفوس



الرعية مما يؤدي إلى ضعف الرابط المعنوي بين الراعي والرعية ومن الأمور التي أكد عليها أمير المؤمنين عليه السلام التي من خلالها محاربة الفساد الإداري والمالي هي كالآتي: - (رزاق وآخرون: ٢٠١٨: ٢٩٣)

الحوافز:-

من الخطوات التي اتخذها أمير المؤمنين عليه السلام لمكافحة الفساد والانحراف توفير الأجواء المناسبة للعمال والقضاة، ومن أهم هذه الأجواء والمستلزمات مستلزمات العيش الكريم، إذ أمر عامله على مصر بأن يسبغ الأرزاق على القضاة والعمال؛ كي لا تظل لهم حاجة بما في أيدي الناس، وحتى لا تشخص إبصارهم إلى أموال الدولة والرعية.

الحوافز المعنوية:-

لما كان الحافز المادي لا يشبع إلا جانباً واحداً من جوانب الحاجات الإنسانية للفرد؛ لذا كان من الضروري إشباع البواعث الأخرى التي تزيد من شعوره بالرضا في العمل، وزيادة الولاء. ففي هذا الجانب كان أمير المؤمنين عليه السلام يمدح عماله الذين أحسنوا السيرة مع الرعية، وصانوا الأمانة، ويشني عليهم، ففي كتابه

إلى عمر بن أبي سلمه المخزومي يقول فيه: «وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمِّ لَكَ، وَلَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوَلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عُمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وهكذا فإن الإمام علي عليه السلام يحاسب عماله ومسؤوليه حساباً قانونياً وأخلاقياً، فالحساب القانوني على أمور هي من صلب واجباتهم الشرعية والإدارية، والحساب الأخلاقي على أمور زائدة على ذلك، ومطلوبة من أولياء أمور الناس كونهم القدوة والمثل الأعلى، وهي الضمانة؛ لأن المسألة القانونية يمكن البحث عن الوسائل للتهرب منها، وإيجاد مخرج قانوني لها، واختلاق الأعذار للتخلص من تبعاتها، أما المسألة الأخلاقية فلا تتحمل ذلك ألبته. ثم إن إغداق الأموال على العمال وتوفير مستلزمات العيش الكريم يكونان حصناً للعمال والقضاة عن قبول الرشوة والهدية وبذا يكون الناس غنيهم وفقيرهم أمامهم سواء تسهم في إشباع مجموعة الحاجات



الأساسية المتفاعلة لدى الفرد.

الحوافز المادية: -

هي الحوافز ذات الطابع النقدي أو المالي أو الاقتصادي، والحوافز المادية هي التي تقوم بإشباع حاجات الإنسان الأساسية، فتشجع العاملين على بذل قصارى جهدهم في العمل، وتجنيد ما لديهم من طاقات والارتفاع بمستوى كفاءتهم، ومن هذه الحوافز الرواتب. والأمام علي عليه السلام لم يبدأ بمحاسبة عماله، وبعث العيون عليهم ألا بعد أن وفر سبل العيش الكريم لهم، وأسبغ عليهم العطاء، ومنحهم مكانة لائقة حتى لا تمتد أيديهم إلى ما تحتها، وبذلك يكون حسابهم عن حق، فلا عذر لهم بعد ذلك إذا ما خانوا الأمانة، أو تجاوزوا على مصالح المسلمين.

إن الهدف الأول في فلسفة أمير المؤمنين عليه السلام هو الإصلاح، وليس العقاب، فهذه الأموال التي تدفع إلى العمال هدفها الأول الحفاظ على كرامة العمال، وأن لا تمتد أيديهم إلى أموال العامة، وذلك بطريق توفير العيش الكريم لهم، وضمان كل احتياجاتهم والهدف الآخر

أن تكون هذه الأموال حجة عليهم، فلا عذر لهم بعد أن أسبغ عليهم الأرزاق أن يخونوا الأمانة ويخالفوا الأوامر. والحق أن للحوافز أثرها الكبير في الحفاظ على المال العام، وفي صيانة الموظفين من الرشوة أو الاختلاس؛ لما توفره هذه الحوافز من دعم مادي ومعنوي للموظف.

٤. اختيار العمال (الموظفين)

كما أسلفنا سابقاً لم يكن هدف أمير المؤمنين عليه السلام مراقبة العمال بقصد المحاسبة والعقوبة، وإنما كان الهدف من كل ذلك هو الإنسان بقيمه وأخلاقه، لذا سعى أمير المؤمنين إلى تشكيل جهاز إداري كفوء وذلك باختيار الصالحين من الناس للقيام بالأمور الإدارية للدولة، وقد وضع أمير المؤمنين عليه السلام مواصفات عدة لاختيار العمال والموظفين ضمنها عهده لمالك الأشر، حيث يوصيه بضرورة اختيار العمال على وفق مقاييس معينة، إذ يقول: ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَلِّمْ مُحَابَاةً وَآثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جُمَاعٌ مِنْ شَعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَلَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرُّبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ



المتقدمة، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحُ
أَعْرَاضًا، وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا،
وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا. من هذه
الوصية تتضح لنا الشروط والمواصفات
التي بينها أمير المؤمنين (الله) لاختيار
العمال، وهي: -
الاختبار والتجربة، والابتعاد عن
المحابة والمجاملة.

الاستنتاجات والتوصيات: -

أولاً: الاستنتاجات: -

إنَّ الفسادَ ظاهرة خطيرة تعصف
بالأفراد والمجتمعات و حتى الدول و
تمس بالحياة العامة لهم على حد سواء،
وأنَّها من المعوقات الفتاكة للتنمية على
جميع المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة
والاجتماعيَّة والثقافية والقيمية، وبذلك
وجب سد كل البؤر التي تولد من رحمها.
إنَّ الفسادَ يعود في الغالب إلى سببين
رئيسيين، هما الرغبة في الحصول على
منافع غير مشروعة ومحاولة التهرب من
الكلفة الواجبة.

يعدّ أداء الأمانة والمحاسبة والمساءلة
من القيم السامية التي يغرسها القرآن
الكريم في عقيدة المسلم.

أن يكون من أهل الحياء، فإن الذي
عنده حياء سيكون من أشد الناس
في المحافظة على سمعته، والمحافظة على
الأمانة التي تودع لديه.

أن يكون من البيوتات الصالحة، أي
من الأسر المشهود لها بالصلاح والعفاف.
القدم في الإسلام، وهذه نقطة مهمة
وحساسة، فالقدم في الإسلام له معنى، أو
يعطي معاني عديدة لذا أكد الإمام عليه.
كانت الدولة الإسلاميَّة في عهد أمير
المؤمنين عليه السلام تضم قوميات مختلفة وأديان
شتى، وكان أكبر مواردها يأتي من هذه
القوميات، ومن أصحاب تلك الأديان
وأعني به الخراج الذي وضع على
الأرض التي فتحت عنوة وتركتها الدولة
بيد أصحابها يدفعون عنها الخراج، لذا



يؤدي الفساد إلى ضعف الاستثمار وهروب الأموال خارج البلد في الوقت الذي كان من المفروض استغلال هذه الأموال في إقامة مشاريع اقتصادية تنموية تخدم المواطنين من خلال توفير فرص العمل

إن من أهم أسباب انتشار الفساد المالي والإداري هي: -

أ - قلة الوازع الديني، لأن الدين صمام أمان و رادع للفساد والمفسدين، إذ كلما ازداد الشخص معرفة بأمور دينه، ازداد قدرة على ضبط سلوكياته وأخلاقيات وظيفته و من ثم ممارسة حقوقه وواجباته المدنية بشكل سليم.

ب - إنَّ الجريمة بصفة عامة سبب من الأسباب التي أدت إلى تفشي الفساد، والجريمة المنظمة عبر الوطنية خاصة.

ثانياً: التوصيات: -

تنمية القيم الدينية والتركيز على البعد الأخلاقي والالتزام بالقيم في أداء الوظائف التي تقوم بها مؤسسات الدولة و من ثم إمكانية التصدي للفساد المالي والإداري.

والإدارية لضبط سلوكيات الموظفين والمسؤولين ومساءلتهم.

ضرورة وضع استراتيجية توعوية للمواطنين قصد تحسيسهم بخطورة الفساد المالي والإداري، عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة للتشهير بالمفسدين من خلال توظيف الخطاب الديني إعلامياً بما يكفل نشر الأبعاد الاجتماعية للدين.

توضيح مبادئ الدين الإسلامي الخفيف وبيان كيفية معالجته لظاهرة الفساد الأمر الذي يسهم في القضاء أو التقليل من هذه الظاهرة

توجيه علماء وطلبة الإدارة والباحثين من لديهم سعة إطلاع في العلوم الشرعية إلى اجراء مزيد من البحوث والدراسات التي تبين دور الشريعة الإسلامية في الحد من هذه الآفة الخطيرة وتجنب آثارها المدمرة.

ضرورة اعتماد منهج الامام علي عليه السلام في معالجة الفساد الإداري والمالي من خلال وصاياه وكتبه ورسائله التي بعثها إلى الامه الإسلامية في معالجة هذه الآفة التي تهدد اقتصاد البلد.

ضرورة تفعيل دور الرقابة المالية



المراجع:-

- التركيز في الرقابة الذاتية بتنمية الوازع الديني لدى الموظف، لان من لا تردعه نفسه لا تردعه القوانين
- القران الكريم
السنة النبوية
١. سعيد يوسف أ فيصل عبد العزيز أ سامر محمود أ دور التقنيات الحديثة في مجال الغش والفساد - ايار ٢٠٠٦.
٢. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد المقدمة، دار العربي، بيروت، ٣، ٢٠٠١.
٣. عبد الرحمان الكواكبي طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧،
٤. - بيتر ايغن أ الفساد والإفساد أ جريدة الصباح أ العدد ١٤٢٧ لسنة ٢٠٠٦.
٥. محمد الغزالي (١٩١٧ - ١٩٩٦)، الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، دار المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٤.
٦. عبدو محمد الفساد الإداري كمشكلة اجتماعية دراسة نظرية تطبيقية، مجلة أوروك للأبحاث جامعة المثني، ٢٠١٠.
٧. لطاهر سعود، «موضوعية ترشيد الحكم في ثراتنا العربي الإسلامي، كتاب: بدائع السالك في طبائع الملك، في بحوث وأوراق عمل الملتقى الدولي المنعقد يوم ٨ - ٩ أفريل ٢٠٠٧، حول الحكم الرشيد واستراتيجيات التغيير في العالم النامي، مكتبة إقرأ، قسنطينة، ٢٠٠٧، ج ١،
٨. كريمة بقدي، الفساد السياسي وأثره على الاستقرار في شمال إفريقيا»، مذكرة ماجستير غير منشورة - جامعة تلمسان - كلية الحقوق والعلوم السياسية، (٢٠١١-٢٠١٢)
٩. خيالي نعمان السوسي، وعبد السلام حمدان اللوح، الفساد وأسبابه دراسة قرآنية موضوعية مجلة الجامعة القرآنية، ع. ٢، جوان ٢٠٠٧.





١٠. محمود بو ترعة، آليات مكافحة الفساد المالي والإداري بي الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص: شريعة وقانون، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠١٨
١١. مهدي اللوزي سليمان زويلف التنمية الإدارية والدول النامية، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
١٢. سامي محمد عليم، الفساد الإداري في المنظمات الحكومية أسبابه، آثاره، طرق مكافحته، جامعة قناة السويس لكلية التجارة، المجلة، العلميّة للدراسات التجارية، المجلد الثامن، العدد الثالث، لسنة ٢٠١٧
١٣. عاتي يمينه، الفساد الإداري والمالي مفاهيمه أسبابه وأشكاله وأثاره على التنمية الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير - جامعة محمد خيضر - بسكرة، ٢٠١٨،
١٤. عزيزة بن سميّة، دلال بن سميّة، تفشي ظاهرة الفساد الإداري بين التنظير والواقع العملي، ملتقى وطني حوكمة الشركات كالية للحد من الفساد الإداري و المالي جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٢،
١٥. جميعاناً ميخائيل أ الانحراف الإداري - اسباب وطرق علاجه أ القاهرة: ١٩٧٥.
١٦. فاطمة عبد الجواد الفساد الإداري والمالي واثاره السلبية على مؤسسات الدولة العراقية، عام ٢٠١٨
١٧. سالم محمد عبود ظاهرة الفساد الإداري والمالي - دراسة في اشكالية الاصلاح والتنمية أ دار الدكتور للعلوم أبغداد - ٢٠٠٨
١٨. ياسر خالد بركات الوائلي الفساد الإداري والمالي: مفهومه ومظاهره واسبابه أ الشبكة النبا الدولية، العدد (٨٠) لسنة ٢٠٠٦
١٩. هند محمود حميد، الفساد (تعريفه وخصائصه، أسبابه، مظاهره، طرق مكافحته) مجلة العلوم السياسيّة

٢٥. د. صالح العلي وسائل مكافحة الفساد الاقتصادي في القطاع العام لسنة ٢٠٢٠

٢٠. سمير عبود عباس وصباح نوري عباس، الفساد الإداري والمالي في العراق مظاهره، أسبابه، ووسائل علاجه، المحور ٣٥ الإداري، معهد الإدارة، الرصافه، ٢٠٠٨، الموقع الالكتروني:

[http:// www.nazaha iq](http://www.nazaha.iq)

٢٦. سورة يوسف: من الآية رقم ٥٥.

٢٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،

٢٨. حديث متفق عليه) رواه البخاري

ومسلم واللفظ لمسلم انظر:

صحيح البخاري الأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

تحقيق: محب الدين الخطيب

محمد فؤاد عبد الباقي قصي محب

الدين الخطيب المطبعة السلفية

ومكتبتها، القاهرة مصر، الطبعة

الأولى، ١٤٠٠هـ، ج ٤، ص ٣٣٧،

رقم ٧١٧٤، كتاب الأحكام،

باب هدايا العمال صحيح مسلم،

٢١. ريمة بقدي، الفساد السياسي وأثره على الاستقرار في شمال إفريقيا، مذكرة ماجستير غير منشورة (جامعة تلمسان: كلية الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١٢/٢٠١١)

٢٢. بحر، يوسف. الفساد الإداري ومعالجته. من منظور إسلامي، ٢٠١٠

٢٣. د. عامر الكبيسي: الفساد العالمي الجديد واستراتيجيات مواجهته، كتاب الرياض: مؤسسة اليامة الصحفية ٢٠٠٩،

٢٤. د. أحمد محمود نهار أبو سويلم: مكافحة الفساد، دار الفكر، عمان، الأردن، ٢٠١٠م،

٣٣. محمود، مهيب خضر. من معالم المدرسة العميرية في مكافحة الفساد، <http://www.hetta.com/current/mahyoub23.htm>

٣٤. حسين، عاصم الأزمات والفساد الإداري المجلة العلمية لكلية التجارة جامعة الأزهر القاهرة، العدد ٢٠٠٣

٣٥. الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال، السلطة الوظيفية، <http://news.naseej.com.sa/detail.asp>

رزاق شبيب، حقي توماس، الفساد الإداري والمالي وعلاجه من منظور إسلامي مع اشارة خاصة لفكر الامام جامعة المثنى، كلية الادارة علي والاقصاد ٢٠١٨

٣٦. نهج البلاغة للشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين خطب الإمام علي بن أبي طالب، شرح الإمام محمد عبده، دار المعرفة بيروت - لبنان بدون رقم طبعة بدون تاريخ نشر ج ٣،

مرجع سابق، ج ٣، ص ١٩٢، رقم (٢٦/١٨٣٢)، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال.

٢٩. سيرة ومناقب لابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٠. الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر، بيروت، لبنان، ج ٤،

٣١. حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، ٢٠٦٥٩/٣٢٣/١١، المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق د. يوسف المرعشلي دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ، ٢/٣٤٧ - ٣٤٨،

٣٢. شوقي أحمد دنيا الإسلام والتنمية الاقتصادية دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م،





تجلي الغدير في دعاء الندبة

أ.د. خليل خلف بشير
جامعة البصرة - كلية الآداب





المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد فهذا بحث تناولتُ فيه حادثة الغدير في دعاء من أدعية الإمام الصادق المشهورة هو دعاء الندبة ممهداً له بنبذة يسيرة عن حادثة الغدير معرجاً على ظاهرة التناص في اللغة، وفي الاصطلاح، ومركزاً في التناص الديني الذي يشمل: تناص الآيات القرآنية، وتناص الأحاديث النبوية، وتناص القصص القرآنية على أنها محاولة متواضعة للإسهام مرة ثانية في مهرجان الغدير الثاني بذلتُ فيها جهدي، وأعملتُ فكري لتكون زاداً لنا ومعيناً في الدنيا والآخرة (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب - هود/ ٨٨) .

الباحث

الأهمية والمفهوم والغاية من ذكر عيد

الغدير:

في دعاء الندبة

يُعدّ دعاء الندبة من الأدعية العظيمة التي تُنسب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، والتي يُستحب قراءتها في المناسبات وخاصة في أيام الجمع والأعياد الأربعة: الفطر، والأضحى، والغدير، والجمعة. ويتميّز هذا الدعاء بأسلوبه المؤثر الذي يعبر عن شوق المؤمنين للإمام المهدي عليه السلام، ويُعطي صورة متكاملة عن خط الإمامة وموقعها في الدين الإسلامي، ويمرّ عبر سلسلة الأئمة الأطهار عليهم السلام بأسلوب وجداني وتاريخي مؤثر. ومن المواضيع الالفة في هذا الدعاء ذكر واقعة عيد الغدير، الحدث المفصلي في مسيرة الرسالة الإسلامية، مما يستدعي التوقف عند الأهمية والمفهوم والغاية من هذا الذكر في ضمن سياق الدعاء.





أولاً: الأهمية:

الغدير في هذا السياق يُعبر عن مفهوم الولاية الإلهية التي لا تنفصل عن النبوة، بل هي امتداد لها من خلال أشخاص معصومين مُنصّبين من قبل الله عز وجل. فالدعاء يُظهر كيف أن الإمامة لم تكن خياراً بشرياً ولا شأناً سياسياً، وإنما هي عهدٌ إلهي مرتبط بالوحي، وأن الإمام علي عليه السلام هو أول مصداق لهذا العهد في الأمة بعد النبي. كما يُسلط الدعاء الضوء على هذا المفهوم ليربط الحاضر بالماضي، ويؤسس بذلك لحالة الانتظار الواعي القائم على الإيمان بأن المهدي عليه السلام هو الامتداد الأخير لإمامة الغدير، الذي سيُعيد تطبيق تلك الوصاية الإلهية ويُقيم العدل الذي وُعدت به البشرية.

ثالثاً: الغاية

غاية ذكر الغدير في دعاء الندبة تتجاوز التذكير التاريخي إلى بناء حالة وجدانية وفكرية متكاملة تُمهّد للارتباط بالإمام الغائب عليه السلام. فعندما يقرأ المؤمن دعاء الندبة ويصل إلى فقرة الغدير، فإنه يستحضر لحظة العهد الإلهي، ويتألم لما حلّ بها من تضيق ونكث، فيتحوّل هذا الألم إلى حافز للانتظار الواعي والعمل

تكمّن أهمية ذكر عيد الغدير في دعاء الندبة من كونه يُمثل إعلاناً رسمياً للوصاية الإلهية بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث أعلن الرسول بأمر من الله ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم بقوله المشهور: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه». هذا الحدث لم يكن مجرد تكريم لشخص الإمام علي عليه السلام، بل كان تأسيساً إلهياً لنظام الإمامة الذي يمثل الامتداد الحقيقي للنبوة من حيث حفظ الدين وتفسيره وتطبيقه. فدعاء الندبة يُعيد ربط الأمة بهذا الحدث من خلال التأكيد على أن الغدير كان لحظة التتويج الإلهي لعلي عليه السلام إماماً وخليفة، ويؤكد أن كل ما جرى بعد ذلك من انحراف أو ضياع، إنما كان نتيجة لعدم الالتزام ببيعة الغدير، ما أدى إلى غياب العدل الإلهي بغيبة الإمام المهدي عليه السلام.

ثانياً: المفهوم

ذكر الغدير في دعاء الندبة لا يأتي سرداً تاريخياً عابراً، بل هو إشارة عميقة إلى المفهوم العقدي للوصاية والإمامة.



لتمهيد ظهور الإمام. فالغدير هنا لا يُقرأ كحدث ماضي، بل يُستحضر كميثاق قائم لا يسقط بالتقادم، وكنقطة افتراق بين طريق الهداية الإلهية وطريق التسلط البشري. ومن هنا، فإن الدعاء يدعو القارئ إلى أن يُجدد بيعته للإمام الغائب بنفس الروح التي نزل بها الأمر الإلهي في الغدير، وكأنّ الدعاء يقول: كما نُصّب عليّ في الغدير أمام أعين الأمة، فإن ابن علي، المهدي عليه السلام، هو الوصي الذي يجب أن يُنتظر ويُهيأ له الظهور بنفس ذلك التسليم للقيادة الإلهية.

هذه الأسئلة تفتح لنا أفقاً بحثياً عميقاً، يقف على تقاطع النصوص المقدسة، والذاكرة التاريخية، والبنية الشعورية المتشكلة في الوجدان الشيعي، وهذا ما يمنح دعاء الندبة خصوصية استثنائية تجعله قابلاً للدراسة من زاوية التناص لا بوصفه نصّاً دعائياً جامداً، بل كجسد حي يتنفس النصوص القرآنية، والسيرة النبوية، والتراث الروائي، والحنين المهدوي في آنٍ واحد.

إن التناص - بحسب ما تنظر له جوليا كريستيفا ومن جاء بعدها من النقاد المعاصرين - هو تداخل النصوص وتجاوزها، بحيث لا يمكن قراءة نص ما بمعزل عن شبكة النصوص السابقة أو المعاصرة التي يتكئ عليها، أو يعارضها، أو يُعيد إنتاجها بطريقة واعية أو غير واعية. والتناص لا يعني مجرد الاقتباس أو التضمين، بل هو فعل خلق وإعادة صياغة للمعنى، يتم فيه «امتصاص»

وفي النهاية، فإن ذكر عيد الغدير في دعاء الندبة يربط بين الماضي التأسيسي للإمامة والحاضر الذي ينتظر فيه المؤمنون الإمام المهدي عليه السلام، ويُعيد إحياء الوعي الجماعي حول أهمية الولاية كمنهج إلهي، ويحفّز على تصحيح المسار والتمسك بعهود الغدير، على أمل أن يتحقق الوعد الإلهي بظهور المنقذ الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

- لماذا التناص؟ ولماذا يُعدّ دعاء الندبة حقلاً خصباً لدراسة التناص؟ وهل يمكن أن ننظر إلى هذا الدعاء



النصوص السابقة وإعادة تموضعها ضمن سياقات جديدة. ومن هنا فإن دعاء الندبة - بما فيه من إحالات قرآنية دقيقة، وتوظيف ذكي للروايات، واستحضار للأحداث المفصلية في التاريخ الإسلامي - يُعد نموذجاً حياً لتناص ديني - تاريخي معقّد، يحمل في بنيته أكثر من مستوى من التفاعل النصي، سواء مع القرآن الكريم، أو مع خطب النبي والأئمة، أو مع السرديات التاريخية الكبرى كالغدير، وكربلاء، والسقيفة، والغيبة.

فإذا نظرنا إلى دعاء الندبة من هذه الزاوية، وجدنا أنه ليس دعاءً شعائرياً بحتاً، بل هو نص مركّب قائم على التذكير، والاستدعاء، والبناء النفسي والمعرفي. فهو يحاكي القرآن في عباراته وصوره، ويستحضر مقاطع منه بصيغة شبه مباشرة، كما في: «أين الحسن؟ أين الحسين؟ أين أبناء الحسين؟» وهي صيغة تُذكّرنا بنداءات القرآن عن الأنبياء والأقوام الماضية، لكنه في الوقت نفسه يحوّل هذه الاستفهامات من مجرد نداء إلى صرخة وجدانية ذات بُعد وجودي، مما يخلق حالة من التناص الشعوري مع آيات الغيبة والتمحيص والابتلاء، مثل

قوله تعالى: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين».

ويأتي التناص التاريخي بقوة في مقاطع الدعاء التي تتحدث عن الغدير، والسقيفة، والانحراف، واستشهاد الأئمة، وكأن النص يُعيد كتابة التاريخ من وجهة نظر عقائدية، ليست سردية بقدر ما هي توثيق وجداني للألم والانقطاع، ثم يتحوّل إلى استنهاض وشوق فيقول: «لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى، بَلْ أَيْ أَرْضٍ تُقْلُكْ أَوْ ثَرَى، أَبْرَضَوَى أَوْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طُوًى؟» وهذا التناص المهدوي في الدعاء يمثل امتداداً وجدانياً وفكرياً لعقيدة الانتظار التي نمت وتشكلت عبر تراكمات النصوص السابقة، ويُعيد إنتاج خطاب الغيبة على نحو يجعل المنتظر شريكاً روحياً في النص لا متلقياً فقط.

وكما أن دعاء الندبة يستعمل أسلوباً لغوياً تتشابه فيه التراكيب القرآنية مع الأساليب الخطابية للبلاغة العلوية، والمراثي الحسينية، والخطاب العرفاني، مما يُغني التناص اللفظي والدلالي. فهو يختار ألفاظاً ذات حمولة شعورية متكاملة،



كتعبيرات «أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء؟» أو «هل من معين؟»، وهذه العبارات تُحيل إلى مفاهيم أكبر من مجرد جُمل، إنها تفتح ذاكرة جمعية من الحزن والتوق والتطلع إلى الخلاص، مما يجعل الدعاء بنية نصية قائمة على كثافة الإشارة لا على السرد المباشر.

ومن هنا، فإن النظرة البحثية لدعاء الندبة من خلال التناص تتيح لنا أن نرى النص بمنظار جديد، يقرأه لا بوصفه دعاءً محفوظاً، بل كنص ثقافي متشعب، يحمل في طياته همماً عقدياً، وهوية تاريخية، ووجداناً جمعياً، ويفتح على مستويات متعددة من الخطاب: خطاب الألم، وخطاب الرجاء، وخطاب الاحتجاج، وخطاب الوعد. وفي ذلك، فإن التناص لا يكون مجرد أداة تحليل، بل يصبح مفتاحاً لفهم كيفية تشكّل الوعي الديني والهوية الشيعية من خلال النصوص، ومن خلال التجربة العاطفية والعقائدية الممتدة عبر الزمن، حيث يصبح دعاء الندبة بمثابة مرآة كبرى تعكس كل النصوص المؤسسة للعقيدة، وتصرّحها في بُنية دعائية ذات طاقة وجدانية وفكرية هائلة، لا تهدف

إلى البكاء على الغياب فحسب، بل إلى صناعة الارتباط، واستنهاض الذات، وتجديد العهد.

وهكذا، فإن البحث في تناص دعاء الندبة لا يكشف عن علاقات لغوية فحسب، بل يدخلنا في عمق البنية الدينية والثقافية للتشيع، ويمنحنا وسيلة لفهم كيف أن النصوص تتداخل لا لتكرر، بل لتبعث المعنى من جديد، وتحفظ هوية الأمة في مواجهة النسيان والتشويه والانقطاع.

حادثة الغدير

تعدّ واقعة غدير خمّ من أهمّ قضايا الأمة الإسلامية؛ فهي الواقعة التي تحدّد اتجاه مسير الأمة الإسلامية ومستقبلها، بل ومستقبل العالم وهي من الأحداث التاريخية الهامة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله ﷺ في السنة الأخيرة من حياته المباركة فهي الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتوج فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتاج الخلافة والإمامة، وهذه الواقعة هي مفترق طرق بين



المذاهب الإسلامية^(١)، ولذا يحق لمن عبّر عن الغدير بأنه «نظرية النص التي صاغها البيان النبوي يوم الغدير لتكون التفسير الشرعي لاستحقاق الإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ»^(٢)، وقد بُني مسجد سمي بمسجد الغدير على أثر وقوف الرسول الأكرم ﷺ فيه بعد الرجوع من حجة الوداع، وأعلان الإمامة والخلافة والولاية لأمر المؤمنين عليه السلام بيد أن المسجد قد طمره النواصب على مر العصور، وهي محاولة لإطفاء جميع شواهد التاريخ الناطقة بإمامة أهل البيت عليهم السلام^(٣).

التناسق لغة واصطلاحاً:

جاء في معجم العين في مادة (نصّ): «نصّص الحديث الى فلان نصّاً أي رفّعه... والمنصة التي تقعد عليها العروس، ونصّصت ناقتي: رفّعتها في السير... ونصّصت الشيء: حرّكته، ونصّصت الرجل: استقصيت مسأله عن الشيء، يقال: نصّ ما عنده أي استقصاه، ونص كل شيء: متّهاه...»^(٤).

وجاء في القاموس المحيط: «... نص الحديث إليه: رفعه، وناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء: حرّكه، ومنه: فلان ينص أنفه غضباً، وهو نصاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلانا: استقصى مسأله عن الشيء، والعروس: أقعدها على المنصة، بالكسر، وهي ما ترفع عليه، فانصت، والشيء: أظهره، والشواء ينص نصيصاً: صوت على النار، والقدر: غلت. والمنصة، بالفتح: الحجلة من نص المتاع. والنص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والتوقيف، والتعيين على شيء ما...»^(٥).

وفي المعجم الوسيط «تناص القوم:

(١) ينظر: علي في الكتاب والسنة / الحاج حسين الشاكري ٢/ ٤٠٦.

(٢) موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب / العلامة الشيخ الأميني ١/ ١٠.

(٣) ينظر: الدعاء إشرافاته ومعطياته / السيد كمال الحيدري ٢١٤ - ٢١٥.

(٤) العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي مادة (نصّ) ٧/ ٨٦ - ٨٧، وينظر: مختار الصحاح / الرازي، مادة نصص ٦٦٢ - ٦٦٣.

(٥) القاموس المحيط / الفيروز آبادي ٢/ ٣٢٠.



وردت مصطلحات كثيرة لها علاقة ما بمصطلح التناص كالتضمن والسرقة وغيرها كما ظهرت كتب الموازنات التي تَمَّتْ إلى التناص بصلة، بل إنها جزئية من جزئياته مثل: الموازنة للأمدي والوساطة للجرجاني وغيرها، كما وجدت إشارات كثيرة في كتب التراث مثلما جاء في كتاب سر الفصاحة للخفاجي وكتابي عبد القاهر الجرجاني؛ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وكتاب ابن طباطبأ عيار الشعر وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ولهذا التناص ظاهرة كانت مدركة في الشعر العربي ولكنها لم تتبلور منهجاً شاملاً بل إن ذلك كان إدراكاً لبعض خواص التناص ولكنها ليست التناص كما هو اليوم يمثل منهجاً شاملاً، تأسس على خلفيات معرفية؛ فلسفية ولسانية ونفسية لهذا تظل المرجعية لهذا المفهوم مرجعية غربية وإذا قلنا غير هذا دخلنا دائرة التعصب التي تؤدي إلى التعصب ذاته^(٤)

ازدحموا^(١)، وفي موضع آخر ذكرت دلالات لغوية جديدة للنص فهو «صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، وما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل... ومن الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه، يقال: بلغ الشيء نصه، وبلغنا من الأمر نص: شدته»^(٢).

نستدل مما سبق أن للنص معاني متعددة منها الرفع، والحركة والإظهار، والاستقصاء أما اتناص في اللغة فهو الازدحام، وهذا المعنى يقترب من مفهوم التناص بصيغته الحديثة فتداخل النصوص يقترب من ازدحامها في نص ما^(٣)، ويبدو أن التناص مصدر للفعل تناصّ أو تناصّ القوم تراحموا وهذا المصدر بصيغته الصرفية هذه يدل على المفاعلة ولم يظهر التناص بوصفه مصطلحاً نقدياً في النقد العربي إلا مع مرحلة الترجمة للفكر الغربي الحديث ولكن التناص مصطلح حديث لظاهرة قديمة فقد

(١) المعجم الوسيط / مجموعة مؤلفين ٩٢٦.

(٢) المعجم الوسيط ٩٢٦.

(٣) ينظر: التناص في شعر الرواد / أحمد ناهم ١٤.

(٤) ينظر: التناص في شعر عبد الله البردوني، أطروحة دكتوراه، محمد مسعد سعيد سلامي، جامعة صنعاء،



التناص اصطلاحاً:

ذكر سعيد علوش تعريفات عديدة للتناص منها أنه أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها معاصرة لها، بحيث أنه في كل نص يقع في ملتقى نصوص كثيرة تشكل قراءة جديدة تشديداً وتكثيفاً، والنص المتناص يكاد يحمل بعض صفات الأصول^(١).

عرفه بعض الدارسين بأنه «رابط خارجي للنص بنص سابق، قد يستعمل جزءاً من ذلك النص السابق، وقد يشير إليه ويلمّح، وذلك الجزء يترابط مع بنية النص الجديد ويصبح كالتطعيم له، سواء ارتبط به من جهة اللفظ أو المعنى أو كليهما معاً»^(٢).

التناص في دعاء الندبة

إنّ ورود التناص نتيجة طبيعية لكون

النص لا يبدأ من فراغ وإنما هو مزيج من القراءات المختلفة للنصوص المخترنة في ذهن مبدعه فضلاً عن الإبداع الذاتي له، فهو يقرأ قبل أن يكتب، وحين يكتب يحدث منه - عفواً أو قصداً -^(٣)، فالإمام الصادق في دعائه - دعاء الندبة - حينما استحضر حديث الغدير يدلل على أنه واع لهذا الحديث وهكذا هو «علم أئمتنا الاثني عشر، فعلم آخرهم كعلم أولهم، علم إلهامي يتوارثونه إمام عن إمام، بل ورد أن الإمام عليه السلام تنتقل إليه حتى مواريث الأنبياء عليهم السلام كسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وعمامته أو عصا موسى عليه السلام التي صدرت منها المعاجز»^(٤).

ف نجد الإمام الصادق عليه السلام حينما ينهي حديثه عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله يتناص حديث الغدير فيقول: «... فلما انقضت أيامه قام وليه علي بن أبي طالب صلوات

كلية اللغات، قسم اللغة العربية والترجمة، (د.ت)، ص ١٩ - ٢٠.

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة / سعيد علوش ٢١٥.

(٢) التناص في شعر الجواهري

http://www.alukah.net/literature_language/043245//#ixzz2hHpXx8Lu

(٣) المقال نفسه ١.

(٤) موسوعة المصطفى والعترة / الحاج حسين الشاكري ٢٧٨ / ١٣.



الله عليهما وعلى ألهما هاديا، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد، فقال والملا أمامه: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وقال: من كنت نبيه فعلي أميره، وقال: أنا وعلي من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى، وأحله محل هارون من موسى، فقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، ...» (١).

ويبدو أن حديث الغدير حديث متواتر قد روي بطرق مختلفة، من ذلك ما رواه ابن عساكر بروايات تختلف اختلافاً بسيطاً حسب اختلاف الرواة الصحابة فقد ابتدأ برواية أنس بن مالك ثم البراء بن عازب الأنصاري ثم بريدة بن الحصيب الأسلمي ثم جابر بن عبد الله الأنصاري ثم جرير بن عبد الله البجلي ثم حبشي بن جنادة السلولي ثم حذيفة بن أسيد الغفاري ثم مولى أسامة بن زيد - حرملة أبي بسطام - ثم

أبي أيوب الأنصاري... الخ (٢)، وكانت العناية الإلهية كفيلة بحفظ هذا الحديث في الصدور لتداوله الألسن وتناقله الأجيال لاسيما وأنّ رسوله أمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كلهم رواة لهذا الحديث، وهم يربون على مائة ألف، ولم يكتف سبحانه بذلك حتى أنزل أمره في آيات من الذكر الحكيم تتلى بكرة وعشياً ليكون المسلمون على علم ودراية بهذه القضية في كل حين، وليعرفوا رشدهم والمرجع الذي يجب عليهم أن يأخذوا عنه معالم دينهم (٣).

وتجلت هذه العناية الإلهية بتخليد حادثة الغدير في الذكر الحكيم في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ - المائدة / ٦٧، ولما بلغ الرسالة بنصه على علي عليه السلام بالإمامة وعهده إليه بالخلافة أنزل تعالى قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

(١) بحار الأنوار / المجلسي ١٠٦/٩٩.

(٢) ينظر: طرق حديث الغدير برواية ابن عساكر / جمع وتحقيق أمير التقدمي المعصومي ١٩ - ١٨٩.

(٣) ينظر: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١ / ٣٧.



عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ - المائدة / ٣، عن عناية الرسول ﷺ بالحادثة حينما صرح للناس بهذا الأمر الإلهي، ولم يختلف أئمة الهدى عن جدهم المصطفى في تذكير الناس بالحادثة فكانوا يتخذون من اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عيداً في كل عام يجلسون فيه للتهنئة والسرور بكل بهجة وحبور، ويتقربون الى الله تعالى بالذكر والصلوات والصيام والغسل والابتهاال بالأدعية وكانوا في هذا اليوم يتخذونه عيداً يصلون فيه أرحامهم، ويوسعون على عيالهم، ويزورون إخوانهم، ويحفظون جيرانهم، وكذلك يفعل شيعتهم ومحبيهم^(١).

وقد بذل الشيخ الأمين جهداً كبيراً في موسوعته الموسومة (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) في تقصي رواة حديث الغدير من الصحابة والتابعين جمع الشعر الذي قيل في الغدير على مختلف القرون، ومثل ذلك ذلك في موسوعة (عبارات ديناً) - المائدة / ٣، عن عناية الرسول ﷺ بالحادثة حينما صرح للناس بهذا الأمر الإلهي، ولم يختلف أئمة الهدى عن جدهم المصطفى في تذكير الناس بالحادثة فكانوا يتخذون من اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عيداً في كل عام يجلسون فيه للتهنئة والسرور بكل بهجة وحبور، ويتقربون الى الله تعالى بالذكر والصلوات والصيام والغسل والابتهاال بالأدعية وكانوا في هذا اليوم يتخذونه عيداً يصلون فيه أرحامهم، ويوسعون على عيالهم، ويزورون إخوانهم، ويحفظون جيرانهم، وكذلك يفعل شيعتهم ومحبيهم^(١).

ولما كان القرآن نصاً مقدساً من أقدس النصوص فقد ابتدأ بالتنصيص القرآني لآيات تحكي دور الرسالات السماوية في هداية الناس فضلاً عن بيانه عصمة أهل البيت ﷺ، وأجر الرسالة المحمدية الذي اقترن بمودة أهل بيته فقال ﴿وَجَعَلَتْ لَهُ وَلَهُمْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٤)، وَقُلْتَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥) ثُمَّ جَعَلَتْ

(١) ينظر: المراجعات / السيد عبد الحسين شرف الدين ١٨٢.

(٢) ينظر: موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ / محمد الريشهري ٦٣.

(٣) تناص لآية ٩٦ من سورة آل عمران.

(٤) تناص لقوله تعالى لجزء من الآية ٩٧ من سورة آل عمران.

(٥) تناص لجزء من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.



وقدوتهم في أمر الدين والدنيا - يجب أن يكون حامل علم النبي صلى الله عليه وسلم، وعلم الوحي والأوامر الإلهية^(٦).

ثم يأتي دور التناص الحديثي فنجد النص الدعائي مشحوناً بكثير من الأحاديث النبوية التي قالها النبي ﷺ في حق علي عليه السلام في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«وَقَالَ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَائِرُ النَّاسِ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى»^(٧)، وَاحِلُهُ

مَحَلٌّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا

نَبِيٍّ بَعْدِي^(٨)، وَزَوْجُهُ ابْنَتُهُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَاحِلٌ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ مَا حَلَّ

لَهُ، وَسَدُّ الْأَبْوَابِ إِلَّا بَابَهُ، ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ فَقَالَ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ

أَجَرَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) وَقُلْتَ ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٢) وَقُلْتَ: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾^(٣)، ﴿فَلَمَّا انْقَضَتْ أَبَامُهُ أَقَامَ وَلِيُّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهَا وَآلِهَا هَادِيًا، إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤)...»^(٥).

وهذا التناص القرآني أمر محمد لحديث الغدير الذي يوكل أمر المسلمين الى ربيب النبوة الإمام علي عليه السلام الذي نصبه النبي ﷺ بأمر إلهي أميراً للمؤمنين إذ إن منصب الإمامة لا يتعين إلا بأمر إلهي، فالإمام - بصفته مرجع المسلمين، ومنعقد طاعتهم

(١) تناص لجزء من الآية 33 من سورة الشورى.

(٢) تناص لجزء من الآية ٤٧ من سورة سبأ.

(٣) تناص لجزء من الآية ٥٧ من سورة الفرقان.

(٤) تناص لقوله تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ - الرعد/ ٧).

(٥) بحار الأنوار ٩٩/ ١٠٥.

(٦) ينظر: الإمامة وأهل البيت / محمد بيومي مهران ١/ ١٨٣.

(٧) تناص مع حديث (وإن الناس خلقوا من شجر شتى وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة). (بحار الأنوار ٢١/ ٢٨٠).

(٨) تناص مع الحديث الوارد في الخصال / الشيخ الصدوق ٢١١.



وَعَلَىٰ بَائِبِهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَائِبِهَا^(١)، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي^(٢)، لَحْمُكَ مِنْ لَحْمِي وَدَمُّكَ مِنْ دَمِي وَسَلْمُكَ سِلْمِي وَحَرْبُكَ حَرْبِي وَالْإِيمَانُ مُحَالِطٌ لَحْمِكَ وَدَمِّكَ كَمَا خَالَطَ لَحْمِي وَدَمِي، وَأَنْتَ عَدَاً عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي وَأَنْتَ تَقْضِي دِينِي وَتُنْجِزُ عِدَاتِي وَشَيْعَتُكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ مُبَيَّضَةٍ وَجُوهُهُمْ حَوْلِي^(٣) فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جِيرَانِي، وَلَوْ لَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي، وَكَانَ بَعْدَهُ هُدًى مِنَ الضَّلَالِ وَنُوراً مِنَ الْعَمَى، وَحَبَلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمِ، لَا يُسْبِقُ بِقَرَابَةٍ فِي رَحِمٍ وَلَا بِسَابِقَةٍ فِي دِينٍ، وَلَا يُلْحَقُ فِي مَنْقَبَةٍ مِنْ مَنْاقِبِهِ» .

وثمة تناص قرآني آخر في الفقرة الأخيرة من الدعاء الذي يحكي مسيرة الإمام علي عليه السلام وهو: «إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة

للمتقين»، وهو تناص من قوله تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ - الأعراف/ ١٢٨. وفي هذا النص عود على بدء، وارتباط خاتمه مع بدايته، إذ بدأ النص بحادثة تنصيب الإمام علي عليه السلام يوم الغدير وانتهى بسنة من سنن الله في كتابه الكريم؛ ألا وهي سنة الاستخلاف ووراثه الأرض التي وعدّها الله عباده المتقين، وهو ما لم يتحقق لأمر المؤمنين عليه السلام بشكل كامل ولا لولده الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وإنه سيتحقق إن شاء الله تعالى للإمام المهدي المنتظر عليه السلام، إذ يحكم شرق الأرض وغربها ويحقق العدالة الإلهية ويحقق حلم الأنبياء وآبائه الطاهرين، كما يرجع كل حق مغتصب لأهل البيت ويقتص من ظالمهم^(٤).

ويمكن لنا أن نسمي التناصين القرآني

(١) تناص مع الحديث الوارد في بحار الأنوار ٢٨/ ١٩٩.

(٢) تناص مع الحديث الوارد في المصدر نفسه ٣٨/ ٣٣٤.

(٣) تناص مع الحديث الوارد في المصدر نفسه ٣٧/ ٢٢٧.

(٤) ينظر: مفاهيم الغدير بين القرآن الكريم ودعاء الندبة، بحث، م.م أحمد جاسم ثاني، مؤتمر الغدير الأول العالمي، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢، ص ٩.



والحديثي بالتناص الديني إذ نجد الإمام الصادق في أدعيته لاسيما في هذا الدعاء يتكئ على النص الديني المتمثل بالقرآن الكريم والحديث الشريف فالقرآن الكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بها الله تعالى فصحاء العرب، نصاً مقدساً، ومصدراً إعجازياً أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعراً ونثراً وقد سعى الإمام الصادق عليه السلام في تناصاته القرآنية لترقية أبعاده اللغوية والفكرية؛ لأنه العروة الوثقى التي يتمسك بها^(١) وهذا دليل على أن القرآن الكريم والعترة صنوان لا يفرقان لذا التمسك بهما يؤدي الى الهداية لا الى الغواية لقول رسول الله ﷺ: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنها لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢).

وثمة تناص قصصي مع قصص الأنبياء

والمرسلين في دعاء الندبة لما في القصص القرآني من دور في رقد الإبداع الفني وما فيه من متعة وإناء وإغناء بالإشارة، وما له من دلالة عميقة حينما تتعاقب الشخصيات القصصية في نص واحد^(٣)، وقد عمد الإمام الصادق الى البدء بأبيهم وأبي البشرية جمعاء آدم عليه السلام، وانتهى بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ إذ يقول: «بَعْضُ أَسْكَنْتَهُ جَنَّكَ إِلَى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا، وَبَعْضُ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضُ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلاً وَسَأَلَكَ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ فَأَجَبْتُهُ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيّاً، وَبَعْضُ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكَلِّمًا وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِذْأً وَوَزِيْرًا، وَبَعْضُ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ آبٍ وَأَتَيْتُهُ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، ...»^(٤) فجاء التناص القصصي في هذا المقطع مسلسلاً من آدم الساكن في الجنة والخارج منها، ثم نوح المحمول في الفلك، ثم

(١) ينظر: التناص في تائية ابن الخلوف، رسالة ماجستير، حياة معاش، جامعة العقيد الحاج بلخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م (١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ)، ص ٤٦.

(٢) بحار الأنوار ٦٩/٥.

(٣) التناص في تائية ابن الخلوف ٥٢.

(٤) بحار الأنوار ١٠٥/٩٩.



الخاتمة:

تعد حادثة الغدير منعطفًا تاريخياً مهماً في حياة المسلمين فقد كان لهذه الحادثة المهمة أثر فكري وسياسي وحضاري فهي الواقعة التي تحدد اتجاه مسير الأمة الإسلامية ومستقبلها ، بل ومستقبل العالم وهي من الأحداث التاريخية الهامة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله ﷺ في السنة الأخيرة من حياته المباركة فهي الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتوج فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بتاج الخلافة والإمامة، وهذه الواقعة هي مفترق طرق بين المذاهب الإسلامية، ولذا يحق لمن عبر عن الغدير بأنه نظرية النص التي صاغها البيان النبوي يوم الغدير لتكون التفسير الشرعي لاستحقاق الإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ. وقد دلتنا المصادر اللغوية على أنّ التناس مصدر للفعل تناصّاً وتناصّ القوم تزاخوا وهذا المصدر بصيغته الصرفية هذه أي دل على المفاعلة ولم يظهر التناس بوصفه مصطلحاً نقدياً في النقد

إبراهيم المتخذ خليلاً، ثم موسى المكلّم من شجرة تكليماً ثم عيسى المولود من غير أب عليه السلام. وثمة تناص تاريخي عرّج فيه الإمام الصادق عليه السلام الى مسيرة جده أمير المؤمنين وما لاقاه من انتصارات حربية، وعداوات جاهلية تؤدي الى قتله وإقصاء ولده إذ يقول في ذلك: «...قد وتر فيه صناديد العرب، وقتل أبطاهم، وناهش ذؤبانهم، فأودع قلوبهم أحقاداً بدرية وخيرية وحنينية وغيرهن، فأضبت على عداوته، وأكبت على منابذته حتى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ولما قضى نحبه، وقتله أشقى الآخرين، يتبع أشقى الأولين، لم يمثل أمر رسول الله ﷺ في الهادين بعد الهادين، والأمة مصرة على مقتته، مجتمعة على قطيعة رحمه، وإقصاء ولده إلا القليل ممن وفي لرعاية الحق فيهم، فقتل من قتل، وسبي من سبي، وأقصى من أقصى، وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة،...»^(١).



العربي إلا مع مرحلة الترجمة للفكر الغربي الحديث أولكن التناسص مصطلح حديث لظاهرة قديمة فقد وردت مصطلحات كثيرة لها علاقة ما بمصطلح التناسص كالضمين والسرقة وغيرها كما ظهرت كتب الموازنات التي تمّت إلى التناسص بصلّة، بل إنها جزئية من جزئياته مثل: الموازنة للآمدي والوساطة للجرجاني وغيرها، كما وجدت إشارات كثيرة في كتب التراث مثلما جاء في كتاب سر الفصاحة للخفاجي وكتابي عبد القاهر الجرجاني؛ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وكتاب ابن طباطبأ عيار الشعر وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ولهذا التناسص ظاهرة كانت مدرّكة في الشعر العربي ولكنها لم تتبلور منهجاً شاملاً بل إن ذلك كان إدراكاً لبعض خواص التناسص ولكنها ليست التناسص كما هو اليوم يمثل منهجاً شاملاً، تأسس على خلفيات معرفية؛ فلسفية ولسانية ونفسية لهذا تظل المرجعية لهذا المفهوم مرجعية غربية

أوإذا قلنا غير هذا دخلنا دائرة التعصب التي تؤدي إلى التعصب ذاته • ويعرّف التناسص اصطلاحاً رابط خارجي للنصّ بنصّ سابق، قد يستعمل جزءاً من ذلك النصّ السابق، وقد يشير إليه ويلمّح، وذلك الجزء يترابط مع بنية النصّ الجديد ويصبح كالطعيم له، سواء ارتبط به من جهة اللفظ أو المعنى أو كليهما معاً بأنه. لذا يمكن أن من التناسص في ربط النصوص بعضها ببعض بعلاقات معنوية أو سياقية أو غير ذلك.

وقد هيمن التناسص الديني والتاريخي على النصّ الدعائي المتمثل بدعاء النذبة على أن التناسص الديني المتمثل بالقرآن الكريم والحديث النبوي أكثر هيمنة من التناسص التاريخي المتمثل بسيرة الأنبياء، وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان التناسص هنا مكثفاً موجزاً وغير مباشر في حين الأول جاء كثراً ومباشراً.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي
مهران، ط ٢، مطبعة: نهضة، مركز
الغدير للدراسات الإسلامية،
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢. بحار الأنوار، العلامة المجلسي،
تح / محمد مهدي السيد حسن
الموسوي الخرسان، السيد إبراهيم
الميانجي، محمد الباقر البهبودي،
ط ٣، دار إحياء التراث العربي -
بيروت - لبنان، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

٣. التناص في تائيه ابن الخلف، رسالة
ماجستير، حياة معاش، جامعة
العقيد الحاج بلخضر باتنة، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، قسم
اللغة العربية، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م
(١٤٢٤ - ١٤٢٥هـ).

٤. التناص في شعر الجواهري

<http://www.alukahnet/043245//#ixzz2>

hHpXx8Lu

٥. التناص في شعر الرواد، دراسة،
أحمد ناهم، دار الشؤون الثقافية
العامة، ٢٠٠٤م.

٦. التناص في شعر عبد الله البردوني،
أطروحة دكتوراه، محمد مسعد
سعيد سلامي، جامعة صنعاء،
كلية اللغات، قسم اللغة العربية
والترجمة، (د.ت).

٧. الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق
وتصحيح وتعليق: علي أكبر
الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة
الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش.

٨. الدعاء إشراقاته ومعطياته، من
أبحاث السيد كمال الحيدري،
بقلم د. طلال الحسن، ط ١، مركز
أبحاث الحج، دار مشعر، مطبعة
مشعر، ١٤٣٣هـ.ق.

٩. طرق حديث الغدير برواية ابن
عساكر، جمع وتحقيق أمير التقدمي
المعصومي، ط ١، مطبعة: نكارش،
قم، إيران، ١٤٢١هـ.

١٠. العين، الخليل الفراهيدي، تح / د.
مهدي المخزومي، ود. إبراهيم
السامرائي، ط ٢، مط: الصدر،
مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠هـ.



١١. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مكتبة أهل البيت، (د.ت).
١٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٣. المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين، ط٣، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٤. المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار)، ط٢، مكتبة المرتضوي، مط: باقري، ١٤٢٧هـ. ق - ١٣٨٥هـ. ش.
١٥. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.
١٦. مفاهيم الغدير بين القرآن الكريم ودعاء الندبة، بحث، م.م أحمد جاسم ثاني، مؤتمر الغدير الأول العالمي، العتبة العلوية

المقدسة، ٢٠١٢.

١٧. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تح/ مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، ط٢، مطبعة دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ.
١٨. موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، تح/ مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٤، الناشر: مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، مطبعة: محمد، إيران، قم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٩. موسوعة المصطفى والعترة، الحاج حسين الشاكري، ط١، مطبعة: ستارة، نشر الهادي، قم، إيران، ١٤١٩هـ.



الولاية بين المفهوم الشرعي والواقع التاريخي

م.د. إبراهيم مزهر صالح الموسوي



كلية الطف الجامعة
قسم التربية الإسلامية وعلوم القرآن



مقدمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

الحديث عن الولاية مهمة جليلة وخطيرة في الوقت نفسه.

أما جلالته: فلأنها تهدف إلى تقديم المثل الأعلى والقُدوة الصالحة للإنسانية، لإنقاذها من الحيرة والضلال، والأخذ بيدها إلى شاطئ السلامة والأمان، والحفاظ على مبادئ الرسالة الربانية، التي جاء بها النبي ﷺ من ربِّ العزة والجلال، والسير بالأمّة على هدي الإسلام المحمدي الأصيل.

وأما خطورتها: فإنَّ بعضهم يعيش الغموض والضبابية تجاه الولاية وأهميتها في إتمام مهام الرسالة والحفاظ على مبادئها، ولا يتحمل المزية التي خصَّ الله بها الولي للأمّة بعد النبي ﷺ، وذلك لأسباب سياسيّة، أو لعوامل تاريخيّة، لأنَّ صانعي التاريخ لا يروق لهم النصوص الواردة من الله ورسوله بخصوص الولي

والوصي على الأمّة علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته المعصومين عليهم السلام. فيعمدون إلى تشويشها وإثارة الغبار حولها، ما يحجب عن الأجيال الآتية وضوح الرؤية فيها.

والسبب في ذلك أن الولي الشرعي وأهل بيته عليهم السلام، رفضوا الاعتراف بالسلطات المتصديّة لخلافة الرسول الأعظم ﷺ التي جاءت عن طريق الانقلاب على الولاية الشرعيّة، وغصبت حقوق آل محمد ﷺ، وخالفة وصيته فيهم، وتعمدت إقصاء الولي الذي نصبه الله ورسوله ﷺ وهم على ذلك شهود، وحاولوا إخفاء كل فضيلة يمتاز بها الإمام علي عليه السلام، وإنكار الولاية والتسويق للغاصبين منذ أن أغمض الرسول ﷺ عينه، حتى ارتحاله عند جوار ربّه.

ومن الملفت للنظر أنّه قد تم نجاح الانقلاب على الولاية الشرعيّة، والرسول ﷺ لم يوارَ الثرى بعد، والولي المنصوص عليه وأهل بيته كانوا مشغولين بتجهيز النبي ﷺ، والانقلابيون مشغولون في خطة إنجاح



مخططهم الانقلابي، ولم يحضروا عند الجثمان الطاهر ولم يشاركوا في مواراة جسده الشريف الثرى !! ولم يكتف تيار الانقلاب باغتصاب الولاية من أهلها، بل تمادى ووصل الحال به إلى التهديد بإحراق دار فاطمة بنت الرسول ﷺ على المعارضين المعتصمين في بيتها، لأخذ البيعة بالقوة من كل معترض، وإلا يتعرض الإسلام إلى الخطر والانهيار، وهذا لا يهم أصحاب هذا التيار، المهم عندهم السلطة والتسلط على رقاب المسلمين.

ولأهمية الموضوع وضعنا هذا البحث بعنوان الولاية «بين المفهوم الشرعي والواقع التاريخي» ويتألف من مبحثين في كل مبحث ثلاثة مطالب:

المبحث الأول:-

المطلب الأول: تعريف الولاية: لغة واصطلاحاً، ويتضمن أقسام الولاية، منها الولاية التكوينية ومنها الولاية التشريعية.

المطلب الأول:

تعريف الولاية: لغة:

١- «تعريف الولاية لغة: المولاة والنصرة. وقيل: بالكسر معناها الإمارة. والولي بفتح فسكون: القرب والدنو،

المطلب الثاني: الولاية في مفهومها الشرعي.

المطلب الثالث: الأدلة الروائية على

و«الولاية» قيل: بالكسر في الأمور، وبالفتح «الولاية» في الدين، كما أنها استعملت أيضاً في هذا المعنى في أسماء الله تعالى بمعنى الناصر^(١).

والتصرف والتدبير السلطة ونكتفي بذكر الولاية في معنى مادة ولي، الولي القرب والدنو، يقال تباعدنا بعد ولي، وكل مما يليك أي كل ما يقربك، وكذلك ولي الولي البلد وولي الرجل البيعة ولاية فيهما، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه وأشار إلى الولي إلى السلطة...^(٢).

وقال ابن الأثير في النهاية: مادة ولي والولاية بالكسر في الأمانة ومنه الحديث «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيُّ مَوْلَاهُ»^(٣).

الولاية: مصدر لمادة «ولي» وقال الراغب الأصفهاني في «المفردات» هو أن يكون الشيء إلى جانب شيء آخر بحيث

الآية الثانية: فالتعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾^(٤). السلطان الذي جعله الله هو قدرته على التصرف.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

(١) ابن منظور: لسان العرب: ١٥ / ٤٠٦.

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر / ٥ / ٢٢٨.

(٤) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم / ٨٨٥.

(٥) سورة مريم: ٥-٦.

(٦) سورة الأسراء: ٣٣.



النور* والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ... ﴿١﴾
هنا الله يتولى المؤمنين ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وأما الطواغيت فيتصرفون في أوليائهم ويخرجونهم من النور إلى الظلمات.

تعريف الولاية: اصطلاحاً:-

«هي سلطة شرعية لشخص في إدارة شأن من الشؤون، وتنفيذ إرادته فيه على الغير من فرد أو جماعة»^(٢).

«وقد عرفها الميرزا النائيني في تقرير بحثه الأول وما قرره الأملي «وبالجملة ما أحسن ما ذكر بعضهم في تعريف الولاية بقوله إنها عبارة عن الرياسة على الناس في أمور دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم طبعاً هذه الولاية سواء كانت الولاية الشاملة للمعصوم أو الفقيه»^(٣).
وهناك اشتراك في معنى الولاية في اللغة والاصطلاح فالولاية في اللغة بمعنى السلطة والتصرف، والولاية في

(١) سورة البقرة: ١٥٧.

(٢) نمر خليل النمر: أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي / ٢٧.

(٣) محمد تقي الأملي: كتاب الكاسب والبيع، تقرير بحث الميرزا النائيني / ٢ / ٣٣٤.

(٤) محمد تقي الأملي: الولاية في القرآن / ١٨ - ١٩.

الاصطلاح بمعنى الرئاسة على الناس في أمور الدين والدنيا، ولذلك يختلف معنى الإمامة في الفكر السياسي الشيعي عن الإمامة في الفكر السياسي السني، الإمامة في الفكر العقائدي الأمامي هي عبارة عن رئاسة ربانية لأُمور الدين والدنيا؛ لذلك تبحث الإمامة في أصول الدين عند الإمامية، على حين الفكر السني يخص الإمامة بالرئاسة الدنيوية، أي الخلافة والرئاسة الظاهرية

أقسام الولاية:

تنقسم الولاية إلى أقسام منها:

١- الولاية التكوينية:-

«وهي عبارة عن القدرة على التصرف في أي شيء وتديره على أي نحو يريده مَنْ عنده الولي»^(٤).

«وهي أيضاً بمعنى امتلاك القدرة والاختيار في الأمور التكوينية، وامتلاك قدرة التصرف في شؤون العالم وتغيير

نظامه الطبيعي»^(١).

كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾.

٢- الولاية التشريعية:-

«الولاية التكوينية في الواقع هي من شأن الله تعالى، وبناءً على أساس التوحيد الربوبي فإنَّ الله تعالى بقدرته وإعمال ولايته يدير الكون، ويُجري ربوبيته وولايته بأشكالٍ مختلفة»^(٢).

وهو يشمل الولاية التفسيرية والولاية السياسية والاقتصادية، وهي على خلاف الولاية التكوينية، فهي اختيارية ولا إجبار فيها، كما عدَّ القرآن الكريم أن قبول دين الله تعالى (التوحيد) وولايته أمر اختياري، وعدَّ الذين لم يقبلوا دين التوحيد خارجين عن ولايته، وهو ولي المؤمنين والذين عملوا الصالحات، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ

وفي القرآن الكريم إشارة إلى ولاية الله تعالى التكوينية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(٣).

الغِيِّ فَمَن يَكْفِر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾.

وأشارت آيات عديدة إلى أنَّ الولاية التكوينية منحصرة في الله تعالى ولا يمكن لأحد أن يفعل شيئاً، والتوجه لغير الله تعالى ظلم عظيم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى

قال العلامة الطباطبائي: «الولاية

(١) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن / ٦ / ١٦.

(٢) مرتضى المطهري: الولاءات والولايات / ٥٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٤) سورة الشورى: ٨ - ٩.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٧.



التشريعية عبارة عن القيام بالتشريع والدعوة، وتربية الأمة والحكم والقضاء في أمورها واختلافاتها، وبهذا المعنى اعتبر الله تعالى نبيه ولياً للمؤمنين^(١).

ومن الولاية التشريعية الولاية الاجتماعية، «أو ما يسمى بالزعامة والقيادة الاجتماعية والسياسية، فعلى

أساس الآيات القرآنية الحكم مختص بالله تعالى فهو الوحيد مَنْ له مقام الولاية على العباد، وهذا يشمل كل أنواع الولايات ومنها الولاية الاجتماعية والقيادية، ولكن لعلم الله تعالى بالقصور في العقل البشري، لا يدير هذا العالم إلا بالواسطة لذا فقد أوكل هذا الأمر لبعض البشر وفوضها إليهم ليأخذوا بيد المجتمع نحو التكامل^(٢).

والولاية لم تنحصر بالأنبياء فقط مع من كانت له الولاية والقيادة السياسية والاجتماعية في حكم الأمة، وهم عدد محدود من الأنبياء عليهم السلام منهم الرسول ﷺ إذ استمرت قيادته للأمة مدة عشر

سنين، وبعدها انتقلت الولاية بأمر من الله تعالى إلى الأئمة الاثني عشر، إذ نزل الأمر الإلهي يوم الغدير، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

وعليه تكون الولاية بعد الرسول ﷺ منحصرة في علي بن أبي طالب عليه السلام ثم إلى باقي الأئمة من ذريته وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

المطلب الثاني:-

الولاية في مفهومها الشرعي:

نبدأ بذكر الآيات القرآنية الكريمة وما نص عليه القرآن في حق الإمام علي عليه السلام في الولاية بعد رحيل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ثم نذكر النصوص الواردة في السنة النبوية والتأكيد على منزلة الإمام علي عليه السلام التي خصّه بها النبي (وميزه عن غيره من الصحابة، ومن ثم الأدلة العقلية على الولاية حفاظاً على وحدة

(١) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن / ١٦/٦.

(٢) مرتضى المطهري: الولاءات والولايات / ٥٠-٥٢.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.



الأمة الإسلامية...

ما ورد في القرآن الكريم من تأكيدات
تخصّ الولاية: منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُم
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

أشار معظم المفسرين والمحدثين
والمؤرخين أنّ هذه الآية الكريمة نزلت
بحق علي بن أبي طالب عليه السلام، عندما
تصدق بخاتمه وهو راکع، روى أبو ذر رضي الله عنه
«أما إني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً
من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في
المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده
إلى السماء وقال: اللهم أشهد بأني سألت
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد
شيئاً، وكان علي عليه السلام راکعاً فأومئ إليه
بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل
السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره
وذلك بعين النبي صلى الله عليه وآله فلما فرغ من صلاته
رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم موسى
سألك فقال: ربّ اشرح لي صدري ويسر

لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون
أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري،
فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلوا
إليكما.. اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك
اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري
واجعل لي وزيراً علياً أشدد به ظهري،
قال أبو ذر (رحمه الله): فما استتم رسول
الله (كلامه حتى نزل جبرائيل من عند
الله عز وجل فقال عليه السلام: يا محمد أقرأ،
قال وما أقرأ؟ قال: أقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيكُم
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).
قد نقلت هذه الرواية عن طرق مختلفة
في جزئيات وخصوصيات الموضوع،
لكنها جميعاً متفقة من حيث الأساس
والمبدأ»^(٣).

وقد ابتدأت هذه الآية بكلمة ﴿إِنَّمَا﴾
التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية
أمر المسلمين في ثلاث هم: الله ورسوله صلى الله عليه وآله

(١) سورة المائدة: ٥٧.

(٢) سورة المائدة: ٥٧.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / ٤ / ٤٦.



والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وهم راكعون، ولا شك أن الركوع المقصود في هذه الآية هو ركوع الصلاة ولا يعني الخضوع، لأن الشارع المقدس اصطلح في القرآن على كلمة الركوع للدلالة على الركن الرابع للصلاة^(١).

«كما لا شك في أن كلمة «الولي» الواردة في هذه الآية، لا تعني الناصر والمحِب، لأن الولاية التي بمعنى الحب أو النصرة لا تنحصر في من يؤدون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة عليهم، أو لا يمتلكون أساساً شيئاً ليؤدوا زكاته، فكيف يدفعون الزكاة وهم في حالة الركوع؟! هؤلاء كلهم يجب أن يكونوا أحياء فيما بينهم وينصر بعضهم البعض الآخر. ولاية الأمر والأشراف وحق التصرف والزعامة

والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وهم راكعون، ولا شك أن الركوع المقصود في هذه الآية هو ركوع الصلاة ولا يعني الخضوع، لأن الشارع المقدس اصطلح في القرآن على كلمة الركوع للدلالة على الركن الرابع للصلاة^(١).

«كما لا شك في أن كلمة «الولي» الواردة في هذه الآية، لا تعني الناصر والمحِب، لأن الولاية التي بمعنى الحب أو النصرة لا تنحصر في من يؤدون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة عليهم، أو لا يمتلكون أساساً شيئاً ليؤدوا زكاته، فكيف يدفعون الزكاة وهم في حالة الركوع؟! هؤلاء كلهم يجب أن يكونوا أحياء فيما بينهم وينصر بعضهم البعض الآخر. ولاية الأمر والأشراف وحق التصرف والزعامة

«معنى البراءة: أنقاطع العصمة، يقال: برأت من فلان أبرأ براءة، أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبقَ بيننا علقه، ومن هنا

(١) المصدر نفسه

(٢) ينظر: المصدر نفسه / ٤ / ٤٧.

(٣) سورة التوبة: ١.

(٤) الراغب الأصفهاني: مادة (برأ) / ١٢١.

الناس بمكة فقال أبو بكر: أسخط؟ فقال: لا إلا أنه أنزل عليه أنه لا يبلغ إلا رجل منك. فلما قدم على مكة وكان يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الأكبر قام ثم قال: إني رسول، رسول الله إليكم فقرأها عليهم «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرًا من ربيع الآخر، وقال: لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك بعد هذا العام، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فمدته إلى هذه الأربعة أشهر»^(٣).

«أخرج ابن مردويه عن أبي رافع رضى الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه ببراءة إلى الموسم فأتى جبرئيل رضى الله عنه فقال: لا يؤديها إلا أنت أو رجل منك فبعث علياً رضى الله عنه على أثره حتى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها فقرأها على الناس في الموسم»^(٤).

يقال برأت من الدين»^(١).
«فلما نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمنا يوم النحر، فلما خرج أبو بكر نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك. فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه في طلب أبي بكر فلحقه بالروحاء واخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: نزل في شيء؟ فقال: لا إن الله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»^(٢).

«وفي تفسير العياشي عن حريز عن أبي عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على الناس فنزل جبرئيل فقال: لا يبلغ عنك إلا علي فدعا رسول الله ﷺ علياً وأمر أن يركب ناقته العضباء، وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير / ٥ / ٥٢٢.

(٢) السيوطي: الدر المنثور / ٣ / ٢٠٩.

(٣) العياشي: التفسير / ٢ / ٢١٤.

(٤) أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني / ٢٥٢.



ما تريدون من علي ! إِنَّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»^(٢). وهذا نص صريح من الرسول ﷺ يدل على أَنَّ الولي بعد رحيل الرسول ﷺ على الأمة هو الإمام علي عليه السلام.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

«عن أبي سعيد محمد بن علي الصفار، قال: أخبرنا: الحسن بن أحمد المخلدي، قال: أخبرنا: محمد بن حمدون بن خالد، قال: حدثنا: علي بن عباس، عن الأعمش وأبي حجاب، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٤).

«عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا: أمر الله تعالى نبيه

«في الدر المنثور: اخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وأبو الشيخ وابن مردويه عن علي عليه السلام قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا أبا بكر (رض) ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه. ورجع أبو بكر (رض) فقال: يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال: لا ولكن جبرئيل جاءني فقال: لا يؤدي إلا أنت أو رحل منك»^(١).

فالروايات مستفيضة في هذا المعني من الطريقين ومن طرق مختلفة، أما من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام فوق الإحصاء. وهذا دليل واضح من الله عز وجل أن الولاية والخلافة وأداء المهام الرسالية تنحصر في علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الرسول ﷺ.

ومن الأدلة الواضحة رده الحازم علي مبغضي الإمام علي عليه السلام قال عليه السلام: «ما تريدون من علي ! ما تريدون من علي !

(١) السيوطي: الدر المنثور / ٣ / ٢٠٩.

(٢) سنن الترمذي: / ٥ / ٦٣٢.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) الواحدي النيسابوري: أسباب النزول / ١ / ٢٠٤.



محمدًا ﷺ أن ينصب علياً علماً في الناس ليخرجهم بولايته فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا جاء ببن عمه، وأن يطغوا في ذلك عليه. فأوحى الله إليه ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ فقام رسول الله ﷺ بولايته يوم غدیر خم^(١).

«عن حنان بن سدير، عن أبيه عن أبي جعفر ﷺ قال: لما نزل جبرئيل على عهد رسول الله ﷺ في حجة الوداع بإعلان أمر علي بن أبي طالب ﷺ ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ إلى آخر الآية، قال: فمكث النبي ﷺ ثلاثاً حتى أتى الحجة فلم يأخذ بيده فرقاً من الناس، فلما نزل الحجة يوم الغدير في مكان يقال له «مهيعة» نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس، فقال النبي ﷺ: مَنْ أولى بكم مِنْ أنفسكم؟ قال: فجهروا فقالوا: الله ورسوله، ثم قال لهم الثانية، فقالوا: الله ورسوله، ثم قال لهم الثالثة،

فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد علي ﷺ، فقال: مَنْ كنت مولاهُ فعليُّ مولاه، اللهم والي مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداهُ، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فأنه مني، وأنا منه، وهو مني بمنزلة هارون مِنْ موسى، إلا أنه لا نبيَّ مِنْ بعدي^(٢).

«وفي البصائر بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر ﷺ في قوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ قال: «هي الولاية»^(٣). نكتفي بهذا القدر من النصوص التي تخص نزول هذه الآية مورد البحث والتي نزلت بتأكيد على ولاية أمير المؤمنين علي ﷺ على الأمة بعد رحيل الرسول ﷺ فهي مستفيضة عن أهل السنة ولا تحصى عند الشيعة.

المطلب الثالث:-

أولاً: الأدلة الروائية عن الولاية:

١- حديث الدار:

في بداية الدعوة الإسلامية وقبل ظهور

(١) العياشي: التفسير / ٢ / ٦٢.

(٢) المصدر نفسه: / ٦٣.

(٣) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن / ٦ / ٥٤.

الإسلام في مكة وحينما أمر الله نبيه أن يصدع بالإسلام وحينما أنزل الله تعالى عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾^(١). والخليفة لرسول ﷺ المتصرف في الأمة، من تلك اللحظة التي نص بها النبي ﷺ عليه ﷺ.

٢- مؤاخاة النبي ﷺ لعلي ﷺ:

قال ابن هشام: حينما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وترك علياً لم يواخ بينه وبين أحد، فأخذ بيده، وقال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». وأضاف ابن هشام إلى ذلك: ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا أخي فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب ﷺ أخوين»^(٣).

وهذا مؤشر آخر على الولاية وتفضيل الإمام علي ﷺ علي غيره.

٣- حديث المنزلة:

عندما تحرك النبي ﷺ بجيشه إلى تبوك، لغزو الروم، ترك علياً مكانه، فقال علي ﷺ: «أتركني بين النساء والأطفال، ولا تسمح لي بالاشتراك في الجهاد معك

فدعاهم إلى دار عمه أبي طالب ﷺ وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون وفيهم جميع أعمامه، فقام الرسول ﷺ فيهم خطيباً وقال: «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فياكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟».

فأحجم القوم منها غير علي وكان أصغرهم، إذ قام فقال: «أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله ﷺ برقبته، وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لبنك وتطيع»^(٢).

فالولاية لعلي ﷺ هو الوصي والوزير

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل / ١ / ١١١.

(٣) سيرة ابن هشام / ٢ / ١٠٩.



٤- كان علي عليه السلام خليفة رسول الله ﷺ حتى في حياته ولم يكن أي شخص آخر قادر على الاضطلاع بتلك المهمة، وهكذا كان مقام هارون عليه السلام بالنسبة لموسى عليه السلام. نستنتج من هذا الحديث الشريف ما يأتي:-

١- كان علي عليه السلام أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ مثلهما كان هارون عليه السلام في بني إسرائيل.

٢- إنَّ علياً عليه السلام معصوم لا تصدر منه أي خطيئة وإنه بعيد عن أي معصية كما كان هارون عليه السلام غير أنه ليس بنبي كهارون عليه السلام.

٣- كان علي عليه السلام وزير الرسول ﷺ ومعاونته الخاص وشريكه في قيادة الأمة، إذ أن القرآن الكريم أثبت هذا المنصب لهارون عليه السلام، إذ قال تعالى: حكاية عن لسان موسى عليه السلام: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * أشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيراً * ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً﴾ (٢).

٤- حديث الغدير:

لقد مر ذكر بعض من الحديث الشريف في سبب نزول آية التبليغ، والآن نذكر الحوار الذي دار في غدير خم

(١) أحمد بن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة / ١٨٧.

(٢) سورة طه: ٢٩-٣٥.

(٣) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني / ٢ / ١٠٣.



بعد أن أدّى المسلمون صلاة الظهر مع الرسول ﷺ.

وعندما أراد الناس الانصراف فراراً من حرارة الجو، أخبرهم النبي ﷺ أن عليهم أن يستمعوا إلى بلاغ مهم جداً من جانب الله عز وجل، فأمر ﷺ بإقامة منبراً من أحداج الإبل، فارتقاه، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، وقال من جملة ما قال: «... أما بعد، أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أنا مسؤول وأنتم مسؤولون، ترى كيف تشهدون لي، فرفع الناس أصواتهم قائلين: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً.

فقال النبي ﷺ: أتشهدون بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله يبعث من في القبور يوم القيامة؟ فقالوا جميعاً: نعم فشهدوا بذلك. فقال: اللهم اشهد، ثم سألهم: أيها الناس، أستمعون صوتي؟ قالوا نعم. وساد صمت لم يسمع من خلاله شيء سوى صوت هبوب الرياح الجافة المحرقة للوجوه بحرارتها، والأعناق مشربته نحو النبي ﷺ.

وذهلت العقول بحيث نسوا مما هم فيه من ذلك الجو الملهب بحرارته، وأصبح الهم الوحيد هو معرفة ما سيصل إليه الرسول ﷺ من القول؟!، وأخيراً قال النبي ﷺ: أنبئوني ما تفعلون بعدي بهذين الثقلين العظيمين اللذين سأتركهما بين ظهرانيكم؟ فقام رجل من بين الجمع وقال: أي الثقلين تعني يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: الثقل الأول: هو الثقل الأكبر، كتاب الله، القرآن، ما إن أخذتم به لن تضلوا.

والثقل الثاني: هو عترتي، آل بيتي، ولقد أخبرني اللطيف الخبير بأنهما لن يفترقا حتى يردى عليّ الحوض، إن سبقتموهما هلكتم، وإن تخلفتم عنهما هلكتم. ثم نظر النبي ﷺ إلى أطرافه كأنه يبحث عن شخص، فلما وقع بصره، على علي بن أبي طالب أنحنى وأمسك بيده ورفعته إليه ثم رفع بيده حتى بان بياض إبطيهما، فرأه الناس وعرفوه.

وارتفع صوت النبي ﷺ وهو يقول: أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا الله ورسوله أعلم. فقال ﷺ: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين،

وأولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مولاه فعلي مولاه. وكرر هذا القول ثلاثة مرات، وقال بعض الرواة أنه كرره أربع مرات ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من بغضه، وأنصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ثم قال ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال ﷺ: فليبلغ الشاهد الغائب»^(١).

وقبل أن يتفرق الجمع نزل جبرئيل الأمين بالآية التالية على الرسول ﷺ ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢).

فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضي الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي»^(٣).

ثانياً: الأدلة العقلية على الولاية:-

١- كيف يسوغ لموهم أن يتوهم أن

٢- لم تكن صدفة أن يختار النبي ﷺ علياً في طفولته ليربيه، ولم يختار الآخرين، وقد كان له أكثر من أخ فلقد اختار علياً من بين أخوته واحتضنه، وكان يرقبه في صباه، وكان يلقي إليه منذ نعومة أظفاره في كل يوم خلقاً من أخلاقه، حتى أصبحت صفات علي عليه السلام عين صفات رسول الله إلا النبوة، إذ قال: الإمام علي عليه السلام «ولقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة

(١) ينظر: أسد الغابة: ابن الأثير / ٤ / ١٠٣.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل / ١ / ١٥٧.



الخصيصة، وضعتني في حجره، وأنا ولد
يضمنني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه،
ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان
يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي
كذبة في قول، ولا خطأ في فعل. ولقد
قرن الله به ﷺ، من لدن كان فطيماً
أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق
المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله
ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصل أثر
أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً
ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في
كل سنة بحراء فاره ولا يراه غيري، ولم
يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير
رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور
الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة ولقد
سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي
عليه ﷺ فقلت: يا رسول الله ما هذه
الرنة؟! فقال: هذا الشيطان قد آيس
من عبادته، إنك تسمع ما اسمع وترى
ما أرى إلا إنك لست بنبي ولكنك وزير
وإنك لعل خير»^(١).

هذه الصفات وغيرها هل توافرت
عند شخص غير الإمام علي عليه السلام؟!
وهل يستحق الولاية وقيادة الأمة غيره؟
مالكم كيف تحكمون؟!

٣- المعروف عند العقلاء أن الجاهل
يرجع إلى العالم في كل المجالات، ومن
المعروف أن الرسول ﷺ كان يرفع علياً
في عملية الأعداد لتحمل المسؤولية، كما
قال عليه السلام: «علمني رسول الله الف باب
من العلم يفتح له من كل باب الف
باب»^(٢). وقال الرسول ﷺ في حقه «أنا
مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم
فلأيته من بابي»^(٣). فالمطلوب أن يكون
قائد المجتمع بعد الرسول ﷺ له العلم
الذي يستطيع أن يجيب به كل أحد عن
سؤاله، كما كان يفعل الرسول ﷺ يجيب
كل سائل عن سؤاله، وأن يكون لا يحتاج
إلى مواجهة التحديات إلى أحد، بل يحتاج
إليه كل الناس في جميع المجالات، وهذا
ما عبر عنه «الخليل بن أحمد الفراهيدي»
عندما قيل له لم قدمت علياً عليه السلام؟ فقال:

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ١٩٠، ترتيب محمد عبده.

(٢) بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار / ٣٢٣.

(٣) كنز العمال: المتقي الهندي / ٥ / ٦٠٠.

المبحث الثاني:-

الولاية في الواقع التاريخي:

من أبرز أحداث الواقع التاريخي على الولاية هو الانقلاب الذي حصل يوم رحيل النبي ﷺ إلى بارئه، وانشغال الإمام علي عليه السلام وبني هاشم وبعض الأصحاب الأخيار في تجهيز النبي ﷺ إلى مدفنه الشريف...

المطلب الأول:-

إرهاصات الانقلاب على الولاية:-

قال تعالى ﴿قالت الأعرابُ آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (٢).

كان بعضهم مع النبي ﷺ يراه ويسمع كلامه ولكنه طغى على قلبه وفكره حب الدنيا، وحب رئاسة الأمة وقيادتها، لأنه لم يتخلص من ترسبات الجاهلية التي عاشها شطراً من حياته قبل الإسلام، فكان يخطط للانقلاب على الولي الشرعي المنصب من الرسول ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى، ومن العجيب أن قادة

«احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل» (١). فأمر الرسالة بعد رحيل النبي ﷺ يحتاج إلى شخص يجسد الإسلام عقلاً وروحاً وقوة وحركة وإخلاصاً، ولا توجد شخصية ترقى إلى مستوى علي عليه السلام.

٥- إنَّ المشركين لم يتركوا النبي ﷺ في تنفيذ خطته في توعية المسلمين وتعميق العقيدة في نفوسهم وإنما أشغلوه بالحروب، وهو يعلم أن مشروعه الرسالي لم يكتمل ولم ينشر الرسالة التي جاء بها من عند الله في ربوع المعمورة فتداهمه المنية ويرحل إلى ربه، وهذا معناه أن القضية تتطلب التفكير بمستقبل الإسلام بعد النبي ﷺ من القضايا التي تتصل بقوة الإسلام كرسالة يراد امتدادها بنفس الأصالة التي يمثلها الرسول ﷺ، وبيان ما يخص الناس من أحكام وتوجيهات رسالية كما كان النبي ﷺ يقوم بها، وليس هناك إلا قضية الإمامة والولاية وليس لها إلا الإمام علي عليه السلام. وإنَّ ولاية أمر الأمة مما لا غنى للدين عنه ظاهر ولا ستر عليه.

(١) عبقرية الإمام علي عليه السلام الدكتور مهدي محبوبه / ١٣٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.



والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي وأرجل من يزعمون أنه مات»^(٣). «ومن قال بأنه مات علوت رأسه بسيفي»^(٤). وهذا جزء من المخطط لأنه عندما توفي الرسول يبدو أن القادة الانقلابيين من قريش والمهاجرين غير موجودين في المدينة، فقد كان أبو بكر في السنع، وكان أبو عبيده بن الجراح غير موجود أيضاً، وكانت مهمة عثمان أن يكون قريباً من المسجد ومعه بنو أمية لمراقبة ال محمد وأهل بيت النبوة. فكان عمر بحاجة إلى شيء يشغل به الناس ريثما يتجمع ذلك النفر من قريش ثم ينطلق بهم ليقود جموع التحالف ويستولي على ملك النبوة بالقوة والتغلب، ويضع المؤمنين أمام أمر واقع! ولقد أوجد عمر هذا المقولة التي تناقض قوله حسبنا كتاب الله، فناقض نفسه ليشغل الناس فرفع شعار أن الرسول لم يمت، ولكنه ذهب لملاقاة ربه كما ذهب موسى!!

الانقلاب كانوا يهتونه يوم الغدير كما قال عمر بن الخطاب: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة» وفي روايات أخرى انه قال: «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب»^(١). عمر بن الخطاب الذي يهني الإمام علي عليه السلام بالولاية في غدير خم هو من كان يقود التيار المعارض لولاية علي عليه السلام. وهو من كان يخطط للانقلاب يوم السقيفة!!! فهو الذي قال: في مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي مات فيه عندما طلب الدواة والقلم (ما شأنه أهجر استفهموا حسبنا كتاب الله)^(٢).

مع أن هذه المقولة قد نقلت باللفاظ متعدد ومختلفة لا تليق بمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحينما أبقن من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم جرد سيفه وقال: «إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، إن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى عن قومه وغاب عنهم أربعين يوماً،

(١) مسند أحمد بن حنبل / ٤ / ٢٨١.

(٢) كتاب المغازي: صحيح البخاري: باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته / ٥ / ١٣٧.

(٣) تاريخ الطبري / ١ / ٨١٨.

(٤) تاريخ أبي الفداء / ١ / ١٦٤.



وجاء أبو بكر من السنج ودخل على النبي وهو مسجى على فراش الموت، وخرج إلى الناس، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ فقال عمر لأبي بكر: هل هذه الآية في كتاب الله؟! فقال أبو بكر نعم عندئذ سكت عمر وأغمد سيفه وجلس على الأرض قليلاً، ريثما انشغل الناس بالبكاء وأذهلتهم الصدمة بفقد القائد الرسول الأعظم ﷺ، وقد خسرت الأمة جبل الوصل بينهم وبين السماء وبركة نزول الوحي، فعندها انسل هو وأبو بكر وجماعة من المهاجرين معهم إلى سقيفة بني ساعدة لإتمام خيوط الانقلاب على الولاية، حيث تجمع الأنصار بعد أن أحسوا بنوايا التيار المناهض الذي أحكم كافة التدابير للحيلولة دون ولاية الإمام علي عليه السلام وإبعاده عن منصبه الذي نصبه فيه الله ورسوله.

وحينما وصلوا إلى السقيفة دار حوار شديد اللهجة بين الأنصار بقيادة سعد بن عباد، والمهاجرين بقيادة عمر بن الخطاب،

وفي هذا الحوار صرح الأنصار أنهم لا يخالفون البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أحق بالبيعة لأنه منصوص عليه، إذا قال عبد الرحمن بن عوف للأنصار: «يا معشر الأنصار، إنكم وأن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة، ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا علي ولا أبي عبيدة.

فقال زيد بن أرقم: إنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن، وإن منا سيد الأنصار سعد بن عباد، ومن أمر الله رسوله أن يقرأه السلام، وأن يأخذ عنه القرآن أبي بن كعب، ومن يجيء يوم القيامة إمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضى رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد، علي بن طالب»^(١).

ولم تنفع هذه الحوارات والمساجلات بين الطرفين، وإنما حسم الأمر عمر بن الخطاب حينما عين أبي بكر خليفة للمسلمين بعد الرسول ﷺ، إذ صفق على يد أبي بكر بالبيعة ثم تلاه أبو عبيدة

(١) شرح نهج البلاغة: للمعتزلي / ١٦ / ١٩ - ٢٠.



الأخيار الذين أصروا على والولاية المنصوص عليها لعل بن أبي طالب عليه السلام.

ثالثاً: الأعراب من قبيلة أسلم حديثة العهد بالإيمان التي أتفق معها أبي بكر وعمر وأنصارهما بأن تدخل المدينة وتفرض سيطرتها عليها، والدليل على ذلك بأن عمر أيقن بالنصر، كما قال عند رؤيته لهذه القبيلة وهي تدخل المدينة «إن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»^(٢). «وجاءت أسلم فبايعت فقوي أبو بكر بهم وبايع الناس بعد»^(٣).

فقول عمر أنه أيقن بالنصر عندما هب الأعراب من قبيلة أسلم وفرضوا منع التجوال على أهل المدينة، والمراقبة الشديدة للمعارضين للانقلاب، فعندها أيقن عمر بالنصر، وهذا إقرار من عمر أنه قطب الرحى في ذلك الانقلاب على الشرعية وهو من خطط له وقام بتنفيذه على أحسن وجه.

بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، تم هذا الانقلاب على الولاية المعينة من الله ورسوله، وقام عمر بتعيين من أراد، وهذا خلاف لما أراده الله ورسوله، «قالت الأنصار لا نبايع إلا علياً»^(١). كل هذا ورسول الله لا يزال مسجى على فراش الموت، وقد أنشغل علي وبنو هاشم وجماعة خيرة من الصحابة بتجهيزه صلى الله عليه وآله.

الطلب الثاني:-

الانقلاب وما رافقه من أحداث:-

إن قادة التيار الانقلابي قسموا كوادرههم إلى أربع فرق كالتالي:-
أولاً: فرقة بني أمية بقيادة عثمان بن عفان، قرب المسجد النبوي وكانت ترصد أي تحرك ضد الانقلاب وبالأخص من بني هاشم لتقوم بإخماده فوراً ومن دون إعطاء فرصة حوار للمعارضين.

ثانياً: فرقة بني زهرة بقيادة عبد الرحمن بن عوف، كذلك مهمتها نفس مهمة الفرقة الأولى، ولكنها في جانب آخر ترصد حركة بني هاشم والصحابة

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٢ / ٤٤٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٤٥٨.

(٣) الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٣١.



من أجل إخراجهم من الظلمات إلى النور، وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس، فجزاءه منهم أن تركوه مسجى على فراش الموت وسارعوا إلى إحكام التسلط على رقاب المسلمين، مخالفين لما أوصاهم به النبي ﷺ وشدد عليه في الولاية من بعده، وكأنهم ينتظرون يوم وفاة النبي ﷺ بفارغ الصبر، فاعتبروا ذلك اليوم الذي مُنيت به الأمة بأعظم مصيبة وقعت عليها بفقدائها نبيها وخاتم المرسلين وانقطاع الوحي، هو يوم نصر وفوز تغمرهم فيه الفرحة والسرور، قال الزبير بن بكار: «فلما بُويعَ أبو بكر، أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه إلى مسجد رسول الله ﷺ»^(٢) «إن عمر كان يومئذٍ - قال يعني يوم بويع أبو بكر محتجزاً - يهرول بين يدي أبي بكر، يقول: ألا أن الناس قد بايعوا أبا بكر»^(٣).

ثم جاء عمر ومعه أبو عبيدة إلى الفرق المكلفة بالمهام وأخبرهم بالخبر السار بأنه تم المخطط بنجاح وقد انتهت

رابعاً: ذهبت مجموعة للمفاوضة مع الأنصار، بعد أن تمت البيعة لأبي بكر وقسموا المهام، وكانت هذه الفرقة مستعدة لخوض معركة دامية إذا فشلت المفاوضات مع الأنصار.

وكانت هذه الفرقة يشرف على أداء مهامها عمر بن الخطاب، بالإضافة إلى الفرق الأخرى التي مر ذكرها كلها مهمتها سحق الأخضر واليابس أن لم يتحقق ما خططوا له، وهمم الأول هو التسلط وحكم الأمة حتى لو رجعت الناس إلى الجاهلية.

والدليل على ذلك أن أصحاب هذا التيار الانقلابي لم يتخذوا ولو يوماً واحداً حداداً أو الجلوس للعزاء أو مشاركة بني هاشم في تجهيز ودفن أعظم شخصية في العالم على الإطلاق النبي الأعظم الذي ﴿ما ينطق عن الهوى﴾ * إن هو إلا وحي يوحى^(١).

الذي عاش بين ظهرانيهم ما يقارب ثلاثة وستين سنة، وتحمل أنواع الأذى

(١) سورة النجم: ٣-٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / ٦ / ١٩.

(٣) تاريخ الطبري / ٢ / ٤٥٩.



أدى إلى مخالفة الله ورسوله في تنصيب
الولي بعد الرسول ﷺ.

ومن هذا المنطق قال أبو عبيدة للإمام
عليه السلام: «يا أبا الحسن، إنك حديث
السن، وهؤلاء مشيخة قريش قومك،
ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر،
ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر
منك، وأشد احتمالاً له، واضطلاعاً به،
فسلم له هذا الأمر ورض به، فإنك إن
تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر
خليق وبه حقيق، في فضلك وقرابتك،
وسابقتك وجهادك»^(١).

المطلب الثالث:-

الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام:-

بعد أن بويع لأبي بكر بالخلافة «انحاز
بنو هاشم جميعاً ومعهم طائفة من
المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعمار
وأبو ذر وسلمان والمقداد، وطائفة من
الأنصار: فيهم، أبو أيوب الأنصاري
وحذيفة بن اليمان وأبي بن كعب والبراء
بن عازب وأبو الهيثم بن التيهان وعبادة

مهمتكم، قوموا وبايعوا أبا بكر، «فاقبل
عمر إليهم وأبو عبيدة، فقال: مالي أراكم
ملتئين؟ قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايع
له الناس، وبايعه الأنصار. فقام عثمان
ومن معه، وقام سعد وعبد الرحمن ومن
معهما، فبايعوا أبا بكر»^(٢).

كان الكثر من الصحابة تنقصه الروح
الرسالية والإيمان الحقيقي، إذ كان ينظر إلى
الخلافة والإمامة والولاية بعد النبي ﷺ
بأنها سلطة يمتلك بها رقاب الناس، ولا
يهمه الحفاظ على مبدأ الرسالة المحمدية
وما تؤول إليه الأمور، ولهذا السبب كان
الخليفة الثاني مُصلتاً سيفه يوم السقيفة
ويقول: «من ينازعنا سلطان محمد وإمارته
ونحن أوليائه وعشيرته إلا مدلٍ بباطل أو
متجانفٍ لأثم أو متورط في هلكة»^(٣).

هذا المنطق العشائري القبلي الذي
يشوبه الطبع الجاف المتمثل بالقوة
العضلية، واللجوء إلى القبيلة والعشيرة،
والنظرة الخاطئة عن الدعوة المحمدية،
باعتبارها سلطة وحكم الناس، هذا مما

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / ٦ / ١١.

(٢) تاريخ الطبري / ٢ / ٤٥٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / ٦ / ١٢.

بن الصامت، وانحاز إليهم من وجوه بني أمية خالد بن سعيد بن العاص»^(١). «وكان خالد بن سعيد أقدم بني أمية إسلاماً، فانه أسلم قبل عثمان بن عفان، وهاجر إلى الحبشة وقدم منها مع جعفر بن أبي طالب يوم خيبر»^(٢).

لقد سلم التاريخ بأن عمر بن خطاب وجماعته هجموا على المعتصمين في بيت فاطمة بنت الرسول ﷺ وزوجة الإمام علي ﷺ وأم السبطين الحسن والحسين ﷺ، ويحملون معهم الخطب، فناداهم عمر وقال: «والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقها على من فيها!! قيل: يا أبا حفص: إنَّ فيها فاطمة!! قال: وإنَّ!! فوقفت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوء محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا»^(٥).

عن زياد بن كليب قال: «أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه»^(٤).

نعم هذا بدايت الخسران الذي منيت به الأمة الإسلامية بمخالفة كتاب الله

(١) الكامل في التاريخ / ٢ / ١٢ وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية / ٦ / ٣٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي / ٢ / ٥٦.

(٤) تاريخ الطبري / ٢ / ٤٤٣.

(٥) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة / ١٣.



الأنصار فانصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبئسوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبائع، فقال له علي: احلب يا عمر حلباً لك شطره! أشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه.

فقال له أبو بكر: فإن لم تبائع لم أكرهك، فقال علي: يا معشر المهاجرين، الله الله! لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامة في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن - أهل البيت - أحق بهذا الأمر منكم. أما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المطلع بأمر الرعية! والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى، فتزدادوا من الحق بعداً.

وانصرف علي إلى منزله، ولم يبايع، ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع^(٢).

بن الخطاب لها مداليل كثيرة يطول البحث فيها وتعتبر من أخطر الكلمات، لأن معناها أن لا مانع من أن نحرق الدار حتى لو كانت فاطمة عليها السلام في داخلها، وهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله يرضا لرضا فاطمة ويغضب لغضبها»^(١).

قال بن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: «وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب، فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعلي ومعهما بنو هاشم، وعلي يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله. حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقبل له بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على

(١) الحاكم في المستدرک / ٣ / ١٥٤.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي / ٦ / ١١.



مرحب، وأخيراً صاحب بيعة الغدير بأمر من الله وإعلان الرسول عنها، وقد بايعوه القادة الانقلابيين الذين طلبوا منه البيعة، ولم يحدثنا التاريخ بأن لعمر بن الخطاب دور بطولي في نشر الإسلام، أو حمل راية وقيادة المسلمين أو فتح جهة ما على عهد الرسول ﷺ، نعم سلمه الرسول الولاية والقيادة في خيبر فرجع مع جامعته هارباً، بل يجنبهم، «فرجع يجنب أصحابه ويجنبوه»^(٣).

فكيف استبسل واستقتل على بيعة أبي بكر ولا يتكلم إلا وهو مصلت سيفه من غمدة، ويقود عصا لآحراق بيت فاطمة بنت الرسول ﷺ على من فيها ممن امتنعوا عن البيعة، والتزموا بوصية النبي ﷺ بالولاية لعلي عليه السلام؟!

هذا هو الواقع التاريخي للولاية لقد أنكروها وانقلبوا عليها، ومن ذلك اليوم أنعكس هذا التصرف على المسلمين، وتشتت السنة ولم تنحصر في الرسول ﷺ فقط على رأي بعض المسلمين، فأصبحت

وجلس الإمام علي عليه السلام في بيته حفاظاً على الإسلام ووحدته المسلمين، إذ قال عليه السلام: «... فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوات ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهه»^(١).

وقال عليه السلام «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ووالله لأؤسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة»^(٢).

هكذا كان الإمام علي عليه السلام مضحياً وحريصاً على الإسلام وأهله، وهو الشجاع الذائب في ذات الله وصاحب ضربة الخندق التي قال عنها الرسول ﷺ تعدل عبادة الثقلين، وفاتح خيبر وقاتل

(١) شرح نهج البلاغة / ٣ / ١١٩.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: خطبة / ٧٣.

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٥٨١.



«أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى ألي الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه».

فرايت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الخلق شجا أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعدة - ثم تمثّل بقول الأعشى:-

شتان ما يومي على كورها ويوم حيّان أخي جابر^(٢).

للسحابي سنة وللخليفة سنة، ويجوز لهم الاجتهاد مقابل النص، ولم يلتزم بالسنة المحمدية والولاية لعلي وأولاده عليه السلام إلا الإمامية اتباع أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام علي عليه السلام يصف تلك الأوضاع: «إنما وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجالاً رجلاً، على غير دين الله، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف، فيمزجان، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى»^(١). وقال عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقية:

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد / ٣ / ٢٤٠.

(٢) نهج البلاغة: محمد عبدة: خطبه رقم ٥١ / ٣.

الخاتمة:-

الدين الذي يقرر بسعته لعامة البشر في كل الإعصار والأقطار جميع ما يتعلق بالمعارف الأصيلة، والأصول الخلقية، والأحكام الفرعية العامة لجميع حركات الإنسان وسكناته، فرادى ومجتمعين، على خلاف جميع القوانين العامة، يحتاج إلى حافظ يحفظه حق الحفظ.

٧- من أبرز أحداث الواقع التاريخي على الولاية هو الانقلاب الذي حصل يوم رحيل النبي ﷺ إلى بارئه، وانشغال الإمام علي عليه السلام وبني هاشم وبعض الأصحاب الأخيار في تجهيز النبي ﷺ.

٨- الانقلاب وما رافقه من أحداث، من تقسيم كوادرات تيار الانقلاب على الشرعية إلى أربع فرق لقمع المعارضين.

٩- الهجوم على المعتصمين في بيت فاطمة بنت الرسول ﷺ وتهديدتهم بحرق البيت عليهم إن لم يخضعوا لقادة الانقلاب ويبايعوا من نصبوه خلفاً للنبي ﷺ.

١- معنى مادة ولي: الولي القرب والدنو، يقال تباعدنا بعد ولي، وكل مما يليك أي كل ما يقربك، وكذلك ولي الوالي البلد وولي الرجل البيعة ولاية فيهما، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه وأشار إلى الوالي وإلى السلطة.

٢- أقسام الولاية ومنها: الولاية التكوينية وانحصارها في الله طبق آيات القرآن الكريم.

٣- الولاية التشريعية: ومنها الولاية الاجتماعية، «أو ما يسمى بالزعامة والقيادة الاجتماعية والسياسية».

٤- الولاية في المفهوم الشرعي و النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية التي أكدت وشددت عليها.

٥- الأدلة الروائية على الولاية في عهد الرسول ﷺ وانحصارها في علي بن أبي طالب عليه السلام.

٦- الأدلة العقلية على الولاية: إن



breadth for the general public in all eras and countries everything related to authentic knowledge, moral principles, and general subsidiary rulings for all human movements and stillness, individually and collectively, contrary to all general laws, needs a guardian to preserve it properly.

7- One of the most prominent events of the historical reality on authority is the coup that occurred on the day of the Prophet's (may God bless him and his family) departure to his Creator, and the preoccupation of Imam Ali (peace be upon him) , the Banu Hashim, and some of the good companions in preparing the

Prophet (may God bless him and his family) .

- 8- The coup and the events that accompanied it, from dividing the cadres of the current of the coup against legitimacy into four Teams to suppress the protesters.
- 9- Attacking the protesters in the house of Fatima, the daughter of the Messenger (may God bless him and his family) and threatening to burn the house down on them if they did not submit to the coup leaders and pledge allegiance to the one they appointed as the successor to the Prophet (may God bless him and his family) .



Conclusion: -

1- The meaning of the word wali:

wali means closeness and proximity. It is said that we distanced ourselves after wali, and everything that is close to you means everything that brings you closer. Likewise, the wali of the governor is the country and the wali of the man is the wali of the pledge of allegiance in them, and whoever is the guardian of one matter is his guardian and he referred to the governor and to the authority.

2- The divisions of guardianship, including: the formative guardianship and its confinement to God

according to the verses of the Holy Quran.

3- Legislative authority: including social authority, "or what is called social and political leadership and command.

4- Authority in the legal concept and texts from the Holy Quran and the Prophetic Sunnah that emphasized and stressed it.

5- Narrative evidence on authority during the era of the Messenger (may God bless him and his family) and its confinement to Ali bin Abi Talib (peace be upon him) .

6- Rational evidence on authority: The religion that decides in its



المصادر والمراجع:-

١. القرآن الكريم
٢. نهج البلاغة
٣. أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)
هجري): المسند، المحقق شعيب الأرناؤوط، ط ١: مؤسسة قرطبة، ١٤٢١ هـ جري .
٤. أحمد بن حجر الهيتمي (ت: ٩٧٤ هـ)
الصواعق المحرقة، ط ١: دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان: ٣ / ٨ / ٢٠٠٩ م .
٥. أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه
بن فورك بن موسى (ت: ٤١٠ هـ)
التفسير المسند، تحقيق: حامد بن عبد الله المحلاوي، ط ١: الخزانة الأندلسية ١٤٤٣ هـ .
٦. أبو الحسن عز الدين علي بن محمد
بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ)
النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ط ١: المكتبة العلميّة، بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ .
٧. أبو الحسن عز الدين علي بن أبي
- الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ)
الكامل في التاريخ، ط ١: المكتبة العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٤ هـ
٨. أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري، ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ)
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط ١: المكتبة العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٤ هـ .
٩. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨ هـ)
أسباب النزول، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط ٢: دار الإصلاح - الدمام، ١٤١٢ هـ .
١٠. أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت: ٢٩٠ هـ)
بصائر الدرجات: ط ١: مطبعة الإعلمي، بيروت - لبنان، ١٤٣١ هـ .
١١. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)
ط ٤: مؤسسة الأعلمي للطبوعات،





بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ.
الإسلامي، بيروت - لبنان،
١٩٩٦ م.

١٦. أبو الفداء إسماعيل بن علي بن
محمود بن محمد (ت: ٧٣٢ هـ)
تاريخ أبي الفداء، المختصر في تاريخ
البشر، ط ١: دار الكتب العلميّة،
بيروت - لبنان، ٥ / ١٢ / ٢٠١٩ م.

١٧. أبو الفداء إسماعيل بن عمر
بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) البداية
والنهاية: ط ١: دار الفكر -
بيروت - لبنان، ١٤٢٣ هـ.

١٨. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن
أحمد بن محمد الحسكاني (ت: ٤٧٠ هـ)
(هـ) شواهد التنزيل: تحقيق محمد
باقر المحمودي، ط ١: وزارة الثقافة
والإرشاد الإسلامي، مجمع أحياء
الثقافة الإسلاميّة، طهران - إيران،
١٤١١ هـ.

١٩. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن
قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ)
الإمامة والسياسة، ط ١: بيروت -
لبنان، دار الأضواء، ١٤١٠ هـ.

٢٠. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
(ت: ٣٩٣ هـ) تاج اللغة وصحاح

١٢. أبو عبد الله محمد بن عمر بن
الحسن بن الحسين بن علي الرازي،
الفخر الرازي، (ت: ٦٠٦ هـ)
التفسير الكبير، ط ٤: دار أحياء
التراث العربي، بيروت - لبنان،
١٤٢٢ هـ.

٣١. أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥ هـ)
(هـ) المستدرك على الصحيحين،
ط ١: دار الفكر، بيروت - لبنان،
٢٠٠٩ م.

١٤. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة
البخاري، (ت: ٢٥٦ هـ) صحيح
البخاري باب المغازي، مرض
النبي ووفاته، ط ٥: دار بن كثير،
دمشق، ١٤١٤ هـ.

١٥. أبو عيسى الترمذي، محمد بن
عيسى بن سورة بن موسى بن
الضحّاك (ت: ٢٧٩ هـ) سنن
الترمذي، الكتاب: الجامع الكبير
(سنن الترمذي) تحقيق: بشار
عواد معروف، ط ١: دار الغرب



- العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور
العطار، ط ٤: دار العلم للملايين،
بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ جري
٢١. ابن منظور جمال الدين محمد
بن مكرم (ت ١٣١١ هـ) لسان
العرب: نشر الحوزة العلميّة،
قم - إيران، ١٤٠٥ هـ.
٢٢. ابن أبي الحديد عز الدين عبد
الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت:
٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة، ط ٢:
منشورات مكتبة آية الله العظمى
المرعشي النجفي، قم - إيران،
١٤٠٤ هـ.
٢٣. الحسن بن محمد بن المفضل:
الرغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥ هـ)
مفردات ألفاظ القرآن: ط ١: طليعة
النور، قم - إيران، ١٤٢٦ هـ.
٢٤. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي
بكر بن محمد السيوطي (ت: ٩١١ هـ)
الدر المنثور في تفسير المأثور،
ط ٢: دار الفكر، بيروت - لبنان،
١٤٢٣ هـ.
٢٥. علاء الدين بن علي بن حسام
الدين الهندي البرهان فوري
والمشهور بالمتقي الهندي (ت:
٩٧٥ هـ) كنز العمال، ط ٥: مؤسسة
الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠١ هـ.
٢٦. محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠ هـ)
التفسير، ط ١، قسم الدراسات
الإسلاميّة - قم - إيران، ١٤٢١ هـ.
٢٧. محمد حسين الطباطبائي (ت:
١٤٠٢ هـ) الميزان في تفسير
القرآن: ط ٥: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان،
١٤٠٣ هـ.
٢٨. محمد تقي بن محمد بن علي بن
محمد بن علي الآملي (ت: ٣٩١ هـ)
الولاية في القرن الكريم، ط ١:
مكتبة إسماعيليان، قم - إيران،
١٤٠٣ هـ.
٢٩. محمد تقي بن محمد بن علي بن
محمد بن علي الآملي (ت: ٣٩١ هـ)
كتاب المكاسب والبيع، ط ١: مكتبة
إسماعيليان، قم - إيران، ١٤٠٠ هـ.
٣٠. محمد عبده (ت: ١٣٢٣ هـ)
شرح نهج البلاغة، ط ١، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، بيروت،



٣٣. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في

تفسير كتاب الله المنزل، ط ١: مطبعة

أمير المؤمنين عليه السلام قم - إيران،

١٤٢١ هـ.

٣٤. نمر محمد خليل النمر، أهل

الذمة والولايات العامة في الفقه

الإسلامي، ط ١: المكتبة الإسلامية،

الأردن ١٩٨٨ م.

لبنان، ١٤١٣ هـ.

٣١. مرتضى بن محمد حسين المطهري،

(ت ١٩٧٩ م) الولايات والولايات،

ط ١: دار الكتاب، بيروت - لبنان،

١٩٨٣ م.

٣٢. مهدي محبوبه: عبقرية الإمام

علي عليه السلام، ط ١: المكتبة الحيدرية،

النجف - العراق، ٢٠١٢ م





بيعة الغدير في مخطوط مفتاح النجاء في مناقب آل
العباء الميرزا محمد بن رستم معتمد خان الحارثي
البدخشي
(كان حيًّا سنة ١١٢٦هـ)

دراسة تحليلية
محور الدراسات الحديثة

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي



جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

قسم اللغة العربية





المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بنبيه محمد ﷺ الصادق الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين أئمة الهدى وسفينة النجاة، وبعد:

فلم تكن بيعة الغدير من الأحداث العابرة، والوقائع التي لها أثر مؤقت، بل كانت حدثاً مهماً ضخماً في تاريخ الإسلام، واكتسب الغدير تلك العظمة من كلّ ما أحاط به من ظروف زمانية ومكانية، وما له من أثر عقائدي وتاريخي، وبعد اجتماعي سياسي في مصير الدولة الإسلامية ومستقبلها في الحقبة التي أعقبت عصر رسول الله ﷺ.

وهو آخر اجتماع عظيم ضمّ الرسول وأُمَّته بعد العودة من حجة الوداع، وفيه ذلك البلاغ للرسالة الإسلامية التي صدع رسول الله ﷺ بأدائها، فهو جامع لأهم ما في تلك الرسالة من مقومات الوجود والاستمرار؛ ذلك هو بلاغ ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه.

يعدّ حديث الغدير من الأحاديث

التاريخية المهمة والمصيرية التي أدلى بها الرسول الكريم ﷺ التي تؤكد إمامة عليّ بن أبي طالب عليه، وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله ﷺ.

وقد تواتر حديث الغدير في المصادر الشيعية، وفي كثير من مصادر السنة المعتمدة، وقد عدّ علماء السنة أنّ ما وقع في غدير خم على كونه أمراً نبوياً بوصاية صريحة من الرسول ﷺ باستخلاف الإمام عليّ بن أبي طالب عليه وولايته للمسلمين.

والميرزا محمد بن رستم معتمد خان الحارثي البدخشي من علماء السنة الذين ذكروا أحاديث الغدير من مصادرها الأصيلة مراعيّاً فيها الثبوت في النقل بلحاظ تعدد أسانيد وطرقها التي قيدها بدقّة، وأبدى رأيه بصراحة في تلك الأحاديث، وتأكيداً بما لا يقبل الشكّ البتة.

وقد كان له الإفصاح عن تلك الأحاديث في مخطوطه: مفتاح النجاء في





الحارثي البدخشي، والمبحث الثاني تضمّن الحديث عن أحاديث بيعة الغدير في مخطوط مفتاح البكاء في مناقب آل العباء، ودراستها دراسة تحليليّة من خلال بيان طرقها وسندها مع بيان ما أضافه المؤلّف من تعليق وتحقيق وتصويب للأحاديث المذكورة في كتب العامة أو تنبيهات يذكرها كلّ في محله، ثمّ الخاتمة التي تمثلت بعرض أهم نتائج البحث، وأخيراً ثبت المصادر والمراجع.

وختاماً هذا ما وفقنا الله اليه من إنجاز البحث فان أصبنا فهو نعمة من نعم الله علينا، وان أخطأنا فحسبنا الضعف والهوان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مناقب آل العباء^(١)، ونحن هنا في هذه الوريقات نحاول أن نستجلي جهده في هذه القضية بيعة الغدير بحيث وسم البحث بـ (بيعة الغدير في مخطوط مفتاح النجاء في مناقب آل العباء للميرزا محمّد بن رستم معتمد خان الحارثي البدخشي (كان حيّاً سنة ١٢٦هـ) دراسة تحليلية)، محاولين سبر أغوار بيعة الغدير وما يتّصل بها من أحاديث الولاية التي تؤكد تواترها في مصادر العامّة.

وفي ضوء ذلك اقتضت خطة البحث أن تقسم على مقدّمة ومبحثين، اشتغل المبحث الأوّل على التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث، وهي: أوّلاً: بيعة الغدير في كتب العامة، ثانيّاً: ترجمة الميرزا محمّد بن رستم معتمد خان

(١) المخطوط قيد التحقيق بالاشتراك مع الأستاذ حسين جهاد الحساني، وسوف نتحدث عن محتوياته في مؤلّفاته.



المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث / أولاً: بيعة الغدير في كتب العامة:

ثانياً: ترجمة الميرزا محمد بن رستم معتمد خان الحارثي البدخشي^(٣):

تتفق تماماً مع ما ذكره محقق كتاب نزل الأبرار بما صحَّ من مناقب أهل البيت الأطهار لمحمد بن معتمد خان الحارثي البدخشي في قلة المصادر التي ترجمة له على الرغم من تنقيصنا في كثير منها، يقول محقق كتاب نزل الأبرار: «لم تكن مع الأسف الكثير في طيّات المعاجم، ترجمة وافية، أو يسيرة تكشف عن حياة المؤلف، هذا الذي اكتفاه الغموض والنسيان؛ لذلك لم يعرف عنه غير أنه محدّث حافظ عاش في أواخر القرن الحادي عشر، وبداية القرن الثاني عشر الهجريين في الهند، وعمل في حقل الحديث إلى أن توفّي، وترك كتباً قيّمة في اختصاصه، وفي نطاق فنه، وتضلعه، وتبحره»^(٤).

غير أننا نجد فيمن ترجم له عبارات

يعتقد أهل السنّة والجماعة بصحّة حديث بيعة الغدير وأحقية الإمام عليّ عليه السلام في خلافة المسلمين وهم كثر وثقات، ومنهم صاحب مخطوط مفتاح النجاء في مناقب آل العباء كما سيأتي تفصيله في المبحث الثاني، لكنّ قسماً منهم يعتقدون بصحة حديث الغدير على فضل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومكانته بصفته أحد آل بيت النبي صلى الله عليه وآله من دون الاعتقاد على أحقيته عليه السلام بالخلافة ومنهم ابن كثير^(١) وابن تيمية^(٢) وغيرهم.

ولسنا في مقام الردّ عليهم فقد أفاضت كثير من الكتب والدراسات في إثبات حقيقة بيعة الغدير وأحقية الإمام عليّ بالخلافة في كتب العامة ومنهم صاحب مخطوط مفتاح البكاء في مناقب آل العباء.

(١) ينظر: البداية والنهاية: ٧ / ٢٢٥.

(٢) ينظر: منهاج السنّة: ٤ / ٨٤ ٨٥.

(٣) أعتدنا في ترجمته على ما دونه محقق كتاب نزل الأبرار بما صحَّ من مناقب أهل البيت الأطهار للبدخشي الحارثي: ٢٣ ١٦.

(٤) نزل الأبرار بما صحَّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ١٧ ١٦.





الثناء والتقدير الكبير له، يقول صاحب

كتاب العقبات مجلد حديث: أنا مدينة

العلم وعليّ بابها ما نصّه: «فهذا

البدخشي، كابرهم النبيل، وجهبذهم

المتلقي التنويه والتبجيل قد روى هذا

الحديث الحسن الجميل، وصحّح

هذا الحديث الحسن الجميل، فأرغم

بإفادته أنوف أهل التلميع والتسويل،

وغير بتصريحاته وجوه ذوي التخديع

والتضليل، فلا ينكبّ عن منهجه إلّا من

أخطأ لعدوانه سواء السبيل، ولا يحيد عن

فجّه إلّا من أقتحم لطغيانه درك النكال

الأيّيم، والعذاب الويل»^(١).

وقال أيضًا في مجلد حديث الثقلين

ما نصّه: «ولا يخفى على أحد ما للميرزا

محمد البدخشي من مرتبة جليّة، ومنزلة

سامية، ومكانة شامخة لدى أكابر أهل

السنة، وقد أسلفنا الكلام عنه في كتابنا

مجلد حديث الغدير، وحديث التشبيه

بحمد الله تعالى بصورة مسهبة»^(٢).

وقال عنه صاحب خلاصة عبقات

الأنوار: «وهو: محمد بن رستم (معمد

خان) البدخشاني، العالم المحدث الرجالي

صاحب المؤلفات المفيدة، ترجم له

في نزهة الخواطر بقوله: الشيخ العالم

المحدث محمد بن رستم بن قباد الحارثي

البدخشي، أحمد الرجال المشهورين في

الحديث والرجال. ثم ذكر كتبه: تراجم

الحفاظ، مفتاح النجا، نزل الأبرار، تحفة

المحبين»^(٣).

وقال صاحب كتاب الغدير: «ميرزا

محمد خان بن معمّد خان البدخشي،

مؤلّف مفتاح النجا في مناقب آل العباء،

ونزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل

البيت الأطهار... والكتابان ينمان عن

طول باع مؤلّفه في علم الحديث وفنونه،

والتضلع في مسانيد»^(٤).

(١) العقبات: ١/ ٤٤٧، وينظر: نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ١٨.

(٢) العقبات: ٢/ ٧٤٧، وينظر: نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ١٨.

(٣) نزهة الخواطر: ٦ / ٢٥٩، نقلاً عن خلاصة عبقات الأنوار: ٤ / ١٠٣.

(٤) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ١٤٣، وينظر: نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت

الأطهار: ١٨.



مؤلفاته:

أما مؤلفاته^(٢) فهي:

- انصرف الميرزا البدخشي إلى التأليف في علم الحديث، وأمضى ردحاً من حياته دونه مع ما أصابه من الشدة والعناء والعوز المادي مما دفعه إلى طلب المعونة والمساعدة من السلطان الذي عاصره حتى أنه شكا إليه سوء حاله، ويتضح ذلك في مقدمة كتابه نزل الأبرار، فيقول: «ثم إنِّي أرجو من فيضه الشامل، وأمل من برّه الكامل أن ينجيني من نوائب الزمان، ويخلصني من شماتة أهل الحسد والعدوان؛ فإن تواتر نزول الحوادث قد شتت حالي، وتوالي حدوث النوازل قد كسر بالي، وأدركتني القلّة بعد ما كنتُ بين الأكفاء بالغنى ممتازاً، وغلبتني الذلة بعدما لقيتُ من أهل العصر إعزازاً... ولم أجد سواه من ألوذ ببابه، ولم أر غيره من أعوذ إلى جنبه، وإغاثة اللهيء ليس ببعيد عن ذوي الكرم، بل إغاثة الأسيف حتم على أصحاب معالي الهمم، حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم»^(١).
- ١/ تحفة المحبّين بمناقب الخلفاء الراشدين: في فضائل الخلفاء الراشدين ومناقبهم حسب ما جاء على لسان النبي ﷺ.
- ٢/ تراجم الحفاظ: وهو في تراجم طائفة من الحفاظ، وأئمة الحديث.
- ٣/ مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: أورد فيه مناقب أهل البيت عليهم السلام وترجمتهم، وشرح أحوالهم، وذكر أولادهم واحداً بعد واحد، ابتداءً بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وانتهى بالإمام المهدي عليه السلام، وأوضح في نهاية كتاب نزل الأبرار.
- ذكره صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة بقوله: «مفتاح النجاة في مناقب آل العباء للميرزا محمد بن رستم معتمد خان الحارثي البدخشي، ألفه للسلطان أبي النصر قطب الدين محمد شاه بهادر الغازي، وفرغ منه ٧ محرم سنة ١١٢٦ هـ، والمنتخبات منه في (قطف الزهر) للأردوبادي، منها حديث الغدير أوردتها بطرق عديدة، وقال: هو حديث مشهور

(١) نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ١٩.

(٢) أثبتنا ما أورده محقق كتاب نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار من مؤلفاته: ٢١ ١٩.





كثير الطرق جدًّا»^(١).

٤/ نزل الأبرار بما صحَّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ويحتوي على مناقب الإمام عليٍّ عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والسبطين الحسن والحسين عليهما السلام، فذكر في كلِّ فصل بعض الأحاديث الواردة فيهم مع بعض الترجمة عن حياتهم بشكل موجز معتمدًا على أمَّهات المصادر من الصحاح الست، وكتب السنن، ومعجم السير والتاريخ.

ذكره صاحب معجم المطبوعات العربية^(٢) وصاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة^(٣).

المبحث الثاني : أحاديث بيعة الغدير في مخطوط مفتاح النجاء في مناقب آل العباء:

شغل الحديث عن أحاديث بيعة الغدير وما يتَّصل بها من أحاديث الولاية في مخطوط مفتاح النجاء في مناقب آل العباء مساحة لا بأس بها من الكتاب إذ قيَّده المؤلف بفصل مستقل من الباب الذي خصَّه للإمام عليٍّ عليه السلام (الفصل

الخامس عشر)، ولا بدَّ من التنبيه هنا أنَّ المؤلف في مخطوطه يناقش الآراء والأقوال التي وردت ليرجح ويختار ما يقوى بنظره منها بأدلة نقلية وعقلية، أو يردها بحسب سياقات استدلالاته، ويحسب له مزية التنظيم في عرض مؤلَّفه، مع ملامح منهجية وضعها بدقة.

واعتمدَ في مخطوطه على مصادر كثيرة، تنقلُ الروايات والأحاديث التي تخصَّ مناقب آل العباء معتمدًا الدقة في النقل، ولاسيما سلسلة السند وطرقه، وهي موثقة من غير مصادرنا أشار إليها في مواضعها.

وكانت مصادره متعددة الفقهية والأصولية والتاريخية والرجالية، وكتب مناقب أهل البيت عليهم السلام، وهو ثبت في النقل، دقيق في عبارته، يستقي رواياته من أصولها.

ولا بدَّ من التنبيه هنا أننا اعتمدنا في التحقيق على نسخة الشيخ الأميني صاحب كتاب الغدير التي نسخها من

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣٥٥ / ٢١، وينظر: طبقات أعلام الشيعة: ٦٧٠ / ٩.

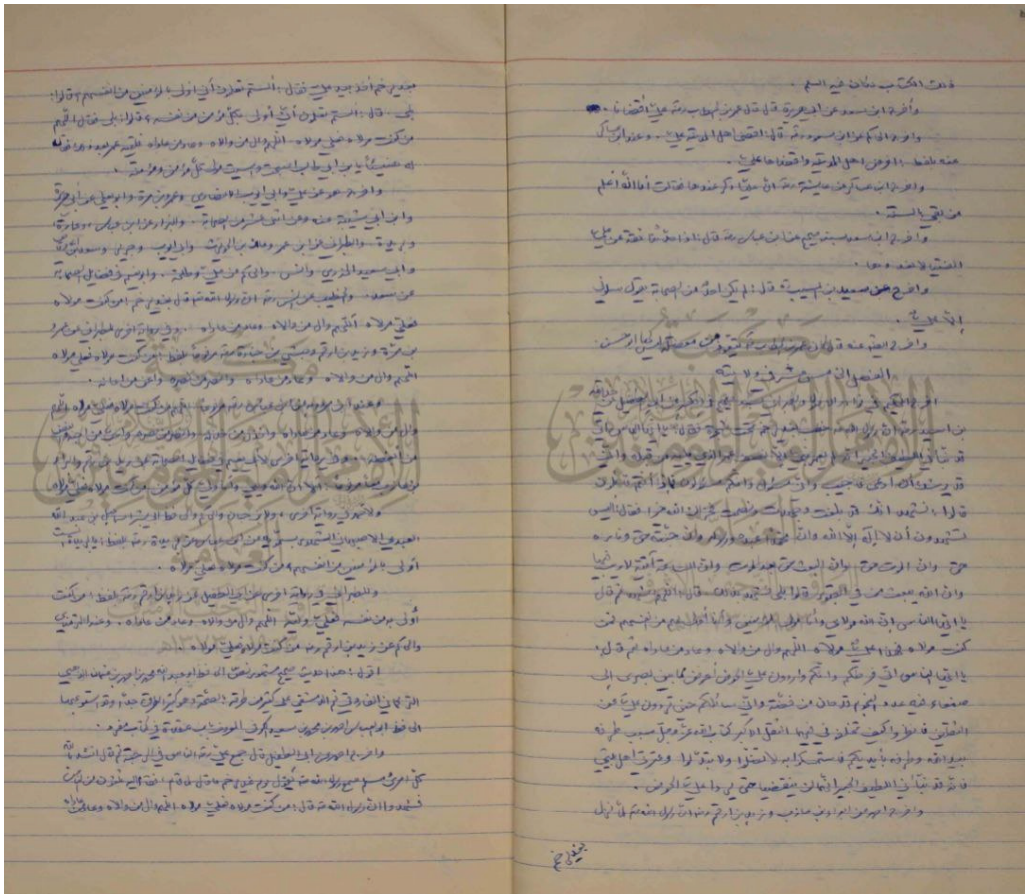
(٢) معجم المطبوعات العربية: ٢٠٢٣ / ٢.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٠٦ / ٢٤، وينظر: طبقات أعلام الشيعة: ٦٧٠ / ٩.



نسخة خط المؤلف وعليها تعاليق نفيسة من الشيخ الأميني، وهي موجودة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف في (٩٩) ورقة، كتبها الشيخ الأميني في رحلته العلمية إلى الهند سنة ١٣٨٠ هـ في مدينة لكنهو على نسخة الأصل (٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١) من المخطوط.

وهذه صفحات المخطوط:





وفصل البدخشي القول في حديث بيعة الغدير من كتب متعددة، ويدقق في طرقة وسلسلة سنده، وهو فيها ينقل الروايات المتصلة به من مصادرها الأصلية، فيقول: «أخرج الحكيم في نوارد الأصول^(١)، والطبراني بسند صحيح في الكبير^(٢) عن أبي الطفيل^(٣) عن حذيفة بن أسيد^(٤) رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ خطب بغدير خم تحت الشجرة فقال: يا أيها الناس، إنني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمري الذي يليه من قبله، وأني قد يوشك أن أدعى فأجيب، وأني مسؤول، وأنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا

الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، قالوا: بلى، نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد.

ثم قال: يا أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولا، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه.

ثم قال: يا أيها الناس، إنني فرطكم، وأنكم واردون عليّ الحوض، أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قد حان من فضة، وأني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف

(١) نوارد الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: ١/ ٢٥٨ ٢٥٩.

(٢) المعجم الكبير: ٣/ ١٨٠ ١٨١.

(٣) أبو الطفيل عامر بن واثلة ابن عبد الله بن عمير بن جابر بن حميس بن جدي بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

وكان من أصحاب محمد بن الحنفية، وابنه الطفيل بن عامر، قُتِلَ مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي يوم ذي الجراحم، وكان أبو الطفيل ثقة في الحديث، وكان مُتَشَيِّعًا. الطبقات الكبرى: ٦/ ٥٥٠ ٥٥١ رقم الترجمة: ٢٦٨٤.

(٤) حذيفة بن أسيد الغفاري ويكنى أبا سريحة. وأول مشهد شهده مع النبي ﷺ، الحديبية. وقد روى عن أبي بكر الصديق ونزل الكوفة بعد ذلك. الطبقات الكبرى: ٨/ ١٤٧ رقم الترجمة: ٢٦٨٤.



تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد أنه وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضيا حتّى يردا عليّ الحوض»^(١).

وفي حديث آخر يقول: «وأخرج أحمد^(٢) عن البراء بن عازب^(٣)، وزيد بن أرقم^(٤) رضي الله عنه: إنّ رسول الله ﷺ لمّا نزل بغدير خم أخذ بيد عليّ فقال: وفي غيره: «وأخرج هو عن عليّ^(٦)، وأبي أيوب الأنصاري^(٧)، وعمرو بن

(١) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٨.

(٢) فضائل الصحابة: ٥٩٦/٢ رقم الحديث: ١٠١٦ عن البراء بن عازب، ٥٩٧/٢ رقم الحديث: ١٠٧ عن زيد بن أرقم.

(٣) البراء من عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة من أعيان الصحابة توفي سنة ٥٧٢هـ. الطبقات الكبرى: ٤/ ٣٧٤ و ٦/ ١٧.

(٤) زيد بن أرقم ابن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. قال: ولم تُسم لنا أمّه. فولد زيد بن أرقم: قيسًا وسويدًا. وأمهما هند بنت يزيد بن عمرو بن شحبيل بن النعمان بن نميرة بن معاوية بن الحارث بن زيد بن مالك بن معاوية بن ثور بن كندة. وقد درج ولد قيس بن النعمان فلم يبق لهم عقب، وتوفي بالكوفة زمن المختار بن أبي عبيد سنة ثمان وستين. الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٥٧، ٣٦١.

(٥) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٨ ٥٩.

(٦) فضائل الصحابة: ٧٠٥/٢ رقم الحديث: ١٢٠٦.

(٧) فضائل الصحابة: ٥٨٦/٢ رقم الحديث: ٩٩٢.

أبو أيوب الأنصاري، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم. وأمّه زهراء بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك من بلحارث بن الخزرج. وكان لأبي أيوب من الولد



مرّة^(١)، وأبو يعلى عن أبي ابن عباس^(٥)،

هريرة^(٢)، وابن أبي شيبه عنه^(٣)، وعن عمارة^(٦)، وبريدة^(٧)، والطبراني عن اثني عشر من الصحابة، والبخاري^(٤) عن ابن عمر^(٨)، ومالك بن الحويرث^(٩)،

عبد الرحمن. وأمه أم حسن بنت زيد بن ثابت بن الضحّاك من بني مالك بن النجار، وقد انقرض ولده فلا نعلم له عقباً.

وتوفي أبو أيوب عام غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية بن أبي سفيان سنة اثنتين وخمسين. الطبقات الكبرى: ٤٤٩ / ٣ / ٤٥٠.

(١) فضائل الصحابة: ٥٩٩ / ٢ / رقم الحديث: ١٠٢٢.

عمرو بن مرّة بن عبّس بن مالك بن المحرّث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعه بن نصر بن عطفان بن قيس بن جُهينة. أسلم قديماً وصحب النبي، صلى الله عليه وسلم، وشهد معه المشاهد وكان أوّل من ألحق قضاة باليمن. الطبقات الكبرى: ٥ / ٢٦٤.

(٢) مسند أبي يعلى: ٥٧٥ / ٨ / رقم الحديث: ٦٤٢٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٦٤ / ١٨ / رقم الحديث: ٣٤٢٦٣.

(٤) البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري، أبو بكر (ت ٢٩٢ هـ) صاحب «المسند الكبير»، الذي تكلم على أسانيده. قال الدارقطني: ثقة، يخطئ ويتكل على حفظه، وقال أبو أحمد الحاكم: يخطئ في الإسناد والمتن. وقال الخطيب: كان ثقة، حافظاً، صنف «المسند»، وتكلم على الأحاديث وبين عللها. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١٣ / ٥٥٤ - ٥٥٧، تاريخ بغداد: ٤ / ٣٣٤، الوافي بالوفيات: ٧ / ٢٦٨، لسان الميزان: ١ / ٢٣٧ - ٢٣٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٢ / ٢٠٩.

(٥) مسند البزار، البحر الزخار: ٢٣٣ / ١٠ / رقم الحديث: ٤٣٢٧.

(٦) مسند البزار، البحر الزخار: ٢٨٦ / ١٢ / رقم الحديث: ٦١٠٣.

(٧) مسند البزار، البحر الزخار: ١٠٢ / ١٧ / رقم الحديث: ٩٦٥٩.

(٨) المعجم الكبير: ١٧٠ / ١٣ / رقم الحديث: ١٣٨٦٧.

(٩) المعجم الكبير: ١٢٢ / ١٢ / رقم الحديث: ١٢٦٥٣.

مالك بن الحويرث اللّيثي ويكنى أبا سليمان قال: أخبرنا سليمان بن حرب قال: حدّثنا حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن مالك بن الحويرث قال: قدمنا على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة فاقمنا عنده نحواً من عشرين ليلة وكان رحيماً فقال: لو رجعتم إلى بلادكم فعلتموهم، وأمرتموهم



وأبي أيوب^(١)، وجريير^(٢)، وسعد بن عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِغْدِيرِ خَمْ: أَبِي وَقَّاصٍ^(٣)، وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ^(٤)، مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِي وَأَنْسٍ^(٥)، وَالْحَاكِمِ عَنْ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ^(٦)، مِنْ وَالَاهُ، وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ»^(٩).
وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن وفي رواية أخرى للطبراني^(١٠) عن سعد^(٧)، والخطيب عن أنس^(٨) رضي الله عمرو بن مرة^(١١)، وزيد بن أرقم، وحبشي

مُروهم فليصلوا إذا حضرت الصلاة. الطبقات الكبرى: ٤٣/٩.

(١) المعجم الكبير: ٣/ ١٧٠ رقم الحديث: ١٣٨٦٧.

(٢) المعجم الكبير: ٣/ ١٧٠ رقم الحديث: ١٣٨٦٧.

(٣) المعجم الكبير: ٣/ ١٧٠ رقم الحديث: ١٣٨٦٧.

(٤) المعجم الكبير: ٣/ ١٧٠ رقم الحديث: ١٣٨٦٧.

أبو سعيد الخدري، واسمه سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الأبيجر - واسمه خُدْرَةُ بن عوف ابن الحارث بن الخزرج. قال: وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ خُدْرَةَ هِيَ أُمُّ الْأَبْجَرِ. وَأُمُّ أَبِي سَعِيدٍ أُنَيْسَةُ بِنْتُ أَبِي حَارِثَةَ - وَهُوَ عَمْرُو بْنُ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ النُّجَارِ، وَأَخُو أَبِي سَعِيدٍ لِأُمِّهِ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ الظَّفَرِيِّ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ. مَاتَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَلَهُ عَقَبٌ. الطبقات الكبرى: ٣٥٥، ٣٥١، ٣٥٠/٥.

(٥) المعجم الكبير: ٣/ ١٧٠ رقم الحديث: ١٣٨٦٧.

(٦) المستدرک علی الصحیحین: ٣/ ١١٨ رقم الحديث: ٤٥٧٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٧) فضائل الخلفاء: ٤٣/ الرقم: ١٧، معرفة الصحابة: ١/ ٤٣١ رقم الحديث: ١٢٥٥.

(٨) تاريخ بغداد: ٨/ ٣٧٢.

(٩) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(١٠) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا عام ٢٦٠ هـ الموافق ٨٧٣ م، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠ هـ الموافق ٩٧١ م. ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ١١٩/١٦.

(١١) المعجم الكبير: ٥/ ١٩٢ رقم الحديث: ٥٠٥٩.





بن جنادة^(١) رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: وانصر من نصره، وأحب من أحبه، «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه»^(٢).
وفي رواية أخرى: «لأبي نعيم في فضائل الصحابة^(٥) عن زيد بن أرقم، والبراء بن عازب^(٦) معاً مرفوعاً: «ألا أن الله وليي، وأنا وليّ كلّ مؤمن، من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(٧).
«ولأحمد في رواية أخرى^(٨)، ولأبن

(١) المعجم الكبير: ١٦/٤ رقم الحديث: ٣٥١٤.

حبشي بن جنادة ابن نصر بن أسامة بن الحارث بن مُعَيْط بن عمرو بن جندل بن مرة بن صمصعة، صحب النبي، ﷺ، وشهد مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنه مشاهده. ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى: ٢٠٦/٦.

(٢) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام: ١٢١، ٢٤٠.

ابن مردويه، ولد أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ذكر أصحاب التراجم بعض أحوال ابن مردويه وآثاره، امتدّ بابن مردويه العمر حتى قارب التسعين، وتوفي في شهر رمضان لست بقين منه من سنة عشر وأربعمائة. ينظر في ترجمته: مقدّمة التحقيق لكتابه مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام: ١١ وما بعدها.

(٤) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٥) فضائل الخلفاء: ٤٤ رقم الحديث: ١٨.

(٦) هو البراء من عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة من أعيان الصحابة توفي سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م). ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى: ٤/ ٣٧٤ و ٦/ ١٧.

(٧) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٨) فضائل الصحابة: ٢/ ٥٨٤ رقم الحديث: ٩٨٩.



جَبَّان^(١)، والحاكم^(٢)، والحافظ أبي بشير بن أرقم^(٨) رضي الله عنه: «من كنتُ إسماعيل بن عبد الله العبدى الأصبهاني المشهور بسمّويه^(٣) عن ابن عباس عن بريدة رضي الله عنه بلفظ: «يا بريدة، ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من كنتُ مولاه فعليّ مولاه»^(٤).

وبعد أن يعرض الحديث من مصادره المختلفة، وسلسلة سنده، وطرقه المتعددة يعلّق عليه، ويؤكد وثاقته بالأدلة مصدراً حديثه بلفظة (أقول).

«وللطبراني في رواية أخرى^(٥) عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم رضي الله عنه بلفظ: من كنتُ أولى به من نفسه، فعليّ وليّه، اللهم وال من ولاه، وعاد من عاداه»^(٦).

وعنه «الترمذي»^(٧)، والحاكم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه بلفظ: من كنتُ أولى به من نفسه، فعليّ وليّه، اللهم وال من ولاه، وعاد من عاداه»^(٦).

وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن

(١) ينظر: خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (النسائي): ٩٩ رقم الحديث: ٨١.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ١١٩/٣ رقم الحديث: ٤٥٧٨.

(٣) ينظر في تفصيل الحديث وطرقه: البداية والنهاية: ٦٦٧/٧.

أبو بشر إسماعيل بن عبد الله العبدى الأصبهاني المعروف بسمّويه حافظ، متقن. يقول عنه الذهبي في: سير أعلام النبلاء: ١٠/١٣: «صاحب تلك الأجزاء الفوائد التي تنبئ بحفظه، وسعة علمه»، مات سنة: سبع وستين ومئتين.

(٤) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٥) المعجم الكبير: ١٩٤/٥ رqn الحديث: ٥٠٦٦.

(٦) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٧) سنن الترمذي: ٦٣٣/٥ رقم الحديث: ٣٧١٣.

(٨) المستدرک على الصحيحين: ١١٩/٣ رقم الحديث: ٤٥٧٨.

(٩) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.



سعيد الكوفي المعروف بابن عقدة في كتاب مفرد»^(١).

ثم ينتقل إلى أحاديث أخرى مرتبطة بحديث الغدير تثبت مصداقيته، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فيقول: «وأخرج أحمد^(٢) عن أبي الطفيل قال: جمع علي عليه السلام الناس في الرحبة، ثم قال: أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه»^(٣).

وقوله في حديث آخر: «وأخرج أحمد^(٤) عن بريدة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب، وعلى

الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس، وإذا افترقتم فكل واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زبيد من أهل اليمن فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بذلك، فلما أتيت النبي دفعت الكتاب فقرأ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد بك بعثني مع رجل، وأمرتني أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي»^(٥).

وآخر أيضًا فيه حق الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام بما له من الكثرة في الخمس:

(١) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٢) فضائل الصحابة: ٢/ ٦٨٢ رقم الحديث: ١١٦٧، مسند أحمد: ٥٦/٣٢.

(٣) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٥٩.

(٤) فضائل الصحابة: ٢/ ٦٨٨ رقم الحديث: ١١٧٥، مسند أحمد: ١١٧/٣٨ ١١٨ رقم الحديث: ٢٣٠١٠.

(٥) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠.



«وأخرج البخاري^(١) عن بريدة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ عليًّا إلى خالد ليقبض الخمس، وكنتُ أبغض عليًّا وقد أغتسل فقلتُ لخالد: ألا ترى إلى هذا، فلمَّا قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له فقال: يا بريدة، أتبغض عليًّا؟ فقلتُ: نعم، قال: لا تبغضه، فإنَّ له في الخمس أكثر من ذلك»^(٢).

وأخر يدعو إلى ولايته وحبّه كونه يفعل ما يؤمر به، فيقول: «وأخرج الديلمي^(٣) عن عليّ رضي الله عنه: إنَّ النبي ﷺ قال لبريدة: يا بريدة، إنَّ عليًّا وليكم بعدي، فأحبَّ عليًّا فإنَّه يفعل ما يؤمر»^(٤).

وحديث آخر مرتبط بحادثة يؤكد ولايته، وأنَّه عليّ رضي الله عنه وهو رسول الله ﷺ، ولي كلِّ مؤمن بعد رسول الله ﷺ، فيقول: «وأخرج الترمذي واللفظ له^(٥)، والحاكم عن عمران بن حصين^(٦) رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا، فاستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب فمضى في السريّة، فأصاب جارية فأنكروا عليه،

(١) صحيح البخاري: ٤ / ١٥٨١ رقم الحديث: ٤٠٩٣.

(٢) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب: ٥ / ٣٩٢ رقم الحديث: ٨٥٢٨.

محمد بن سليمان الديلمي، له كتاب، أخبرنا به ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن، عن الحسن بن متيل، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عنه. وأخبرنا به جماعة، عن أبي الفضل، عن ابن بطة، عن أحمد بن أبي عبد الله، عنه. ينظر في ترجمته: الفهرست (الطوسي): ٢٠٦.

(٤) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠.

(٥) سنن الترمذي: ٥ / ٦٣٢ رقم الحديث: ٣٧١٢.

(٦) المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١١٩ رقم الحديث: ٤٥٧٩.

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد ثمم بن حُرَيْبَة بن جهمة بن غاضرة بن حُبَشِيَّة بن كعب بن عمرو ويكنى أبا نُجَيْد. أسلم قديمًا هو وأبوه وأخته وغزا مع رسول الله ﷺ، غَزَوَاتٍ، ولم يزل في بلاد قومه ثم تحول إلى البصرة فنزلها إلى أن مات بها، وولده بها. مِنْ وَلَدِهِ خالد بن طَلِيق بن محمد بن عمران بن الحُصَيْن ولي قضاء البصرة. وتوفي بالبصرة قبل وفاة زياد بن أبي سفيان بسنة، وتوفي زياد سنة ثلاث وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى: ٥ / ١٩٠، ١٩٦.



وتعاقد أربعة من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرنا بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السريّة فسلموا على رسول الله ﷺ، فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم ترَ إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليهم رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من عليّ؟ ثلاثاً،

وإنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(١).
وبلفظه أيضاً في مصدر آخر فيقول: «ولفظه عند أحمد^(٢) عنه مرفوعاً: دعوا عليّاً، دعوا عليّاً، إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(٣).

وكذلك في مصدر آخر بلفظه، فيقول: «وعند ابن أبي شيبه^(٤) بسند صحيح عنه مرفوعاً: عليّ منّي وأنا من عليّ، وعليّ وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(٥).

ويذكر من فضائل الإمام عليّ عليه السلام التي خصّ الله بها دون غيره فيقول: «وأخرج الخطيب^(٦) والرافعي^(٧) عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ،

(١) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠.

(٢) فضائل الصحابة: ٢/ ٦٠٥ رقم الحديث: ١٠٣٥، مسند أحمد: ٣٣/ ١٥٤ رقم الحديث: ١٩٩٢٨.

(٣) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبه: ١٨/ ٧٥ رقم الحديث: ٣٤٢٩٣.

(٥) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠.

(٦) الحديث في تاريخ بغداد: ٤/ ٣٣٩ رقم ٢١٦٧ في ترجمة «أحمد بن غالب بن الأجلح» قال: عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ «سألت الله فيك خمسا، فأعطاني أربعا، ومنعني واحدة: سألته فأعطاني فيك أنك أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، وأنت معي، معك لواء الحمد، وأنت تحمله وأعطاني أنك ولي المؤمنين من بعدي» وهو موافق للحديث الذي معنا إلا أنه لم يرد فيه قوله: «سألت الله أن يجمع عليك أمتي فأبى عليّ».

(٧) التدوين في أخبار قزوين: ٢/ ١٢٦.



الخاتمة

بعد أن منّ الله علينا بإنجاز البحث
لا بدّ لنا من ذكر خلاصة له وهي:
- اشتغل المبحث الأوّل على التعريف
بالمصطلحات الواردة في البحث، وهي:
أوّلاً: بيعة الغدير في كتب العامة، ثانياً:
ترجمة الميرزا محمد بن رستم معتمد خان
الحارثي البدخشي

سألتُ الله يا عليّ فيك خمسة، فمنعني
واحدة، وأعطاني أربعة، سألت الله أن
يجمع عليك أمّتي، فأبى عليّ وأعطاني
فيك، إنّ أوّل من تشق عنه الأرض يوم
القيامة أنا وأنت معي معك لواء الحمد،
وأنت تحمله بين يدي تسبق به الأوّلين
والآخرين، وأعطاني أنّك ولي المؤمنين
بعدي» ^(١)..

- والمبحث الثاني تضمن الحديث عن
أحاديث بيعة الغدير في مخطوط مفتاح
البكاء في مناقب آل العباء، ودراستها
دراسة تحليلية من خلال بيان طرقها
وسندها مع بيان ما أضافه المؤلّف من
تعليق وتحقيق وتصويب للأحاديث
المذكورة في كتب العامة أو تنبيهات
يذكرها كلّ في محله.

(١) مفتاح النجاء في مناقب آل العباء: الورقة: ٦٠ — ٦١.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: عليّ شيري، دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢. التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣هـ) تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣. خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، الناشر: مكتبة المعلا، ط١، الكويت ١٤٠٦هـ.

٤. خلاصة عبقات الأنوار، السيّد حامد النقوي (ت ١٣٠٦هـ) الناشر: مؤسسة البعثة قسم الدراسات الإسلاميّة، مطبعة خيّام، طهران، ايران ١٤٠٥هـ.
٥. سنن الترمذي الجامع الكبير، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦م.
٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد، تحقيق: شعيب ارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ.
٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط [ت ١٤٣٨هـ]، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط [ت ١٤٢٥هـ]، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.



٨. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٥، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٩. طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي ط ١، بيروت، لبنان ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٠. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ) دار الأضواء، ط ٢، بيروت، لبنان (د.ت).
١٢. عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار، حامد حسين اللكنهوي، تعريب وتحقيق وتنظيم: علي الحسيني الميلاني، مطبعة مهر، قم، ١٣٩٨ هـ.
١٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، ط ٤، بيروت، لبنان ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
١٤. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني (ت ٥٠٩ هـ) تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٥. فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق: صالح بن محمد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، ط ١، المدينة المنورة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١٦. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١ هـ) تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.



١٧. الفهرست، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة نشر الفقهة، ط ١، ١٤١٧هـ.
١٨. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، بيروت، لبنان ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
١٩. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٢٠. مسند أبي يعلى الموصلي، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ) ومعه: رحمت الملاء الأعلى بتخريج مسند أبي يعلى تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، ط ١، دار الحديث، القاهرة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٢١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٢. المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العباسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ) تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، ط ١، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٢٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة (د.ت).
٢٤. معجم المطبوعات العربية، إلياس سركيس (ت ١٣٥١هـ) مطبعة بهمن، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ١٤١٠هـ.



٢٥. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر والتوزيع، ط ١، الرياض ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٦. مناقب الإمام علي ابن طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في الإمام علي، أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني (ت ٤١٠هـ) جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، دار الحديث، قم ١٤٢٢هـ.

٢٧. منهاج السنّة النبوية، ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٨. نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار، الميرزا محمد بن معتمد خان الحارثي البدخشي (ت بعد سنة ١١٢٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد هادي الأميني، مطبعة نقش جهان، ط ١، طهران ١٤٠٣هـ.

٢٩. نوارد الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، محمد بن عليّ بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت نحو ٣٢٠هـ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان (د.ت).

٣٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



خصائص الدولة ومميزاتها عند أمير المؤمنين عليه السلام

د. بشرى رضا

— جامعة الروح القدس — الكسليك — لبنان





مثلت حياة أمير المؤمنين عليه السلام الأنموذج الإسلامي الكامل والسراج المنير لكل من يبحث عن الله وعن صراطه المستقيم، وكيف لا يكون الإمام علي عليه السلام نبزاً للإنسان المسلم وقد تكفل تربية هذه الشخصية المرموقة والملكويتة أفضل الناس وأعظمهم خلقاً وهو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، فقد ذاب أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله كما ذاب هو بالله، وقد عبر الإمام علي عليه السلام عن هذه الحال بقوله: «لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً يأمرني بالاعتداء به»^(١).

إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو مظهر العدالة والقداسة والإنصاف والرحمة والتدبير والشجاعة، والعبودية لله عز وجل.

وكان عليه السلام أعجوبة في أترانه الشخصي، صفات متضادة ومتخالفة قد اجتمعت في شخصيته بشكل جميل، حتى أضحت بذاتها وجوداً جميلاً. ولا يجد الإنسان مثل

هذه الصفات قد اجتمعت في أحد، لكنها قد اجتمعت في أمير المؤمنين عليه السلام بكثرة واسعة. وأعرض في ما يلي بعض هذه الصفات المتضادة التي اجتمعت فيه عليه السلام. هناك مثلاً الرأفة والرقّة وهي لا تنسجم مع الحزم والصلابة، لكن عطف ورأفة ورقّة أمير المؤمنين عليه السلام كانت حقاً في ذراها الأعلى الذي قلما يبلغه إنسان عادي، فالذين يساعدون المساكين ويتفقّدون العوائل الفقيرة كثيرون، إلا أن الشخص الوحيد الذي كان يؤدي هذا العمل في عهد وفترة حكمه واقتداره وتسلّطه - أولاً - ويكون هذا العمل دأبه على الدوام، ولم يكتف بأدائه مرتين أو ثلاثاً - ثانياً - وثالثاً لم يكن يقتصر على تقديم العون المادي فحسب، بل يذهب إلى هذه العائلة، ويتحدّث مع هذا الشيخ، ويجلس مع هذا الضير، ويلطف هذا الصغير ويأنس بهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم ويقدم لهم العون هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٤، ص ٤٧٥.

مثال ورعه وحكومته

الورع يعني: اجتناب كل ما يحتمل فيه الكراهية. ولكن كيف ينسجم هذا مع الحكومة؟ هل يتسنى للإنسان أن يكون ورعاً إلى هذا الحد وهو في الحكم.

فنحن الآن في الحكم نشعر بأهمية وجود مثل هذه الخصلة؛ لأن الإنسان وهو في الحكم يتعامل مع قضايا عامة وينفذ قوانين، ولكن قد يكون في هذا القانون ظلم لإنسان في مكان ما، والشخص المكلف بتنفيذ القانون بشر أيضاً وقد يُسيء تطبيق القانون.

فكيف يتأتى للمرء التزام الورع في كل هذه التفاصيل الجزئية التي تستعصي على الإحاطة؟ لهذا يبدو في الظاهر أن الحكومة والورع لا يجتمعان، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام جمع غاية الورع مع أقوى حكومة، وهذا مما يثير العجب.

لم يكن يجامل أحداً؛ فإذا استشعر من والٍ ضعفاً وأحس أنه لا يناسب هذا العمل، عزله. كان محمد بن أبي بكر بمنزلة ابنه وكان يحبه محبة أبنائه، وهو أيضاً كان ينظر إليه نظرة الولد للوالد. كان محمد أصغر أبناء أبي بكر، وتلميذاً

مخلصاً للإمام عليه السلام وقد تربى في حجره، كان قد أرسله والياً على مصر، ثم كتب له فيما بعد كتاباً بعزله لعدم كفاءته في إدارة مصر، وعيّن بدله مالك الأشتر.

ومن الطبيعي أن يستاء محمد بن أبي بكر من ذلك، فالإنسان مهما كبر شأنه يستاء لمثل هذا، لكن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعتن لذلك.

محمد بن أبي بكر مع ما له من شخصية جلية، ومع ما لموقفه يوم الجمل وعند البيعة من أهمية؛ فهو ابن أبي بكر وأخو أم المؤمنين عائشة، وعلى الرغم من مكانته عند أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أنه لم ينظر إلى استيائه وامتعاضه. هذا هو الورع الذي ينفع الإنسان وهو في الحكم، وقد تجسّد منتهى هذا الورع في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد اجتمع ورع أمير المؤمنين عليه السلام مع حكمه القوي، وهذا ما لم نسمع به في العالم على مدى التاريخ.

الخلفاء الذين سبقوا علياً عليه السلام كان لهم حزم في الكثير من المواقف، ويقرأ الإنسان في سيرتهم أعمالاً استثنائية، إلا أن الفارق بين أمير المؤمنين عليه السلام ومن سبقه





ومن تلاه حتّى يومنا هذا فارق عجيب لا يمكن وصفه ومقارنته.

اجتماع القوّة والمظلوميّة في الإمام عليّ عليه السلام.

المثال الآخر هو قوّته ومظلوميّته. هل كان ثمة رجل في عصره أقوى منه، أو له مثل تلك القوّة الحيدريّة؟ لم يتحدّ علياً عليه السلام أحد، ولم يجرؤ أحد على ادّعاء ذلك حتّى آخر حياته. نفس هذا الإنسان كان أكبر أهل زمانه مظلوميّة والأكثر ظلامه منهم، بل ويقال وهو قول صحيح لعلّه أكثر إنسان ظلّم في تاريخ الإسلام.

إنّ القوّة والمظلوميّة شيئان لا يجتمعان؛ فالمتعارف أنّ الأقوياء لا يُظلمون، غير أنّ أمير المؤمنين عليه السلام (١).

تمكن النبي ﷺ سنة ٦٢٢ ميلادية من وضع أسس الدولة الإسلاميّة، في مجتمع متجانس، أساس المواطنة فيه المؤاخاة بين أفرادها، فالرسول ﷺ وإن لم يؤثر عنه أي تعريف لمفهوم الدولة، الا انه بالإمكان استنتاج مثل ذلك من الخطوات العمليّة التي باشرها بحيث نستطيع القول بأن

دولة الرسول ﷺ قد خلقت مجتمعاً قوياً تمكن من نشر الإسلام في فترة قصيرة جداً بفضل التجانس البشري الكامن من أخوة الإسلام والإخلاص الصادق الذي انبت عليه تلك الاخوة، ولكن ذلك التجانس قد بدأ في التداخي جراء الثروات المتدفقة بغزارة على ذلك المجتمع بعد الفتوحات الإسلاميّة العظيمة، فأخذت الطبقيّة في التبلور. ولم تكن مقولة عمر بن الخطاب، بعد ان عرضت عليه غنائم فارس، وفيها من أطيب الأطعمة التي لم يجربها العرب من قبل «يا معشر المهاجرين والأنصار ليقتلن منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام» (٢)، والا احساس صادق بقرب ذلك. فقد تسلم علي عليه السلام مقاليد الدولة الإسلاميّة، وهي في طريق الانهيار لافتقاد المسلمين روح المؤاخاة، أساس المواطنة الإسلاميّة ويرجع سبب ذلك إلى الاتجاه المادي البحت، ونجوم النعرة القبليّة ثانية بعد ان خمدت وكادت جذوتها تنطفئ.

(١) مكتبة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة / ٢٠١٥-٠٧

(٢) المحب الطبري: الرياض النضرة ٢/ ٣٨٦.



تسلم علي عليه السلام مقاليد الدولة الإسلامية في السنة الخامسة والثلاثين هجرية، بعد تفكير عميق، وأخذ ورد^(١). لإحساسه بثقل مسؤولية إعادة بناء النسيج الداخلي من جديد، لأن التصور الواضح للدولة في فكر علي عليه السلام طبقاً لنصوص النهج هو الرجوع بالمواطنة داخل المجتمع الإسلامي إلى النهج الذي اختطه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فلقد دخل علي عليه السلام الكوفة سنة ست وثلاثين هجرية وهي مقسمة إلى أسباع، بحسب الانتماء القبلي، والرابطة الإقليمية التي اختطها سعد بن أبي وقاص في السنة السابعة عشرة هجرية، حين باشر بتمصيرها. ^(٢) هذا بالإضافة إلى غير العرب من المسلمين وغيرهم الذين استوطنوها، مما يعني في طياته افتقاد المواطنة الإسلامية داخل المجتمع الكوفي، الذي يمكن اعتباره صورة مصغرة للمجتمع الإسلامي. فالتكتل الطبقي بين سكانها أعاد المؤاخاة الإسلامية فيها إلى ولاء قبلي، بالامثال

للزعامة القبلية ولرؤساء العشائر، فكان علي عليه السلام إذا ما أراد للدولة أن تستمر كما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها والإسلام أن ينتشر، أن يقوم بإعادة بناء هيكل المواطنة المثالي بمجانسة أفراد المجتمع المتنافر عن طريق إعادة الأخوة الإسلامية إلى النفوس، وفك الهيمنة القبلية بتحويل الولاء للدولة، فهو في نفس الوقت الذي اضطر فيه إلى التعامل مع الزعامة القبلية بما يتماشى وروح الإسلام، قد بذل جهداً كبيراً في التنبيه للخطر الذي تشكله تلك الزعامات، والتحذير من مغبة الامثال لها، لما في ذلك من هدم للمثل والقيم الإنسانية، من ذلك قوله «الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، القوا الهجنة على ربهم... فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية... لا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحتكم

(١) راجع ص ٢٦٨ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) راجع تمصير الكوفة: تاريخ الطبري ٤/ ٤٤، ٤٥، وما سنيون: خطط الكوفة ص ١٠.



مرضهم وأدخلتم في حقكم باطلهم»^(١) فالدولة في فكر الإمام علي عليه السلام يجب أن تقوم على التجانس الإنساني داخل المجتمع، بصهر الطبقات في بوتقة المساواة، وإذابة فوارق الجنس، والتعصب للأخلاق الحميدة وهو ما يمكن ان نلمسه ضمن قوله لأبناء مجتمع الكوفة «فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الافعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، يعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغبية والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة والآثار المحمودة، تعصبوا لخلال الحمد من الحق للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي والاعظام للقتل، والانصاف للخلق، والكظم للغيط، واجتناب الفساد في الأرض»^(٢)، فمن تلاحق العبارات وتتابع الجمل، بعطف بعضها على بعض، نحس ان علياً عليه السلام قد كان مشحوناً غيظاً بسبب ما الت إليه

بنية المجتمع من تصدع، بحيث لم يعد للحكومة أية قيمة في ظل نظام قبلي، لا يرى الدولة ولا يفهم مقوماتها الا في حدود منظاره الضيق المتمثل في مصلحة القبيلة، مما يحول دون الانسجام بين افراد المجتمع الواحد، والدولة «كيما تضمن لمرافقها العامة اقصى مردودها (يجب) ان تعمل على تأمين انسجامها مع الاوضاع الخاصة بالحياة المحلية وبالأدوات الاقليمية ذات المصالح المشتركة».^(٣) لذلك كانت نظرة علي عليه السلام إلى الدولة نظرة مختلفة تماماً عن نظرة زعماء القبائل. فالمجتمع الكوفي بل الإسلامي بأكمله لم يكن قصراً على المسلمين العرب فهو مكون من خليط من اقوام غير متجانسة، منها فئات عربيّة ترى نفسها حاکمة لفضلها في نشر الإسلام، فمن حقها الاستئثار بكل الامتيازات، ومنها فئات غير عربيّة، دخلت الإسلام فراراً من الاضطهاد، وبحشاً عن العدالة والمساواة وفي ظل التعصب العربي لم تحصل على

(١) خطب ٢٤٠، فقرة ٨.

(٢) خطب ٢٤٠، فقرة ١٦.

(٣) دوفابر الدولة ٩١.



ذلك، ثم ان الفئات العربيّة داخل بنيتها الاجتماعية غير متجانسة أيضاً بسبب العصبية القبلية وتفاضل بعضها على بعض، هذا بالإضافة إلى عدم تجانسها أيضاً مع الفئات غير العربيّة، بسبب النظرة الإزدرائية لأولئك الاجانب، لذلك فإن الزعامات القبلية في المجتمع الكوفي ترى ان جميع امكانات الدولة يجب أن تكون تحت تصرفها ورهن إشارتها، حتى الحاكم رأس الدولة وقودتها لكونه عربياً يجب أن يكون قصراً على العرب في القيام بمصالحهم واعطائهم دون غيرهم، على العكس من نظرة علي عليه السلام الذي يرى أن الانتماء الإسلامي أقوى وأمتن من انتمائه العربي^(١).

من ذلك «أن الأشعث قال له وهو على المنبر: غليتنا عليك هذه الحمراء، فقال علي عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضيافة، يتخلف أحدهم على فراشه

وحشايه كالعير، ويهجر هؤلاء للذكر، أأطردهم؟ إني إن طردتهم لمن الظالمين، والله لقد سمعته أي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والله ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم بدءاً»^(٢) إذ يبدو ان علياً عليه السلام يرى من منظوره الإسلامي بأن التجانس داخل الدولة لا يعني الانتماء إلى جنس مميز على غيره، ولهذا السبب بين للأشعث ولغيره من زعماء القبائل بأن احتواءه لأولئك غير العرب لتمسكهم بالدين بمعناه الصحيح واسلوبه القويم، فمقياس المواطنة كما يبدو لنا في فكر علي عليه السلام هو الاخوة في الدين، يقول رداً على المرأة العربيّة التي طلبت منه ان يفضلها في عطائها على غير العربيّة «قد قرأت ما بين اللوحتين، فما رأيت لولد اسماعيل على ولد إسحاق عليه السلام فضلاً ولا جناح بعوضة»^(٣)، إذ يمكن ان نستنتج من ذلك القول ان اندماج الاجناس في الدولة في كل متكامل، هو السياج المتين الذي

(١) راجع حكم ٩٤.

(٢) ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث ٤٣٨/١ باب حمر، ٨٧/٣ باب ضرر، وابن أبي الحديد ١٩/١٢٤، ويعني بالحمراء: العجم والموالي، والضيافة جمع ضيطر: الضخم الذي لا تنفع فيه. والحمراء أي الفرس، لحمرة لونهم.

(٣) البلاذري أنساب الأشراف ١٤١/٢.



يحفظ كيائها، ويوحد بين مواطنيها، مما يعني ان التصور السياسي لمفهوم الدولة وضع على ما نعتقد في فكر علي عليه السلام، وان لم يضعه في قالب اصطلاحى، لذلك فإن مفردة (دولة) ^(١) في نهج البلاغة لا تخرج في معانيها عما أورده القاموس اللغوي من (تحول أو نصرة أو استيلاء أو تسلط) ^(٢) الا ان المتعمق الدقيق لا يعدم الحصول على ما تعنيه المفردة بمفهومها الاصطلاحي كما في قوله «فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه... طمع في بقاء الدول» ^(٣) فالدول على ما نظن تعني في السياق العلاقات الترابطية بين الحاكم

والمحكوم داخل اطار معين. ولكن أكثر ما ترد مفردة دولة في السياق عند علي عليه السلام بمعنى التسلط والحكم، كما في قوله للأشتر حين ولاه مصر «اني قد وجهتك إلى بلاد، قد جرت عليها دول قبلك» ^(٤) أي سُلط وحكومات مختلفة في احقاب متعاقبة، مع ملاحظة استخدامه لمفردة بلاد عوضاً عن اقليم أو دولة، الا ان ذلك لا يعني التداخل بين مفهومي دولة وحكومة في فكر علي عليه السلام، فقد بينا فيما سبق مفهومه للدولة، مما يحتم علينا تبيان مفهوم حكومة عنده. ^{(٥)(٦)}

(١) وردت مفردة دولة في النهج بصيغة المفرد والجمع في سبعة مواضع: خطب ٤ وفي نهايتها وخطب ١٣١ فقرة ٢ وخطب ٢١٠ ورسائل ٥٣ فقرة ٤ ورسائل ٦٩ نهاية الفقرة الأولى، ورسائل ٧٢، وحكم ٣٤٦.

(٢) راجع باب دول في: لسان العرب المحيط ١/ ١٠٣٤، الطريحي: مجمع البحرين ٥/ ٥٧، المعجم الوسيط ١/ ٣٠٤.

(٣) خطب ١٢٠، وقد جاء في بعض الطبقات: طمع في بقاء الدولة.

(٤) رسائل رقم ٥٣، الفقرة ٤.

(٥) لمزيد من الاطلاع ينظر: فكر الإمام علي عليه السلام كما يبدو في نهج البلاغة: للدكتور خليل منصور العريض، ط: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة: ص ٢٩٧-٣٠٢.

(٦) د. جليل منصور العريض - الجامعة الأولى/ تونس/ مؤسسة علوم نهج البلاغة / ٧-١-٢٠٢٣.



خصائص الدولة وميزاتها عند الإمام علي عليه السلام:

١. العدالة والمساواة:

إن الإمام علياً عليه السلام انطلق صوتاً للعدالة الإنسانية من قاعدة الإسلام، سواءً في القرآن الكريم، أم سنة الرسول ﷺ ناهيك عن سمات الإمام الحميدة من الإيمان والتقوى، والمعطيات العلمية والفقهية التي أدت إلى إقامته العدل بين الناس، والذي يعد الدعامة الرئيسة في إقامة المجتمع الإسلامي، والحكم الإسلامي، إذ لا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

حظي كل من مفهوم (المساواة) ومفهوم (العدالة) بالأهمية البالغة، عند المجتمعات البشرية كافة، سواء أكان ذلك في تأريخها أو حاضرها، وستعنى بهما الأجيال القادمة قطعاً؛ لأهميتهما في التعبير عن الكرامة الإنسانية؛ والحرية؛ والأمان؛ والاستقرار النفسي والمجتمعي.

والمساواة في اللغة هي مصدر الفعل ساوى، يُقال: ساوى بين شخصين؛ أي أنه جعلهما متعادلين ومتماثلين، وساوى بين الناس يُقصد أنه عادَل بينهم وأصلح.

والمساواة في الاصطلاح هي أن يحصل المرء على ما يحصل عليه الآخرون من الحقوق، كما عليه ما عليهم من واجبات، من دون أي زيادة أو نقصان، وهي قيمة عظيمة تجعل جميع الأطراف سواء.

أما العدل في اللغة هو ضدّ الجور، وهو في الحكم أن يُثاب المرء على الحسنة بالحسنة، وعلى السيئة بالسيئة، وهو التسوية بين الشئيين أيضاً. والعدل في الاصطلاح هو استخدام الأمور في مواضعها وأوقاتها الصحيحة من دون تقديم أو تأخير.

وإن مفهوم العدل يعبر عن الإنصاف، كما يُعبر عن معاملة الناس بشكل متساوٍ، وعدم الانحياز لفئة معينة، أو تعريضهم للظلم أو التعامل معهم بعنصرية، وذلك من خلال سن القوانين الاجتماعية، والسياسية، والجنائية، والتي من شأنها تحقيق الإنصاف بين أفراد المجتمع في مختلف المجالات الصحية، والتعليمية، وحتى في مجال الأعمال، وبصرف النظر عن أجناسهم وأعراقهم، كما يتجلى دور هذه القوانين في منح أفراد المجتمع الفرص المتساوية في الحياة، بالإضافة إلى



حمايتهم في مختلف المجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

ومن القواعد الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان، أن كل الناس سواسية أمام القانون، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة من دون أية تفرقة. وفيما يتعلق بالحق في المساواة؛ فإن المادة (٧) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص على ما يلي: (الناس جميعا سواء أمام القانون، وهم يتساوون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من أي تمييز ينتهك هذا الإعلان ومن أي تحريض على مثل هذا التمييز).^(١)

ولا شك أن الشريعة الإسلامية وضعت مبادئ المساواة والعدالة والحرية في خط واحد يكمل أحدهما الآخر، لأن هذه المبادئ هي التي تعبر حقيقة عن كرامة الإنسان، التي تنشدها حقوق الإنسان في الدساتير والصكوك الدولية، فالمجتمع الذي لا مساواة فيه لا حرية

فيه؛ ولا عدل؛ ولا سلام، ويكون مجتمعا عنوانه الظلم والطغيان وسيطرة القوي على الضعيف والغني على الفقير.

يتجسد الأصل العام في البشر في حكمة الله سبحانه وتعالى الذي خلق جميع البشر متساوين في أصل الخلقة، أي في الإنسانية؛ فكل الناس لآدم وآدم خلق من تراب، لا فرق بين أبيض وأسود وأحمر، ولا طويل ولا قصير، ولا عربي ولا عجمي، ويدل على ذلك عدة نصوص منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، فالمساواة في الإنسانية التي أقرها الإسلام أسقطت كل نظريات الأجناس والأعراق والألوان واللغات، وقد جعل الإسلام المفاضلة بين الناس بالتقوى، فقال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)، وقال رسول الله ﷺ: (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى)^(٢)، وقال أيضا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ

(١) الأمم المتحدة. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٤٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٢٢٩٧٨.



ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)^(١).

تتلخص في الآتي:

• العدالة الإنسانية مبدأ:

لقد شكلت العدالة في منظور الإمام هاجسا حيا يتفاعل معه، ويسعى إلى تحقيقه، ويشدد على المشتغلين معه في إتباع العدالة وتنشيط مفاصلها، يوجههم في ذلك ويراقبهم عليه، ويعزلهم إذا قصرُوا، ويشيد بهم إذا تبعوا منهج الحق في ذلك. لذا لم يشغل فكر الإمام في شيء بقدر انشغاله في موضوع العدل والإنصاف وتطبيق برنامج المساواة.

إن منظور الإمام علي عليه السلام لتطبيق العدالة ينطلق من كون المساواة لا تتحدد بالمساواة في المعيشة والرزق فحسب، إنما يتعداه إلى إنصاف الناس في كل شيء. وانطلاقا من هذا المفهوم، شدد الإمام علي تطبيق المساواة في كل شيء، كي يشعر الناس بالعدل، ويسود المجتمع مظاهر الحق والعدل والمساواة. ووجب ذلك على الحكام أنفسهم، إذ تتحقق العدالة الاجتماعية حينما يكون الحكام عدولا. ولهذا كتب الإمام عهدا إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر هو

ولا شك أن ربيب الرسول وأخاه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نال من الأفضال والمكارم والمعارف ما لم يناله أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كان القدوة الحسنة في زمنه في تجسيد المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية في تلك العهود الغابرة، وكان المثل الأبرز للمجتمعات الإنسانية التي تلتها.

ومن الجدير بالذكر إن الإمام عليا عليه السلام انطلق صوتا للعدالة الإنسانية من قاعدة الإسلام، سواء في القرآن الكريم، أم سنة الرسول صلى الله عليه وآله ناهيك عن سمات الإمام الحميدة من الإيمان والتقوى، والمعطيات العلمية والفقهية التي أدت إلى إقامته العدل بين الناس، والذي يعد الدعامة الرئيسة في إقامة المجتمع الإسلامي، والحكم الإسلامي، إذ لا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، وكانت مسائل العدالة والحكومة هي من أكثر ما عُنِي به الإمام عليه السلام، ولعل أهم ملامح المساواة والعدالة التي طبق الإمام علي عليه السلام

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم ٦٠٣٩.



بمثابة برنامج عمل لتطبيق مبدأ العدالة الإنسانية: (فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم...) ^(١) وقد تجسد ذلك بقوله لما عوتب على التسوية في العطاء: (أأمر ونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه!... لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله) ^(٢).

• العدالة مفتاح الحقوق الأخرى:

• كان الإمام علي عليه السلام يدرك إن العدالة مفتاح لدخول الحقوق الأخرى، فلو انعدمت العدالة في المجتمع لانعدم ما دونها، لذا شدد على تحقيقها منطلقاً من كون الناس جميعاً أحراراً، يولدون ويموتون، وليس من حق أي كان أن يسلبهم هذا الحق فقد قال: (أيها الناس! إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن الناس كلهم

• العدالة للجميع من دون تمييز: لم يفرق الإمام علي عليه السلام بين رعيته على أساس الانتماء والعقيدة، فقد شكلت المواطنة غايته في سياسة الناس، فلم يكن الاختلاف يؤذي الإمام ما دامت المواطنة جامعا كلياً للأمة، فكل ما عداها يدخل دائرة الجزئية والفرعية المحددة التي لا يمكن لها أن تكون مقياساً لوجودية

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٤٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، الخطبة رقم ١٢٦، ص. ١٨٤.



الإنسان على الأرض. فالناس في منظوره متساوون على أساس العطاء والتفاعل الإنساني، فمقدار ما يقدمه الإنسان للأمة يكون مقدار لاحترامه، وحفظ وجوده على أساس التعايش السلمي. وهذا المعنى يجسده في عهده لملك الأشتر عندما ولاه مصر قائلاً: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتנם أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق).

• العدالة ليست شعارا فقط بل هي عمل دائم:

لم يكن الإمام علي عليه السلام مثل الكثير من الحكام والناس تحدثون عن العدالة والمساواة في المجالس والدواوين، وينصحون الآخرين بتطبيقها، ولكن يستثنون أنفسهم وذويهم منها، إنما كان الإمام عليه السلام يعتبرها جوهرية في حفظ الحقوق، فلم يكن المحسن والمسيء في منزلة واحدة عنده، إنما حرص على التفريق بينهم، وحث ولاته على التمييز

• العدالة تتطلب محاربة الظلم:

حرص الإمام علي تطبيق مبدأ العدالة بين الناس من خلال محاربة الظلم، وأخذ الحق من الظالمين، وإرجاعه إلى

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٤٢٧.



أصحابه، لذا لم يترك مناسبة إلا وأعلن فيها أنه يسعى إلى تطبيق مبدأ إحقاق الحق، وإن أنكره عليه الناس؛ لأن الحق طريق موحش وعمر، يتطلب من سالكيه الصبر والتحمل، كما يتطلب من الناس إعانة الإمام علي تنفيذ العدالة؛ لأن تطبيق العدالة هم مشترك، فالظلم الاجتماعي يلحق الجميع، ولا يميز بين إنسان وآخر. لذا قال عليه السلام: (أيها الناس! أعينوني على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزأته، حتى أورده منهل الحق، وإن كان كارهاً)^(١).

• العدالة تبدأ من محاربة الفقر والفساد:

أولى الإمام علي عليه السلام عنايةً منقطعة النظير بالفقراء والمحرومين، إذ كان الإمام ينظر إليهم نظرة الحريص على تضيق مساحة الفقر، ورفع مستواهم المعيشي؛ لأنه يعلم أن الفقر يمكن أن يسبب تدهوراً أخلاقياً وانحطاطاً نفسياً؛ لذا

عمل منذ الساعات الأولى من تسنمه الخلافة على إيقاف تضخم الثروات بسبب التمييز في توزيع الثروة الذي سبب فوارق طبقية بين أبناء المجتمع، فصارت طبقة تملك المال الذي يكسر بالفؤوس، وطبقة لا تملك ثوباً تلبسه. لذا كان الإمام من الوهلة الأولى يعلن القسمة بالسوية، وإن الناس متساوون في الثروة لا يمكن لأحد أن يحصل على أكثر من غيره في العطاء مادام الجميع يخضعون لقانون المواطنة. فقد أعلن الإمام برنامجه الأول لمحاربة الفساد المالي وإعادة الحق إلى أصحابه: (ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لردته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فاجور عليه أضيق)^(٢).

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٢٤٤.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٤٢-٤٣.



• مراقبة تطبيق العدالة هي الاختيار • ترسيخ مبدأ مساءلة الحاكم:

الحقيقي للأقوال:

من أين لك هذا؟، فقد طلب من شعبه محاسبته، وخاطب أهل الكوفة عاصمة دولته، قائلاً مقولته الذهبية: «يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحتي ورحلي وغلامي فأنا خائن»^(٢)

وكان قبل خروجه من البصرة متجهاً إلى الكوفة يعلن بشفافية متناهية:

«ما تنقمون مني يا أهل البصرة؟ وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته، فقال: والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين»^(٣)

وفي الواقع لم يكن ينتظر مساءلة أحد، بل كان شديد الحساب لنفسه، يقول عليه السلام: أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟!

كانت عناية الإمام عليه السلام بالعدالة تجعله يراقب تطبيقها وإنصاف المظلومين، وقد وضع آليات كثيرة لمراقبة سير العدالة، وعدم تعرض الناس للظلم، ناظرًا بعين الاعتبار إلى إن البعض يخشى أن يصرح بظلمه خوفاً من الحكام وجورهم. لذا اتخذ الإمام عليه السلام ما يعرف ببيت القصص، وهو مكان ترمى فيه قصص أهل الظلامات، إذ يكتب الناس الرقاع بمن ظلمهم من الولاة ويلقوها في هذا البيت، ثم يخرجها الإمام، ويعالج المشكلات. حيث كان حريصاً على حفظ كرامة الناس وصيانتها من المسألة. لذا كان يقول: (من كانت له إلى منكم حاجة، فليرفعها في كتاب؛ لأصون وجوهكم عن المسألة).^(١)

٢. الشفافية والمحاسبة:

مارس الامام علي عليه السلام المبادئ الإسلامية المحمدية بحرفية عالية من خلال التالي:

(١) مركز آدم للدفاع عن الحقوق والحريات / جميل عودة / السبت ٢٣ آذار ٢٠١٩

(٢) لشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٢٣٩.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٣٠٨.



وكانت نفقته - كما يذكر التاريخ - تأتيه من غلته بالمدينة ينبع، وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت.

• المساواة في تقسيم المال العام، فالمواطنون في ذلك سواء:

روى الثقيفي في الغارات: أن امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب، والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً، وكرا من الطعام، فقالت العريضة: يا أمير المؤمنين، إني امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال علي عليه السلام: «إني لا أجدل بني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق»

• لا للامتيازات الخاصة للأقربين في المال العام:

وقصة أخيه عقيل الذي طلب منه مساعدة خاصة من بيت المال تحت وطأة الظروف المادية الصعبة، يقول الإمام عليه السلام: (وعاودني مؤكداً. وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني

أبيعه ديني، وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحيت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك الشواكل يا عقيل، أثن من حديدة أحماها إنسانها للعبة وتجري إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أثن من الأذى ولا أثن من لظي) ^(١)

• الاحتياط الشديد في التصرف في الأموال العامة:

يظهر ذلك من خلال التعميم المرسل إلى ولاته وعماله الذي يأمرهم فيه بالاقتصاد والاختصار والتركيز حتى لا يضيع وقت وأموال المسلمين:

«أدقوا أقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا عني فضولكم واقصدوا قصد المعاني وإياكم والإكثار فان أموال المسلمين لا تحمل الإضرار»

• المراقبة والمحاسبة الدقيقة لولاته وعماله:

إذ كان يرسل العيون والأرصاد من الثقات ليعثوا له التقارير عن أحوال

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ١٦٣.



الولاية، فيحاسبهم عن كل تقصير. كتب إلى زياد بن أبيه: «وإني أقسم بالله عز وجل قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفرة، ثقیل الظهر، ضئیل الأمر»

• تحريض الناس على المطالبة بحقوقهم:

فهو من جهة يوبّخهم على التقاعس عن المطالبة: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون»^(٢)، ومن جهة أخرى يؤسس قناة لاستقبال الشكاوى والمظالم، سمي (بيت القصص) كما جاء عن (صبح الأعشى): أول من اتخذ بيتاً ترمى فيه قصص أهل الظلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ومن جهة ثالثة كان يتخذ الإجراء السريع الحازم والمناسب تجاه أي شكوى أو مظلمة، كما حدث مع سودة الهمدانية التي اشتكت الوالي عنده، فأخرج قطعة جلد فكتب فيها في الحال:

(بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم)

• منع أخذ الرشاوى وقبول الهدايا تحت أي مسمى:

يقول عليه السلام: «أيما وال احتجب عن حوائج الناس احتجب الله عنه يوم

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة رقم ٧٥.

(٢) لشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح الدكتور صبحي الصالح، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٧)، ص. ٢٩٦.



إن كنتم مؤمنين) فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه والسلام.

هذا غيض من فيض النموذج الذي نبشر به، والذي يجب أن تترجم كلماته وسيرته لكل لغات العالم إقامة للحجة ونشرا للقيم السامية الحقبة التي لم تكن كلاما فقط، بل تجسدت في شخص هذا الرجل العظيم كل التجسد^(١).

٣. الزهد والورع:

الزهد من أسمى الفضائل الأخلاقية وأعظمها أثراً في حياة الإنسان، لأن الممتع بهذا الخلق الإنساني النبيل يقنع من الدنيا بالقليل ولا يجهد لتحصيل الكثير، ولا يفرح بما يحصل عليه، ولا يحزن على ما فاته من أمور الدنيا الفانية، والزاهد هو الشخص الذي امتلك القوة والإرادة ليقف عند حدود ما يريد من هذه الدنيا، فلا يسعى فيها لإحراز مال أو منصب أو جاه وعز، أو امتلاك القصور والأراضي، بل كل ما يريد هو الأخذ من الدنيا ما يعينه على قطع الرحلة في سيره نحو الله عز وجل ليحصل على نعيم الجنة في الآخرة.

وقد كان الإمام علي عليه السلام من أزهد الزاهدين في الدنيا، ويروى أن ابن عباس دخل على أمير المؤمنين عليه السلام يوماً فوجده يرقع نعله فقال له: «إنما نحن أحوج إليك لإصلاح أمورنا من إصلاحك لهذا النعل، فلم يجبني حتى فرغ من إصلاح النعل، ثم وضعه بجانب أخيه وقال» ضع ثمناً لهذا الزوج من النعال «قلت: «لا قيمة له» وعن ذلك أنها نعلان باليان ومستهلكان بالاستعمال، فقال: عليه السلام مع كل هذا ما قيمته؟ قال ابن عباس» درهم أو بعض درهم» فقال عليه السلام: (أما والله إن هذين النعلين أفضل عندي وأحب إليّ من أمركم هذا، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً). ولذا ورد أن علياً عليه السلام كان أزهد الناس بعد رسول الله ﷺ وكل من مارس الزهد في حياته أخذ عنه بعضاً مما كان عليه في هذا الخلق الرفيع، وكان لا يشبع من طعام قط، وكان أخشى الناس في المأكول والملبس وكان يقتات على فتات الخبز الشعير اليابس، وقد ورد أنه في الليلة التي ضربه فيها ابن ملجم لعنه الله قدمت إليه

(١) شبكة وزن الثقافية / بدر الشيب / ٧ / ٦ / ٢٠١٠م - ٥٢: ١٢ م



ابنته أم كلثوم عند إفطاره من الصيام طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً وقال: يا بنية: أتقدمين إلى أبيك إدامين في طبق واحد؟ أنا أريد أن اتبع أخي وابن عمي رسول الله ﷺ..... إلى أن قال: يا بنية والله لا أكل شيئاً حتى ترفعي أحد الإدامين فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بملح الجريش، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قام إلى صلاته».

وللإمام علي عليه السلام في الزهد كلام ليس بالكثير عليه لو أن الناس كتبته بماء الذهب ووضعته في صدر بيوتها لها ونواديها ومن نماذج كلامه يقول عليه السلام: (أما بعد، فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، وليكن همك في ما بعد الموت).

وإذا، ففي أجواء الذكرى العطرة لولادة أمير المؤمنين عليه السلام نرفع أسمى آيات التهئة والتبريك ليس للمسلمين فقط، بل لكل الناس؛ لأن الإمام علياً عليه السلام قد جسد في حياته الشريفة كل المبادئ والمثل والقيم الإنسانية الرفيعة أصدق تجسيد، بشهادة البعيد قبل القريب، والعدو قبل الصديق، وغير المسلم قبل

وفي نص آخر في الزهد يقول عليه السلام: (ألا



٤. حقوق الإنسان

المسلم. والحمد لله رب العالمين. ^(١)

الحقوق المدنية والسياسية هي فئة من الحقوق التي تحمي حرية الأفراد من التعدي من قبل الحكومات والمنظمات الاجتماعية والأفراد، والتي تضمن قدرة الفرد على المشاركة في الحياة المدنية والسياسية للمجتمع والدولة من دون تمييز أو اضطهاد.

ومن أبرز الحقوق المدنية والسياسية التي تضمنتها الاتفاقيات الدولية، كإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية هي: المساواة وعدم التمييز في التمتع بالحقوق والحريات الأساسية، الحق في الحياة، حظر الاعتقال أو الحجز أو النفي التعسفي، الحق في المحاكمة العادلة، الحق في حرية الحركة والتنقل، الحق في الجنسية وعدم الحرمان منها، الحق في الزواج، حق التملك، الحق في حرية الفكر والوجدان والدين، الحق في حرية الرأي والتعبير، الحق في حرية الاشتراك في الاجتماعات والجمعيات السلمية، الحق في الانتخابات

الدورية، وفي إدارة الشؤون العامة للبلد، والحق في تقلد الوظائف العامة بالتساوي مع الآخرين...

وتتميز الحقوق المدنية والسياسية بميزتين أساسيتين، وهما: (أولاً: أنها حقوق سلبية والمقصود بذلك أنها لا تتطلب من الدولة موارد كبيرة من أجل تحقيقها إذ أنه لا يتطلب من الدولة سوى عدم انتهاكها. ثانياً: أنها حقوق قابلة للتنفيذ المباشر الفوري، ومعنى ذلك أن تلك الحقوق يجب أن تطبق وتحترم فوراً، ولا تحتمل أي تأجيل نظراً إلى الخطورة الكبيرة التي قد تحصل في حال الامتناع عن تطبيقها وإعمالها الكامل على الأفراد) وقد أولى المجتمع الدولي اهتماماً كبيراً فيما يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية وإحقوقها وضمان تعزيز الأفراد بالتمتع بها سواء كان في مجال وضع المعايير اللازمة لنفاذها أو في الرقابة على تطبيقها. لقد ضرب الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام -منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة- مثلاً رائعاً على التأكيد على الحقوق المدنية والسياسية للناس جميعاً من دون استثناء





وضعت مبادئ المساواة والعدالة والحرية في خط واحد، يكمل أحدهما الآخر؛ لأنَّ هذه المبادئ هي التي تعبر عن كرامة الإنسان، التي تنشدها حقوق الإنسان في الدساتير والصكوك الدولية، فالمجتمع الذي لا مساواة فيه لا حرية فيه؛ ولا عدل؛ ولا سلام، ويكون مجتمعاً عنوانه الظلم والطغيان، وسيطرة القوي على الضعيف، والغني على الفقير.

من هذا المنطق فإن منظور الإمام علي عليه السلام لتطبيق العدالة ينطلق من كون المساواة لا تتحدد بالمساواة في العيش والرزق فحسب، إنما يتعداه إلى إنصاف الناس في كل شيء. ولذلك شدد الإمام علي تطبيق المساواة في كل شيء، كي يشعر الناس بالعدل، ويسود المجتمع مظاهر الحق والعدل والمساواة. وقد أوجب ذلك على الحكام أنفسهم، إذ تتحقق العدالة الاجتماعية حينما يكون الحكام عدولاً. ولهذا كتب الإمام عهدها إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر هو بمثابة برنامج عمل لتطبيق مبدأ العدالة الإنسانية (فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس

أو تمايز بين مواطن وآخر أو بين مسلم وغير مسلم، واستطاع رغم فترة حكمه القصيرة أن يجسد هذه الحقوق، وأن يمنحها لمواطني الدولة الإسلامية حتى كان المسلمون يتمتعون بحقوقهم في الحياة والحرية والفكر والحكم والمعارضة من دون أن يتعرض لهم أحد لا من رجال السلطة، ولا من أفراد المجتمع الآخرين. وهنا نذكر ثلاثة حقوق مدنية وسياسية كان الإمام علي عليه السلام قد أولاهما اهتماماً، وهي:

حق المساواة وعدم التمييز بين الناس:

من القواعد الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان، أن كل الناس سواسية أمام القانون، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة من دون أية تفرقة. وقد نصت المادة (٧) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن (الناس جميعاً سواء أمام القانون، وهم يتساوون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من أي تمييز ينتهك هذا الإعلان ومن أي تحريض على مثل هذا التمييز).

ولا شك أن الشريعة الإسلامية



بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم...^(١) وقد تجسد ذلك

بقوله لما عوتب على التسوية في العطاء

(أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه!... لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)

ولم يفرق الإمام عليه السلام بين رعيته على أساس الانتماء والعقيدة، فقد شكلت المواطنة غايته في سياسة الناس، فلم يكن الاختلاف يؤذي الإمام ما دامت المواطنة جامعاً كلياً للأمة، فكل ما عداها يدخل دائرة الجزئية والفرعية المحددة التي لا يمكن لها أن تكون مقياساً لوجودية الإنسان على الأرض. فالناس في منظوره متساوون على أساس العطاء والتفاعل الإنساني، فمقدار ما يقدمه الإنسان للأمة يكون مقدار لاحترامه، وحفظ وجوده على أساس التعايش السلمي. وهذا المعنى

يجسده في عهده لملك الأشتر عندما ولاه مصر قائلاً (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن

• حق حرية الفكر والوجدان:

إنَّ الحرية هي التعبير الطبيعي عن نزوع الذات البشرية إلى الانعتاق من كل القيودات والمكبّلات التي تحول دون تحقيق ذاته، وتنمية طاقاته العقلية والنفسية والوجدانية. والحرية حق أساسي طبيعي يتقرر منذ اللحظات الأولى لولادة الإنسان. وقد نصت المادة (١٨) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على حرية الفكر والوجدان والدين (لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحرية في إظهار دينه أو معتقده بالتعبّد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حده).

وقد جاء الإسلام ليرفع من مكانة الإنسان -من حيث هو إنسان- فكرّمه وأنعم عليه بنعمة العقل ورزقه من

(١) علي بن أبي طالب، "نهج البلاغة"، الرسالة الثالثة والخمسون (إلى مالك الأشتر)، جمع الشريف الرضي، صفحة أربعمائة وتسعة وعشرون.



الطيبات وفصله على سائر المخلوقات، ضمن الأمة.

يقول ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) والحرية هي روح الدين الإسلامي، وهي أعز شيء على الإنسان بعد حياته، بفقدانها تفقد الآمال، وتبطل الأعمال، وتموت النفوس، وتتعطّل الشرائع، وتحتل القوانين، فيصير الفتور والانحطاط والتقاعس، لمن ألفوا الاستبداد والذل والهوان.

لذلك كان حق الحرية الدعامة الأساسية في منظومة حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فالإمام يؤمن أن الحرية تنبع أولاً من داخل الإنسان: من عقله وروحه فيوجه عليه السلام أمراً أو نصيحة أو درساً أخلاقياً للإنسان في أي مكان أو زمان قائلاً (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)^(٢) وهنا يُحمّل الإمام الإنسان مسؤولية نيل الحرية والمحافظة عليها، وكذلك نشر الوعي

الذي ستكون أبعاد الحرية فيه وفق رؤية الإمام، سياسية واقتصادية، وشخصية، وفكرية، ودينية، فضلاً عما يتعلق بموضوع الحرية من رؤية للإمام إلى مسألة العبودية، والإطار المحدد للحرية. وقد دلّ الإمام عليه السلام على أصالة الحرية وعلى تساوي الناس في الحكم والقسم كتساويهم في الانتساب إلى آدم فقال: (أيها الناس! إن آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإن الناس كلهم أحرار، ولكن الله خول

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠]

(٢) علي بن أبي طالب، "نهج البلاغة"، الحكمة الثانية والأربعون.



بعضكم بعضاً). (١)

• حقوق المشاركة السياسية:

تعد حقوق المشاركة السياسية من الحقوق السياسية، وهي الحقوق التي تنظم علاقة الإنسان بالدولة، أو بالمجتمع باعتبار أن الإنسان مدني واجتماعي بطبعه، لذلك فإن ظاهرة الحكم هي حالة إنسانية. ويعد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من السابقين في منح الأمة حقها في المشاركة السياسية؛ التي يمكن تعريفها بأنها (أي عمل تطوعي من جانب المواطن، بهدف التأثير في اختيار السياسات العامة، وإدارة الشؤون العامة، أو اختيار القادة السياسيين على أي مستوى حكومي أو محلي أو قومي).

يقر الإمام عليه السلام بان السلطة هي من حق الشعب، حيث روي عنه قوله عليه السلام (إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم) فهذا النص المتعلق بـ (الأمر) يفهم منه أن الأداء السياسي يجب أن ينبع من الأمة، وليس حكراً على فرد أو طبقة خاصة حيث يقول عليه السلام (أعظم ما افترضه سبحانه... حق الوالي على الرعية

وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزلاً لدينهم، فلا تصلح الرعية لا بصلاح الوالي، ولا تصلح الولاية إلا باستقامة الرعية).

ومن نتائج هذا الحق الإسهام بإصلاح المجتمع وإعلاء لقيمه وذلك بالانسجام بين الحكام والمحكومين ويؤدي ذلك إلى الاستقرار السياسي الداخلي والخارجي. وللوصول إلى هذه النتيجة المرجوة يجب أن تنهض الأمة بأعبائها بحسن التصاح والتعاون، ويستطرد الإمام بتثبيت حقوق الأمة في المشاركة السياسية بان السلطة الحاكمة مهما علا شأنها وحرصها في تحقيق العدل والسعي في مرضاة الله ليس من حقها أن تنفرد بالسلطة وتحتكرها. وان حق المشاركة مكفول لكل أفراد الأمة -مهما قل شأن بعضهم على وفق معيار ما أو من ناحية تأثيرهم- فهم أصحاب حق في السلطة ويجب أن يشتركوا فيها إذا ما أرادوا ذلك مساهمين بإيجابية في تحقيق الأهداف بتطوير المجتمع وتقدمه. ومن أشكال المشاركة السياسية حق

(١) علي بن أبي طالب، "نهج البلاغة"



وما يشير إلى أهمية البصر وتقدمه على بقية الحواس هو ما دلت عليه دراسة علمية تفيد أن ٧٥٪ مما يتعلمه الإنسان يأتي من البصر، وأن ١٥٪ من السمع، و١٠٪ من بقية الحواس.

ولأجل كون هاتين الحاستين «البصر والسمع» تقعان على رأس الحواس تكرر في القرآن الكريم وصف الله تعالى بـ «السميع البصير».

من لفظ «البصيرة» نشأ اصطلاح «أهل البصائر» الذي استعمله أمير المؤمنين عليه السلام في بياناته، ففي نهج البلاغة ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام خاطب معاوية بن أبي سفيان: «وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعولّوا على أحسابهم، إلّا من فاء من أهل البصائر، فإنهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك، إذ حملتهم على الصعب، وعدلت

الأمة في اختيار حكامها وولاتها، ومن يمكن أن نعرفهم الآن بكبار الموظفين في الدولة والمجتمع. وبعبارة أخرى، ويثبت الإمام شرعية الحاكم من خلال الاعتماد على رضا الناس الذي انعكس آنذاك في نظام البيعة كأسلوب للتعبير عن الإرادة الشعبية، خصوصاً مع ضمان الحرية لتلك البيعة، فيقول الإمام عليه السلام (إن الواجب على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل.. أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة) وقدم الإمام نموذجاً تاريخياً صادقاً لحرية التعبير عن الإرادة الشعبية في بيعته التي يقول عنها عليه السلام (بايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيرين)^(١).

٥. الحكم بالعلم والبصيرة:
إنّ ما تقدّم يشكّل حافزاً قوياً لتحديد معنى البصيرة الذي نقاربه من خلال الحديث عن معنى البصر الذي اشتق منه لفظ البصيرة، فالبصر هو أهم حاسة من حواس الإنسان ويليها السمع.

(١) مرز آدام للدفاع عن الحقوق والحريات / جميل عودة / ١٠ نيسان ٢٠٢٣



بهم عن القصد»^(١)

أهل البصائر، كما في خطابه المتقدم معاوية بن أبي سفيان: «وأردت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعولوا على أحسابهم، إلا من فاء من أهل البصائر، فإثمهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك، إذ حملتهم على الصعب، وعدلت بهم عن القصد»^(٢)

فيما عدا أهل البصائر نجح معاوية في تحريف صورة الدين، والمسار الاجتماعي للكثير من الناس، حتى وصل الأمر أن يجتمع عشرات الآلاف منهم بهدف قتل سبط رسول الله ﷺ في كربلاء الذي اجتمع مع عشرات فقط امتازوا بمصطلح «أهل البصائر»، وبلغوا «الفتح» بتعبير الإمام الحسين عليه السلام ومن تخلف لم

وفي بعض النصوص أن هذا المصطلح كان يستخدمه أيضاً بعض من عاصر أمير المؤمنين عليه السلام، فقد خاطبه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل بن ورقاء قائلين: حتى متى لا تقاتل القوم؟ فقال الإمام علي عليه السلام لهما: «لا تعجلا». فقال عبد الله بن بديل: ما تنتظر بهم، ومعك أهل البصائر والقرآن...»^(٣)

وفي كربلاء صاح أحد قادة جيش عمر بن سعد بأصحابه: أتدرون من تقاتلون، تقاتلون فرسان مصر، وأهل البصائر، وقومًا مستميتين.^(٤)

وفي نهج البلاغة يوضح الإمام علي عليه السلام محاولات معاوية تحريف الحقائق التي نجحت مع جيل كثير من الناس، في مقابل فئة لم يستطع معاوية أن يغيّر في نظامهم الإدراكي المحكم، فاستحقوا أن يطلق عليهم الإمام علي عليه السلام مصطلح

(١) محمد، أويس، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ط ١، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٨ هـ ص ٤٣٦.

(٢) المحمودي، نهج السعادة، ط ١، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٦ م، ج ٢، ص ١٥٦.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩.

(٤) محمد، أويس، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص ٤٣٦.



يبلغ الفتح»^(١) والفتح مقابل الإغلاق هو بصيرة قلب مقابل عماه^(٢).

٦. الالتزام بالدين والأخلاق:

لو هلة يهمل الكثير منا ما ورد في كتاب «نهج البلاغة» فيما يتعلق بالمثل والاخلاق السامية في حين يشكل الجانب التربوي والاخلاقي ودون مبالغة ركنا اساسيا فيه، حيث كانت حياة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام مليئة بالوصايا الارشادية الساعية إلى اصلاح الفرد والمجتمع على حد سواء، وكان «نهج البلاغة» هو الوعاء الحامل لتلك الوصايا حيث ضم في ثناياه الكثير من الوصايا القائمة على المثل والاخلاق الحميدة في جوانب الحياة المختلفة فهو يعد اول كتاب في التربية والاخلاق بعد القرآن الكريم، وردت الكثير من الخطب والكلمات التي ذكر فيها عليه السلام الجوانب الفلسفية والتاريخية وما شابه وقد اتخذت من مسألة تربية النفس وتركيتها هدف لها بشكل عام.

وفي مقدمة القيم الأخلاقية التي حث

عليها الامام عليه السلام في نهج البلاغة «تقوى الله» حيث قال عليه السلام موصياً:

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ: زَادٌ مُبْلَغٌ وَمَعَادٌ مُنْجٍ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاَهَا خَيْرٌ وَاعٍ، فَأَسْمَعُ دَاعِيَهَا، وَفَارَزَ وَاعِيَهَا.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلَزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ؛ فَآخِذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالرَّيَّ بِالظُّمَأِ، وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ»^(٣) فالملاحظ في خطبه عليه السلام حرصه على وجوب تقوى الله ومخافته قبل كل امر يبتغيه الموصي سواء كان امر بمعروف أو نهى عن منكر دليل على يقين الامام عليه السلام في كون الوازع الديني هو اقوى وازع يدفع الانسان إلى فعل اي شيء يرضي الله سبحانه وتعالى لاسيما إذا ما اتقاه الانسان يقول: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم، والمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللهِ،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٨١.

(٢)

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩١، ص ٢٠٦.



وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ: فَإِنَّ التَّقْوَى فِي
الْيَوْمِ الْحَرُورُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى
الْجَنَّةِ، مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ،
وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ»^(١) لذلك فتقوى الله
سبحانه وتعالى ومخافته انما هي الفوز
الحقيقي والمنجاة من احوال يوم القيامة.

ومن القيم الخلقية العالية التي حث
عليها الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة
الصبر فقد جاء عنه: «اطرح عنك
واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن
اليقين... وعود نفسك الصبر على المكروه
ونعم الخلق الصبر»^(٢) فهو هنا يحضر من
الاستسلام للجزع ويؤكد على الامل
بتأكيده ان مع الصبر قد ت زال الهموم
وتتبدل الاحوال وتتغير، وقد ربط عليه السلام
الصبر بالإيمان وان لا ايمان بلا صبر بقوله: «
اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط
الابل... وبالصبر فان الصبر من الايمان
كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا
رأس معه ولا في ايمان لا صبر معه»^(٣).

ومن القيم والمثل الأخلاقية التي حث
عليها الامام وكان لها الاثر الواضح في
اصلاح المجتمع وبنائه بناء قائم على
اساس الخير للناس وصلاحهم هو
العدل فأشار عليه السلام إلى ان من الانصاف ان
يوزن الانسان نفسه قبل ان ينظر إلى غيره
ولا يظلم احدا كما انه لا يجب ان يظلمه
احد فقد وصى ابنه الامام الحسن عليه السلام
بقوله: «يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما
بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب
لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم
كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان
يحسن اليك»^(٤).

فهو عليه السلام قد ايقن ان العدل مرتكز من
مرتكزات الحكم لذا افرد في الحث على
وجوب الالتزام والعمل به تجاه الرعية
واشار إلى قبح الظلم والظالم بقوله: «والله
لان ابنت على حسك السعدان مسهداً، أو
اجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان
لقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩١، ص ٢٠٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٦١.

(٣) نفس المصدر، ص ٦١٧.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٠٤.



المستقبل بكل منطلق بغض النظر عن الشدائد التي تمر عليه في حياته نتيجة الفقر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا)^(٢)

يفهم من كلامه عليه السلام أنه يجب على الناس الذين أنعم الله عليهم من وافر نعمته أن ينظروا إلى الطبقات الضعيفة في المجتمع من المساكين والمحتاجين والبؤساء الذين يعانون من الفقر الشديد وأصحاب العاهات والسائلين والمتعرض لأخذ العطاء من دون سؤال وطلب، ومساعدتهم والاهتمام بهم، لأن مثل هؤلاء الناس لا حيلة لهم على صراع الدنيا والعمل لسد رمق جوعهم.

وقد ذكر الكتاب الكريم اصناف الفقراء، عبر وصفه لعناوين المستحقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ

العباد وغاصبا لشيء من الحطام، وكيف اظلم احدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الشرى حلولها»^(١)

فالإمام عليه السلام اراد من خلال وصاياه هذه وتأكيد على القيم والمثل الأخلاقية ان يهذب ويقوم السلوك الانساني ويرتقي به نحو الفضيلة والابتعاد عن الرذائل والعفو عند المقدرة وكظم الغيظ، فهي تعاليم ارشادية تدعو إلى خير الفرد وصلاحه حيث كان جل اهتمامه عليه السلام هو ان يثقف الناس بما يرفع من مستواهم ويفتح عقولهم ويربيهم على اساس الالتزام بالقيم الإسلامية السامية ويربيهم على التقوى واصلاح الذات والابتعاد عن كل ما من شأنه ان يشوب النفس الإنسانية ويعكر صفوها.

٧. الاهتمام بالفقراء والمحتاجين:

فالفقر ومرارته من أشد المواقف التي يمر بها الانسان، لما فيه من تأثير كبير عليه، فالفقر ليس عاراً أبداً كما أنه ليس قدراً محتوماً على الانسان، ولذا ينبغي على المرء أن يكون متفائلاً في حياته، يتطلع إلى

(١) نفس المصدر، ص ٥٤٨-٥٤٩.

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده، ج ٣ ص ٤٧٠.



الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم^(١).

فالله سبحانه وتعالى يتلى بعض الناس بالفقر، ليختبرهم هل يكفروا أم يصبروا على فقرهم، فعن رسول الله (صلى الله عليه واله) : (خلقتك وابتليتك بنار نمرود فلو ابتليتك بالفقر ورفعت عنك الصبر فما تصنع؟ قال إبراهيم: يا رب، الفقر إلي أشد من نار نمرود، قال الله تعالى: فبعزتي وجلالي، ما خلقت في السماء والأرض أشد من الفقر، قال: يا رب من أطعم جائعاً فما جزاؤه؟ قال: جزاؤه الغفران لأن كانت ذنوبه تملأ ما بين السماء والأرض، ولولا رحمة ربي على فقراء أمتي كاد الفقر يكون كفراً^(٢).

وكانت رعاية الفقراء والبر بهم والإحسان إليهم جزء من رسالة الإسلام التي أكد عليها أمير المؤمنين عليه السلام الفقر وإزالة شبحه، ونشر السعة والرخاء بين المسلمين.

ولشدة الفقر دعا زين العابدين وسيد الساجدين سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين أن يصرفه الله عنه ولا يتليه به حيث قال: (اللهم لا طاقة لي بالجهد، ولا صبر لي على البلاء، ولا قوة لي على الفقر، فلا تخطر عليّ رزقي، ولا

فقد شاركهم عليه السلام في جشوبة العيش وخشونة الملابس، فهو أبو الفقراء واليتامى، فاختيار الانسان للعيش في حالة من الفقر بمحض ارادته مواساة للفقراء، وكان ذلك من صفات الانبياء والاولياء عليهم السلام، وهو فقر نابع عن إنفاق الانسان ما

(١) [سورة التوبة، الآية ٦٠]

(٢) جامع الأخبار، الشيخ محمد بن محمد السبزواري، ج ٤، ص ٣٠٠.

(٣) منهاج البراعة، الخوئي، ص ٣٣٩.



بحوزته على المعوزين والمحتاجين، وعدم الاهتمام بماديات الحياة الدنيوية.

فعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: (والله إن علياً عليه السلام كان ليأكل أكل العبد، ويجلس

جلسة العبد، وإن كان ليشتري القميصين السنبلايين فيخير غلامه خيرهما، ثم

يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ما

وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا

حمراء، وإن كان ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز

الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضي إلا أخذ بأشدهما

على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده وتربت فيه يدهاء وعرق فيه وجهه،

وما أطاق عمله أحد من الناس). (١)

كما يعد الفقر بالرغم من شدته كرامة من كرائم الله على عباده، عن النبي صلى الله عليه وآله: (ما الفقر؟ فقال: خزانة من خزائن الله

قيل - ثانياً - يا رسول الله ما الفقر؟ فقال: كرامة من الله، قيل: ثالثاً: ما الفقر؟ فقال عليه السلام: شيء لا يعطيه الله إلا نبياً مرسلأ أو مؤمناً كريماً على الله تعالى). (٢)

وعن الامام الصادق عليه السلام (أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه مرض، فعاده

إخوانه. فقالوا: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: بشر. قالوا: ما هذا كلام

مثلك! فقال: إن الله يقول: (ونبلوكم بالبشر والخير فتنة) فالخير الصحة والغنى،

والشر المرض والفقر). (٣)

وهذا هو مفهوم شدة الفقر ومرارته الذي تحدث عنه أمير المؤمنين عليه السلام وهو جزء من رسالة أكد عليها أمير المؤمنين عليه السلام

بمحو الفقر وإزالة شبحه، ونشر السعة والرخاء بين المسلمين). (٤)

استمرت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام من الفترة ٣٥ إلى ٤٠ للهجرة، وتكون

فترة حكمه قد بلغت أربع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦، ص ٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٤٧.

(٣) مستدرك سفينة البحار، العلامة آية الله الشيخ علي النازي، ج ٥، ص ٣٨٥.

(٤) علي فاضل الخزايعي / مؤسسة علوم نهج البلاغة / ١٣-٨-٢٠١٩



وقد كانت سياسة الإمام الإدارية والاقتصادية تنطلق من ثوابت لا يطيقها سواه، وأهم هذه الثوابت العدل.

فقد ورد عنه عليه السلام: «اعدل تحكم»^(١)، وقوله: «العدل أفضل السياستين»^(٢) فيكون العدل هو المحور الرئيس الذي تدور حول سياسته عليه السلام وحركته الإصلاحية عموماً.

وإليك بعض النماذج من التراث الإداري في سيرة الإمام علي عليه السلام: أولاً: السياسة الإدارية

تميّزت سياسته الإدارية بعدم المداينة مع الباطل وعدم القبول بأنصاف الحلول، وقد تجلّى في عزل عمّال بيت المال، واسترداد ما أخذ ووزع من أموال بيت المال.

١ - عزل الولاة الفاسدين

يقول أرباب السير: أنّه لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بلغه أنّ معاوية قد توقّف

عن إظهار البيعة له، وقال: إن أقرني على الشام، وأعمالي التي ولّانيها عثمان بايعته، فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية من قد عرفت، وقد ولّاه الشام من قد كان قبلك، فوله أنت كما تتسق عرى الأمور، ثم اعزله إن بدا لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه»، قال: لا. قال: «لا يسألني الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَداً﴾»^(٣) لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحقّ، فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله»^(٤)

لقد كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يُبقي معاوية، وله في ذلك عذر واضح، لأن الظروف السياسيّة المحيطة به لا تسمح

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٤٢٥، عن غرر الحكم.

(٢) م.ن، ص ٢٤٢٤.

(٣) [سورة الكهف، الآية ٥١]

(٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ح ٤، ص ١١٧ نقلاً من أمالي الشيخ الطوسي، ص ٨٧، وبشارة المصطفى، ص ٢٦٣ والمناقب لابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٩٥.



له بعزل هذا الوالي العنيد الذي أقامه من قبله من الخلفاء، وبسط له الملك والولاية، وهو يحكم واحدة من أكبر الأقاليم الإسلامية وأغناها، وهي الشام، وقد هيمن عليها وعلى أهلها بشكل يتعذر عليه إزاحته.

ولكن الإمام لا يقبل عليه بأنصاف الحلول وإن حققت له إنجازاً سياسياً مؤقتاً، فإن مجرد الإمضاء على بقاء معاوية ولو لفترة قصيرة بمعنى إعطاء معاوية مشروعية البقاء، والسكوت عن الفساد الإداري الذي كرّسه معاوية في السابق. وما يدري الإمام علي عليه السلام، إذا أمضى هذه السياسة الأموية الفاسدة مؤقتاً أن يطول به العهد لينقضه بعد ذلك، ولعله لا يطول به الأمر لهذه المرحلة الثانية، أو لا يقوى على ذلك.

فيكون قد أمضاه باختياره، ولم يتمكن بعد ذلك من نقضه، وهو ما لا يريده أبو الحسن عليه السلام أبداً وبأي ثمن. وهذا هو معنى كلامه للمغيرة بن شعبة الذي نصحه بإبقاء معاوية بصورة مؤقتة.

٢- استرداد أموال بيت المال

وكان الإنجاز الآخر هو استرداد أموال بيت المال، وبحسب قوله عليه السلام عندما خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة أن كل مال مردود إلى بيت المال، ومما قاله عليه السلام: «... فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لردّته إلى (بيت المال)، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق»^(١)

لقد استرجع الإمام عليه السلام أموال بيت المال، وهو يعلم أنه عليه السلام بهذا الإجراء الصارم، سوف يجرّ على نفسه الكثير من الأزمات في حكومته.

٣- الالتزام بالقانون

والجانب الآخر في سياسته الإدارية هو الالتزام بالقانون تجاه المتخلفين من القانون مهما كان المذنب يتمتع بالحصانة العشائرية أو المالية.

تأمل في هذه الصورة الرائعة التي يرسمها لنا الإمام الباقر عليه السلام، عن سيرة الإمام علي عليه السلام في تطبيق قوانين الدولة.

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٢١، عن شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦٩.



فقد ورد عنه عليه السلام أنه أخذ رجلاً من بني أسد في حدّ، فاجتمع قومه ليكلّموه فيه، وطلبوا إلى الحسن أن يصحبهم، فقال: اتّوه فهو أعلى بكم عينا، فدخلوا عليه وسألوه، فقال: لا تسألوني شيئاً أملك إلا أعطيتكم فخرجوا يرون أتهم قد أنجحوا، فسألهم الحسن، فقالوا: أتينا خير مأتى. وحكوا له قوله، فقال: «ما كنتم فاعلين إذا جلد صاحبكم فاصنعوه، فأخرجه علي فحدّه»، ثم قال: «هذا والله لست أملكه»^(١)

بل إنّه عليه السلام أقام الحدّ على شاعره عندما شرب الخمر، وهو يعلم أنّ عاقبة ذلك غضب الشاعر والتحاقه بمعسكر معاوية، وانحراف أقاربه الذين كانوا من المقرّبين عند الإمام عليه السلام الذين دخلوا على الإمام وهم في فورة الغضب والاعتراض، فكان جوابه عليه السلام لهم، وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله

فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢) (٣)
٤ - عزل من ثبتت خيانتة من العَمال ومحاسبته

وهذه صورة أخرى للحملة العلوية الشاملة لتطهير الدولة من العناصر، وهذه سودة بنت عمارة الهمدانية، تصف لنا صرامة الإمام عليه السلام مع عمّاله الذين ثبتت خيانتهم حيث تقول وهي تخاطب معاوية لتقارن بين ظلمه وجوره، وعدل أمير المؤمنين عليه السلام: لقد جئت في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا، فجار علينا فصادفته قائماً يريد الصلاة، فلما رأيته انفتل، ثم أقبل عليّ بوجه طلق، ورحمة ورفق، وقال: لك حاجة؟ فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر فبكى، ثم قال: اللهم أنت شاهد أنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك. ثم أخرج من جيبه قطعة جلد،

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٣٠، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٤٧، ودعائم الإسلام، ج ٢، ص ٤٤٣، وبحار الأنوار، ج ٤١، ص ٩.

(٢) [سورة المائدة، الآية ٨]

(٣) روى هذه الرواية صاحب الغارات، ج ٢، ص ٥٣٣ وابن شهر آشوب في المناقب، ج ٢، ص ١٤٧، والمجلسي في البحار، ج ٤١، ص ٩.



وكتب فيها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١) إذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما في يدك من عملك حتى يُقدم عليك من يقبضه. والسلام.

ثم دفع إليّ الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً.^(٢)

إنّ الملاحقة للمفسدين وعدم التهاون معهم تؤدّي بلا شك إلى الحياة الطيبة التي يُطلّلها العدل والقانون، وهذا الرفض العلوي للشفعاء الذي يحاولون التوسّط للمذنبين يؤسّس للثقافة الإدارية التي يريدها الإسلام، ولسيادة القانون وخضوع الجميع له.

فليس من العدل أن تُطبّق مبادئ القانون بحذافيرها على الفقراء ويُستثنى منها الأغنياء وأصحاب النفوذ.

٥- نهي العمّال عن أخذ الهدية

روي أنّ علياً عليه السلام استعمل رجلاً من بني أسد يقال له: ضبيعة بن زهير، فلما

٦- اختيار العيون لمراقبة العمّال

ورد في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى كعب بن مالك: «أما بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمرّ بأرض كورة السواد، فتسأل عن عمّالي، وتنظر في سيرتهم فيما

(١) [سورة الأعراف، الآية ٨٥]

(٢) الشيخ بهاء الدين الأربلي، وكشف الغمّة، ج ١، ص ١٧٣.



بين دجلة والعذيب»^(١)

هكذا كان يتابع عمّاله وولاته حتى يشعروا بعيونه تراقبهم في المواقع التي يديرونها.

فإنّ الرقابة المستمرة بلا شك تمنع من التحلّل والفساد الإداري والمالي.

ثانياً: السياسة الاقتصادية

١ - مراقبة السوق

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرة من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومع الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تُسمّى السبيبة، فيقف على أهل كل سوق، فينادي: يا معشر التجار، اتقوا الله عز وجل.

فإذا سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم، وارعوا إليه بقلوبهم، وسمعوا بأذانهم، فيقول عليه السلام: «قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين،

وجانبوا الكذب، وتجاؤا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين»، فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة، ثم يرجع فيقعد للناس.^(٢)

لا بدّ من وجود رقابة اقتصادية صارمة للسوق في تفاصيل البيع والشراء، والمعاملات التجارية الأخرى، وفي خلاف ذلك فإنّ السوق سوف يتحوّل إلى مركز للفساد الاقتصادي.

ويصف لنا الإمام الحسين عليه السلام حركة الإمام علي عليه السلام في أسواق الكوفة بشكل تفصيلي.

فقد ورد عنه عليه السلام: أنّ (علياً عليه السلام) ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بالكوفة، فأتى سوقاً سوقاً، فأتى طاق اللحامين، فقال بأعلى صوته: «يا معشر القصابين، لا تنزعوا، ولا تعجلوا الأنفس حتى تزهق، وإياكم والنفخ في اللحم للبيع، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٥٥ نقلاً عن أخبار القضاة، ج ١، ص ٥٩.

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٣٨ - ١٣٩ نقلاً عن تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٤.



ذلك». ثم أتى التمارين فقال: «أظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيده». (٢) أصبغ». فيقول له الإمام عليه السلام: «ما نصحتني يا

ثم أتى السّماكين فقال: «لا تتبعوا إلّا طيباً، وإياكم وما طفا».

ثم أتى الكُناسة فإذا فيها أنواع التجارة، من نحاس، ومن مائع، ومن قماط، ومن بائع ابر، ومن صيرفي، ومن حناط، ومن بزّاز، فنادى بأعلى صوته: «إنّ أسواقكم هذه يحضرها الأيمان، فشوبوا أيمانكم بالصدقة، وكفّوا عن الحلف، فإنّ الله عز وجل لا يُقدّس من حلف باسمه كاذباً»^(١).

هكذا، ينزل الإمام عليه السلام بنفسه إلى السوق ويبيده الدّرة لينذر المطفّفين والذين يغشّون في تجارتهم. ويياشر هذا العمل الشاق بنفسه، ولا يكله إلى غيره ليطمئن بنفسه إلى سلامة حركة التجارة في السوق.

قال الأصبغ: قلت له يوماً أنا أكفيك هذا يا أمير المؤمنين، واجلس في بيتك!

يصف أحد الرجال الذين استعملهم الإمام علي عليه السلام لأخذ الخراج، فيقول استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على بزر جسابور، فقال: «لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تبيعن لهم رزقاً، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقم رجلاً قائماً في طلب درهم».

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إذا أرجع

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٧٦ نقلاً عن الكافي، ج ٥، ص ١٥١، وتهذيب الأحكام، ج ٦ - ٧، ص ١٧، وأمثالي المفيد، ص ١٩٧.

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٧٦ - ١٧٧ نقلاً عن الجعفریات ٢٣٨، ودعائم الإسلام، ج ٢، ص ٥٣٨.



المؤمنين عليه السلام: «أتأمروني - ويحكم - أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام!! لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمر، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم»!!.

وهذه دروس قيادية يرسلها أمير المؤمنين عليه السلام عبر التاريخ إلى كل من يتصدى لموقع قيادة الجماعة المؤمنة وإدارتها، ليتعلم هذه القوة والصرامة في الحق والرحمة والتسامح مع الطبقة المستضعفة من الناس.

وسبحان الذي جمع في علي عليه السلام هذه الأضداد من الصفات: اللين، والرحمة، والرقّة، والعاطفة، من جانب، والصرامة، والقوة، والحسم، والحزم، من جانب آخر... كل في موقعه.

ثالثاً: السياسة الأمنية

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «شرّ البلاد بلد لا أمن فيه، ولا خصب».

(٣)

إليك كما ذهبت من عندك! قال: «وإن رجعت كما ذهبت، ويحك إننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو» - يعني الفضل. (١)

٣- عدم التأخير في توزيع أموال العامة

ويروي أحدهم أنه قال: شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام أتى بهال عند المساء، فقال: «أقسموا هذا المال»، فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين! فأخّره إلى غدٍ. فقال لهم: «تقبلون - أي تكفلون - لي أن أعيش إلى غدٍ؟» قالوا: ماذا بأيدينا!

قال: «فلا تؤخّروه حتى تقسموه»، فأتي بشمع، فأقسموا ذلك المال من تحت ليلتهم (٢).

٤- التوزيع بالسوية

في الكافي عن أبي مخنف: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف، وفضلتهم علينا، حتى إذا استوثقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية، والعدل في الرعية!!، فقال أمير

(١) م. ن، ج ٤، ص ١٧٧.

(٢) م. ن، ص ١٨٣ - ١٨٤ نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي، ج ٩، ص ٣٤٥.

(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٤٠٤، وتنبيه الخواطر، للشيخ ورام، ج ٢، ص



بعضهم: نرى كذا، وقال بعضهم: نرى كذا. فلمّا رأى ذلك الاختلاف أمرهم بالغدو إلى القوم، فغاداهم إلى القتال قتال صفين فانهزم أهل الشام.^(٢)

٢- إجلاء المتأمرين أو حبسهم
روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استخلف حين سار إلى النهروان رجلاً من النخ يقال له: هاني بن هوذة، فكتب إلى علي عليه السلام: أنّ غيياً وباهلة فتنوا، فدعوا الله عليك أن يظفر بك عدوك، قال: فكتب إليه علي عليه السلام: «أجلهم (من مادة الإجلاء) من الكوفة ولا تدع منهم أحدا»^(٣).

رابعاً: السياسة العسكريّة

خاض أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكومته ثلاث حروب رئيسة هي الجمل، وصفين والنهروان. وقد حقق انتصارات عظيمة، ولولا تخاذل جيشه في صفين لتمكّن من اكتساح جيش الشام والقضاء على نفوذ معاوية.

هذه الانتصارات لم تأت من فراغ بل من الإدارة العسكريّة للجيش وللعمليات

وفي هذا الجانب من قيادته وإدارته عليه السلام نشير إلى النقاط التالية: الإجراءات الأمنيّة التي اتخذها الإمام عليه السلام في دولته.

١- الاستخبارات الأمنيّة

في كتابه عليه السلام إلى عمّاله يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من العمّال: أمّا بعد فإنّ رجالاً لنا عندهم بيعة خرجوا هرباً فنظّتهم وجّهوا نحو بلاد البصرة، فاسأل عنهم أهل بلادك، واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك، ثم اكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام».^(١)

وقد كان الإمام علي عليه السلام حريصاً مهتماً بالاستخبارات بمعناها الحديث في حروبه، فقد روي أنّه في وقعة صفين بعث عليه السلام خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادة، فبعث معاوية الضحّاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها، وجاءت عيون علي فأخبرته بما قد كان، فقال علي لأصحابه: «فما ترون فيما ها هنا»، فقال

(١) والمناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) الأمدي، غرر الحكم، حكمة ٥، ص ٦٧٤.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٤٠٧.



القتالية، ومن خلال التنظيم الدقيق للقوات المسلحة. يقول ابن عباس: عُمَ النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لو رأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها، كأن عينيه سراج سليل، وهو يقف على شذمة يحضهم...^(١)

وقد تجلّت عبقرية الإمام عليه السلام الإدارية لقوّاته المسلحة بعدّة أمور:

١ - تنظيم الجيش

روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إذا زحف للقتال جعل ميمنة وميسرة وقلبا يكون هو فيه، ويجعل لها روابط، ويقدم عليها مقدمين، ويأمرهم بخفض الأصوات، والدعاء، واجتماع القلوب، وشهر السيوف، وإظهار العدة، ولزوم كل قوم مكانهم، ورجوع كل من حمل إلى مصافه بعد الحملة.

وفي وصيته عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو: «فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم

فليكن معسكركم في قُبُل^(٢) الإشراف، أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كما يكون لكم درءاً، ودونكم مرداً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين».

«واجعلوا لكم رقباء في صياحي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلا يأتاكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا أن مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم».

«وإياكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلّا غراراً أو مضمضة».^(٣) هذه الوصية تُذكرنا بقيادة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله جيشه في معركة أحد، وكيف أنّه وضع العيون على الجبل، وكانت تقود المسلمين إلى النصر الأكيد لولا مخالفة الرماة تعاليمه صلّى الله عليه وآله.

٢ - تأسيس القوّات الخاصّة

وقد قام أمير المؤمنين عليه السلام بتأسيس شرطة الخميس وكان قوامها ستة آلاف

(١) موسوعة علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٢٦٩ نقلاً عن وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص ٣٦٠.

(٢) غرر الحكم، ١٠٣٨١.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ عن كتاب الغارات ج ١، ص ١٨.



رجل من أصحابه المخلصين^(١) وقد ضُمَّت في قياداتها أسماء لامعة مثل عمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعمر بن الحمق الخزاعي، وأصبغ بن نباتة، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر، وقنبر مولاه وغيرهم من أصفياء أصحابه.

ويبدو أن هذه القوة الخاصة ادخرها الإمام عليه السلام للتدخل في المهمات الخاصة التي تتطلب مواصفات خاصة في شخصية المقاتل.

ويصف الأصبغ بن نباتة هذه القوة لرجل سأل: ما كان منزلة الإمام علي عليه السلام فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول! إلا أن سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومى إليه ضربناه بها.

وكان يقول: «تشرطوا، فوالله ما اشتراطكم لذهب ولا لفضة، وما اشتراطكم إلا للموت، إن قوماً ما من قبلكم من (بنى إسرائيل) تشارطوا

بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبي قومه، أو نبي قريته، أو نبي نفسه، وأنكم لبمزلتهم، غير أنكم لستم بأنبياء». ^(٢) ومن هذا الوصف يتضح أن السمة الأساس التي تميّزت بها هذه القوة الضاربة هي الطاعة الكاملة لأوامر الإمام عليه السلام. والخضوع الكامل لإرادته عليه السلام خضوع الذي لا يناقش ولا يحتج ولا يعترض، فإنّ الأسماء التي ضمّها كيان شرطة الخميس بلغت في مستوى الإخلاص والانقياد لأوامر الإمام عليه السلام ما جعل أصحابها مؤهلة تأهيلاً تاماً لهذه المهمة الخاصة.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: «أبشر يا بن يحيى، فإنّك وأبوك من شرطة الخميس حقاً، لقد أخبرني رسول الله ﷺ باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سبّاكم شرطة الخميس على لسان نبيه ﷺ». وذكر أن شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل أو خمسة آلاف. ^(٣)

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) م.ن، ج ٤٢، ص ٤٦٠.

(٣) قبل الأشراف، سفوح المرتفعات.



٣- الحرب خدعة

عن عدي بن حاتم: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوم التقى هو ومعاوية بصقّين، ورفع بها صوته ليسمع أصحابه: «والله لأقتلن معاوية وصاحبه»، ثمَّ يقول في آخر قوله: «إن شاء الله» - يخفض بها صوته -.

وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام إنَّك حلفت على ما فعلت، ثمَّ استثنيت، فما أردت بذلك؟! فقال لي: «إنَّ الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردت أن أُحرّض أصحابي عليهم كي لا يفشلوا، وكي يطمعوا فيهم، إن شاء الله». ^(١)

٤- المسالة من دون وهن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وجدتُ المسالة ما لم يكن وهن في الإسلام أنجع من القتال». ^(٢)
وعنه عليه السلام: «من أفضل النصيح الإشارة بالصلح» ^(٣)

وفي عهده إلى مالك الأشتر: «ولا تدفعنَّ صلحاً دعاك إليه عدوك، والله فيه رضى، فإنَّ في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه، فإنَّ العدو ربما قارب ليتغفّل، فخذ بالحزم، وآتهم في ذلك حسن الظن» ^(٤).

(١) ابن شعبة، تحف العقول، ص ١٩٢.

(٢) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٢.

(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ٢٩٤ نقلاً عن رجال الكشي، ج ١، ص ٢٤.



خلاصة واستنتاجات

تطبيق القوانين بشكل عادل على الجميع. لم يكن الحكم عنده مجرد سلطة، بل أمانة ومسؤولية أمام الله والناس. وعلى الرغم من التحديات السياسيّة الكبيرة التي واجهها، ظل الإمام علي ثابتاً على مبادئه، مقدماً أنموذجاً رفيعاً للحاكم العادل الذي يسعى إلى الإصلاح والوفاء بحقوق الرعية.

دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت أنموذجاً فريداً في تاريخ الحكم الإسلامي، إذ تجلّت فيها أسمى قيم العدل والمساواة والزهد في السلطة. كان الإمام علي حاكماً متواضعاً، يحرص على رعاية مصالح الناس من دون تمييز، ويعمل على نشر العدالة الاجتماعيّة وتقويم المظالم. تميزت دولته بالتركيز في حقوق الإنسان، وحماية أموال العامة، والحرص على





أركان البيعة
رضى الله برسالة النبي وولاية علي
(صلوات الله عليهما)

السيد الدكتور ضياء الحيدري المشعشع





ملخص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم بيعة الغدير في الإسلام وما هي أركان هذه البيعة، وركز عندما تناول المفردات الخاصة في البيعة وأركانها في النصوص القرآنية، فضلاً عما جاء في السيرة النبوية العطرة، ويسعى البحث إلى استخراج واستظهار هذه النصوص للوقوف على حقيقة البيعة وأركانها وأبعادها وما تضمنته من أدلة وبراهين، إذ إن موضوع بيعة الغدير من المواضيع التي كثر في الكلام وتعددت فيه الآراء، فضلاً عن ظهور العديد من الاسئلة والاستفسارات، فكان لا بد من التصدي لذلك ببحث يضمن الإجابة الصحيحة المقنعة المدعومة بالأدلة القاطعة، فكان الهدف من البحث بيان وتوضيح أركان بيعة الغدير واستجلاء المعاني المباركة لهذه البيعة وما تضمنته من مبادئ أساسية، لذلك تم وضع منهج ليسيير عليه البحث وفق خطة بحثية معدة مسبقاً بموجب الأدلة والمعطيات

الأولية للبحث، فقد قسم البحث على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، المبحث الاول: تناولنا فيه الركن الاول: رضى الله تعالى برسالة النبي ﷺ، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الركن الثاني: رضى الله تعالى بولاية علي عليه السلام، ثم جاءت الخاتمة التي لخصت أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي تم درج اهم النتائج؛ ولعل من أهمها:

١- أثبت البحث أن أركان وقوام وقواعد بيعة الغدير هي الإيمان المطلق برسالة النبي ﷺ وولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام، وبدونها لا تدوم البيعة ولا تصمد؛ لأنها من المسائل المهمة في عالم الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

٢- بين البحث أن الإشارة إلى أركان البيعة من قبل النبي ﷺ هي إشارة صحيحة صريحة لا تقبل الشك ولا التأويل ولا التبديل، حتى لا تكون للناس حجة بعد ذلك.





preliminary data of the research, the research was divided into: an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion. In the first chapter, we dealt with the first pillar: God Almighty's satisfaction with the message of the Prophet, may God bless him and his family. As for the second chapter, we dealt with the second pillar: God Almighty's satisfaction with the guardianship of Ali, peace be upon him. Then came the conclusion, in which the most important results we reached were listed, and among these results:

1. The research proves that the pillars, foundations, and foundations of the Pledge of Allegiance

at Ghadir are absolute faith in the message of the Prophet (peace and blessings be upon him and his family) and the guardianship of Ali, Commander of the Faithful (peace be upon him) . Without this, the pledge of allegiance cannot endure or endure, as it is a crucial issue in the world of faith in God Almighty and His Oneness.

2. The research demonstrates that the Prophet's (peace and blessings be upon him and his family) reference to the pillars of the pledge of allegiance is a clear and correct reference that is not open to doubt, interpretation, or alteration, so that people will have no argument thereafter.



Research Summary

This research examines the concept of the Pledge of Allegiance (Bay'at al-Ghadir) in Islam and its pillars. When discussing the specific vocabulary of the pledge and its pillars, it focuses on Quranic texts, in addition to what was stated in the fragrant biography of the Prophet. The research seeks to extract and demonstrate these texts to understand the truth of the pledge of allegiance, its pillars, its dimensions, and the evidence and proofs it contains. The topic of the Pledge of Allegiance (Bay'at al-Ghadir) is one of the most fre-

quently discussed topics. In speech and opinions varied, in addition to the emergence of many questions and inquiries, it was necessary to address this with research that guarantees the correct and convincing answer supported by conclusive evidence. The aim of the research was to explain and clarify the pillars of the Pledge of Ghadir and to clarify the blessed meanings of this pledge and the basic principles it included. Therefore, a method was developed for the research to follow according to a prepared research plan. In advance, based on the evidence and

مقدمة

الحمد لله العلي العالي القدير المتعالي،
والصلاة والسلام على محمد نبيه البشير
النذير والسراج المنير، وعلى وصي نبيه
وخليفته علي أمير المؤمنين، صاحب بيعة
الغدير وعلى ذريتهما الأئمة المعصومين
صلوات الله عليهم إلى يوم الدين، وبعد:-
فلقد كان لبيعة الغدير آثار وأبعاد
متعددة منذ أن صدح بها النبي الأكرم ﷺ
وإلى يومنا هذا، وأخذت هذه القضية
تعيش في صلب عقيدة المسلمين على وجه
العموم، وعند الشيعة الإمامية على وجه
الخصوص؛ لأنها عقيدة مرتبطة بجانب
مهم وهو: في من يخلف النبي من بعده،
واختلف المسلمون في ذلك ايما اختلاف،
إذ بادر بعض القوم عند وفاة النبي إلى
نقض البيعة التي لا يمكن إنكارها لا
ابتداءً ولا بقاءً لتواتر الحادثة، ولم يقف
الأمر عند حد معين، فقد سرى من نقض
وإنكار بيعة الغدير، إلى نقض وإنكار
غيرها من الحوادث والأشياء التي هي
من صلب عقيدة المسلمين؛ فكيف يمكن

للمسلم أن يؤمن ببعض وينكر بعض ما
أمر الله تعالى به، فإن أول الفرائض التي
فرضها الله تعالى على العباد هو توحيده
ومعرفته وهو أول الدين، وهو الإيمان
والإذعان والتسليم لله تعالى، ثم الإيمان
والإقرار الوجداني ببعثة الرسل، والإيمان
بالمعاد والكتب السماوية، والإيمان
بأوصياء الرسل وهم الأئمة المستخلفين
من بعدهم كما جاء في آية المودة، إذ قال
تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ
فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)؛ ويوم كانت بيعة الغدير
عندما استجاب الرسول ﷺ لنداء ربه
حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وفي
الآية إشارة إلى أن هناك قوماً كانوا يعملون
جهدهم لإقصاء أمير المؤمنين عليه السلام عن
حقه ويعارضون فكرة الخلافة، فكانت
بيعة الغدير دليلاً قاطعاً وحجة دامغة
على أصحاب الادّعاءات والأباطيل،
فضلاً عن ذلك فإن هناك مجموعة
من النصوص والحوادث والأخبار

(١) الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) المائدة، الآية: ٦٧.



الصريحة والصحيحة في إمامة علي عليه السلام، ووصايته لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه هو الأحق بالوصاية والخلافة؛ فكان لهذه البيعة أركانٌ بيّنها لنا الرسول الأكرم وهي: الرضى والتسليم والتصديق برسالة النبي صلى الله عليه وآله، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فكان هذا الموضوع هو محل نظر وتأمل وبحث للوصول إلى حقيقة أركان البيعة وعلاقتها بعقيدة المسلمين وما لهذه العقيدة والمسئلة من أهمية بالغة في توحيد كلمة المسلمين وإيضاح بعض الالتباس وإزالة بعض الغموض عن هذه الحقيقة.

تمهيد

أركان الشيء هي قوامه وقواعده وأساسه، فبغير الأركان لا تقوم الأشياء ولا تصمد ولا تدوم، ولما كانت بيعة الغدير من المسائل المهمة والخطيرة في عالم الإيمان والعقيدة عند المسلمين، كان لا بدّ من معرفة ماهية هذه الأركان، إذ بدونها لا يمكن الوصول إلى كمال الدين وتمام النعمة الإلهية التي هي لطف من الله تعالى لعبادة المؤمنين الصالحين المتّقين،

هذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيما روي عن أبان بن أبي عياش عن سليم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس بغدير خم، فأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم، وكان ذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إليه وأخذ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعها حتى نظرت إلى بياض إبط رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)، قال أبو سعيد: فلم ينزل عن المنبر حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(١)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبولاية علي من بعدي^(٢)، وبهذا يكون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد قالها ونطقها بصورة صريحة، لا تحتل الشك ولا التأويل أنّ أركان البيعة: رضى الرب برسالة النبي، وبولاية علي صلوات الله

(١) المائدة، الآية: ٣.

(٢) سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٥.



لهم الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج الناس إليه كملاً، فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^{(١)(٢)}، ثم إن المتأمل جيداً يجد أن آية الإكمال نزلت مرتين لحكمة يعلمها الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، لعلم الله تعالى بعباده ونواياهم وما تخفي الصدور، فإن الأخبار والروايات تذكر أن سورة المائدة قد نزلت يوم عرفة دفعة واحدة، فقرأها النبي ﷺ على الناس، وسمعوا آية الإكمال، وحاول أن يبلغ أمر الإمامة في عرفة، فمنعته قريش وأعوانها، ثم بدأت الأحداث تتوالى، وتنزل الآيات المرتبطة بكل حدث على حدة، فنزلت بعد ذلك آية: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣)، وجاءته بالعصمة من ربه، فبادر إلى إعلان إمامة علي عليه السلام يوم الغدير، ثم تلا عليهم، أو نزلت عليه آية الإكمال بعد نصبه ﷺ علياً عليه السلام في ذلك اليوم الأغر، وقبل أن يشرع الناس

عليهما؛ وعلى الرغم ذلك فإن بعضهم يحاول التشكيك والطعن بأصل البيعة أو في بعض جزئياتها وأحداثها، وبعضهم الآخر يحاول خديعة المسلمين وتأويل حادثة الغدير وتحويلها إلى غير وجهتها الصحيحة التي وجهها الرسول ﷺ بأمر الله جل وعلا، فقد روي عن أبي العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني أنه قال: حدثنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن علي الهاروني، قال: حدثنا أبو حامد عمران بن موسى بن إبراهيم، عن الحسن بن القاسم الرقام، قال: حدثني القاسم بن مسلم، عن أخيه عبد العزيز بن مسلم، قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكرنا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوضان الناس في ذلك فتبسم عليه السلام، ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم: إن الله عز وجل لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل

(١) الانعام، الآية: ٣٨.

(٢) الصدوق، معاني الاخبار، ص ٩٦.

(٣) المائدة، الآية: ٦٧.



بالتفريق، فيكون الحديثان في نزول هذه الآية صحيحين معاً، لكن نزولها يوم عرفة كان في ضمن السورة، التي نزلت دفعة واحدة، ونزولها يوم الغدير كان بصورة منفردة عن بقية آيات السورة، بل ومنفردة عن سائر فقرات الآية التي هي في ضمنها كجملة إعتراضية^(١)، وبهذا حتى لا تكون للناس حجة بعد هذا النزول والتأكيد مرتين والإشارة الصريحة إلى أركان البيعة، أن الغاية من البيعة وتنصيب الإمام أو اختياره لمنصب الإمامة العامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه واله هو القيام بوظائف القيادة والهداية معنأً، وهذه القيادة والهداية لا تقوم إلا بالإيمان المطلق برسالة السماء وبرسول الله وولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليهم وهذه هي أركان البيعة، ثم أن بيان الرسول ﷺ للناس وللأمة شريعة الله تعالى وتوضيح أمور دينهم وما يحتاجون إليه في أمور دنياهم قد استلزم أن يبين لهم من الخليفة والإمام من بعده ليقوم مقامه، لأن ذلك من تمام الدين وإكمال النعمة،

لأجل ذلك أعلن صلوات الله عليه مراراً وتكراراً أن علياً هو الإمام والخليفة من بعده، وأن أمر البيعة وتنصيب الإمام ﷺ هو الله تعالى وحده وذلك؛ لأن تنصيبه لطف من الله جل وعلا في حق عباده، لأن الإمام يقربهم من الطاعة بإرشادهم إليها وحثهم عليها، ويبعدهم عن المعصية بنهيهم عنها وتخويفهم من عواقبها، ثم انه لو ورد سؤال، هل ان بيعة الغدير بيعة تنصيب للإمام أو ترشيح؟ فالجواب كما هو واضح جلي لا يحتمل التأويل: إن البيعة هي نصب للخلافة بأمر من الله سبحانه وتعالى، إذ إنه ﷺ أخبر بولايته ﷺ في مواضع عديدة قبل ذلك الحدث بداعي النصب كما هو مدلول قوله ﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)^(٢) ولم يعلقها باختيار الناس ولو كان ترشيحاً لقال أيها الناس أنتم مخيرون في أمركم من بعدي لا أن يقول من كنت مولاه فهذا علي مولاه، كما قال ذلك باتفاق الفريقين.

(١) العامل، الصحيح من سيرة النبي الاعظم، ج ٣١ / ٣١١.

(٢) الكليني، الكافي، ج ١ / ٢٨٧.



المبحث الاول

رضى الله تعالى برسالة النبي ﷺ

من نعم الله تعالى ولطفه علينا ومنه وفضله أن بعث نبينا محمداً ﷺ إلينا برسالة الإسلام، وجعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وجعل رسالة النبي ﷺ لإقامة الحجة على الناس أجمعين وعلى الذين لا يؤمنون بالله، وتضمنت هذه الرسالة النصح والإرشاد لكافة المسلمين في كل بقاع الأرض، ولم تختص بأمة دون أخرى أو فئة من دون فئة أو منطقة دون منطقة، وقد ثبت بالأدلة القطعية: النقلية والعقلية من كتاب الله الكريم وسنة النبي واهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين، أن من بلغته رسالة النبي ﷺ ولم يؤمن بها، فهو كافر ولا يقبل منه عذر الا ما خرج بالدليل، وذلك لظهور أدلة الرسالة المحمدية ورضى الله تعالى لنا بهذه الرسالة فكانت نعمة من نعم الخالق علينا.

١ - نعمة الاسلام:

قال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾^(١)، وهي نعمة الإسلام، إذ أمتن على عباده بتسام نعمته عليهم بالهداية إلى سبيله، وحثهم على اتباع سنة رسوله ﷺ والائمة من بعده عليهم السلام، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالكتاب والحكمة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد؛ كما قال عز وعلا مبيناً نعمته علينا بقوله: ﴿فولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾^(٢)، وقيل: المراد بهم المسلمون فإن نعمة الإسلام أصل جميع النعم ورأسها، وقيل: الأنبياء، وقيل: أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ، والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل مصدر بمعنى الحالة التي يستلذها الإنسان ككونه ذا مال وبنين مثلاً، ثم أطلقت على نفس الشيء المستلذ من تسميته السبب باسم المسبب ونعم الله سبحانه وإن جعلت عن أن يحيط بها نطاق الإحصاء

(١) المائدة، الآية: ٧.

(٢) النساء، الآية: ٦٩.



كما قال جل شأنه: ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾^{(١)(٢)}، وقيل: في رؤوس النعم انها ثلاثة: أولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة الا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة الا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا تتم العيش الا بها^(٣)، ومن هنا يتبين ان نعمة الاسلام اول النعم واهمها واساسها الذي يبتني عليها باقي النعم، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة إلى تفصيل مواقع نعم الله بقوله: (كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها)^(٤) شبه النعمة أي نعمة الاسلام الحاصلة بالبعثة في انبساطها عليهم بالطاير الباسط لجناحه على فرخه على سبيل الاستعارة بالكناية، وذكر الجناح تخيل والنشر ترشيح، ثم قال: (وأسالت) أي أجرت (لهم جداول نعيمها) والكلام في هذه القرينة مثله في سابقتها، فانه عليه السلام شبه النعمة بالنهر العظيم الذي تسيل

منه الجداول والأنهار الصغار إلى المحال القابلة والمواضع المحتاجة، فأثبت الجداول تخيلاً والإسالة ترشيحاً، ووجه الشبه أن جريان الجداول من النهر سبب لحياة الموات من الأرض وكذلك إفاضة أنواع النعم وشئون الخيرات من نعمة الاسلام التي هي أعظم النعماء في المواد المستعدة سبب لحياة القلوب الميتة بموت الجهل والضلالة مضافة إلى الثمرات الدنيوية^(٥)، وبهذا يتبين ايضاً أن لا نعمة أفضل واوسع واعلى من نعمة دين الاسلام، حيث فيه تزكو الأعمال وتعلو افعال العباد، ومن ابتغى ديناً غيره فلن يقبل منه ولو أنفق ملء الأرض ذهباً، لان ما رزقنا الله تعالى من نعمة الإسلام خير وابقى وادوم، مما رزقنا من الحلال الطيب لان فيه حساب وسؤال وعتاب، وخير من الاموال المحرمة الخبيثة التي فيها عقاب وعذاب، فإن الغالب على

(١) النحل، الآية: ١٨.

(٢) البهائي، مشرق الشمسين، ص ٤٠٨.

(٣) ابن ابي الدنيا، الشكر لله، ص ١٥٣.

(٤) نهج البلاغة، ج ٢ / ١٥٤.

(٥) الهاشمي، منهاج البراعة، ج ١١ / ٤٠١.



الرزق في هذه الدنيا الفانية شبهه وعدم
الوضوح، وذلك لان نعمة دين الإسلام
تشمل سعادة النشأتين إذ هي نعمة كل
النعم، فمن فاز بها فقد أنعم الله عليه
بالانعم المباركة في الدنيا والاخرة.
وعلى الانسان ان يشكر ربه على
هذه النعمة لينال الجزاء الاوفى، قال
تعالى: ﴿وَسِيحْزِي الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، الذين
لم ينقلبوا، وسماهم شاكرين لأنهم شكروا
نعمة الإسلام فيما فعلوا فاستحقوا الجزاء،
وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا
لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾^(٢)، أي اذكروني بالطاعة
أذكركم بالأجر والثواب، واشكروني
على نعمة الإسلام، وبعثة محمد ﷺ
الذي هو منكم وفيكم، ولا تكفروا
بمخالفة الله ورسوله، وقال تعالى: ﴿لئن
شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد﴾^(٣)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما كان الله ليفتح باب الشكر، ويغلق
عنكم باب الإجابة، وقال: أفيضوا في
ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما
وعد المتقين فان وعده أصدق الوعد^(٤)،
فالشكر والثناء بالجميل على الفعل
الجميل الصادر بالاختيار من الله تعالى،
والله سبحانه محمود على كل حال، ويحمد
نفسه في فاتحة بعض السور وخواتمها،
لتعليم العباد كيف يحمّدونه على نعمه
الجليلة التي أنعم بها عليهم، ومن أهمها
نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده
ونبيه محمد ﷺ من الكتاب وهو القرآن
سبب النجاة والفوز للعالم أجمع^(٥)،
وقد رضي الله تعالى بدين الاسلام حيث
قال: ﴿ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(٦)،
فإن الإسلام ذو درجات، واليوم رقيتم
الدرجة القصوى فرضى الله عن المسلمين
بالحال التي وصلوا إليها، والرضى هنا

(١) آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) البقرة، الآية: ١٥٢.

(٣) ابراهيم، الآية: ٧.

(٤) مغنيه، التفسير الكاشف، ج ١/ ٢٣٨.

(٥) الزحيلي، التفسير الوسيط، ج ٢/ ١٤٠٢.

(٦) المائدة، الآية: ٣.



ليس في مقابل السخط بل في مقابل النقص الأثري، كما أن من يريد بناء دار إذا بلغ منتصفها يقول: لم أرض بعد، أي لم يكمل رضاي، وإنما يقول: رضيت الآن، إذا تم بناء الدار^(١)، وليتم نعمته عليكم، فأى نعمة أعظم من أن ينال الإنسان في ظل الإسلام كل الهبات الإلهية والمفاخر والإمكانات الدنيوية، بعد أن كان الناس يعانون في الجاهلية من التشقت والجهل والضلال ويسود بينهم قانون الغاب، وكان الفساد والظلم يعم مجتمعهم آنذاك، وقد تحولوا بفضل الإسلام إلى مجتمع يسوده الاتحاد والتماسك والعلم، ويرفل بالنعم والإمكانات المادية والمعنوية الزاخرة^(٢).

ثم انه يتبين لنا ان نعمة الاسلام جامعة لكل النعم: وذلك قوله تعالى: ﴿واسع عليكم نعمه﴾^(٣) يقرأ بالجمع والإضافة

وبالتوحيد فالحجة لمن جمع أنه أراد بذلك جميع النعم التي ينعم الله بها على عباده ودليله قوله: ﴿شاكرا لأنعمه﴾^(٤) فالهاء هنا كناية عن اسم الله عز وجل والحجة لمن وحد أنه أراد نعمة الإسلام لأنها جامعة لكل النعم وما سواها يصغر في جنبها فالهاء هنا علامة للتأنيث فأما قوله: ﴿ظاهرة وباطنة﴾^(٥) فالظاهرة نعمة الإسلام والباطنة ستر الذنوب^(٦)، وبهذا يكون قد لقن الله تعالى عباده كافه، ووفقهم كيف يشنون عليه ويمجدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم، ونعمة دين الإسلام ونعمة نور الإسلام، هي التي جعلت من الإنسان كائناً حياً يدرك بعقله توحيد الله تعالى، والتي هي غاية خلق الله لعباده.

(١) الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ١/ شرح ص ٦٠٣.

(٢) الشيرازي، الامثل، ج ٣/ ٦٢٩.

(٣) لقمان، الآية: ٢٠.

(٤) النحل، الآية: ١٢١.

(٥) لقمان، الآية: ٢٠.

(٦) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٢٦٠.



٢- رضى الله تعالى بالجنة:

لقد كان من انعم الله تعالى الوافرة والكثيرة على عباده ان تفضل علينا بنعمة الجنة، جزاءً لنا لما التمسنا وعملنا من اعمال صالحة امرنا الله عز وجل بها، فمن أنعم الله عليه بهذه النعمة العظيمة، فقد فاز فوزاً عظيماً، هذه النعمة جاءت بعد نعمة الرضى، وهي نعمة الرضى من قبل الله تعالى لعباده بان عوضهم نعيم الجنة في الحياة الآخرة، حيث قد جعل في قلوبهم علامة دالة على الإيمان بالله تعالى، وشرح صدورهم وهداهم للإيمان والاسلام في الحياة الدنيا فشملمهم بالطاف توفيقه وعوضهم على ذلك بجنتات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، ذلك لان نعمة الهداية نعمة ثمرتها الجنة، ولما كان الكلام عن الجنة تطيب له النفوس، وتشرق به الارواح، فقد قال تعالى: ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فيها﴾^(١)، وهو إشارة إلى نعمة الجنة؛ لان النعمة لا تكون إلا بعد دخول الجنة فصار كأنه قال: رضيت لكم الجنة لأنه لا تكون النعمة تماماً إلا حتى يضع قدميه فيها^(٢).

ثم يأتي دور او مرحلة الخلود في الجنة، والخلود إنما هو بعد دخول الجنة، وبعد دخول الجنة فلم يبق إلا دار النعيم؛ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدار﴾^(٣)، والمعنى وقال المتقون بعد دخول الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده أن سيدخلنا أو أن سيورثنا الجنة نسكن منها حيث نشاء ونختار فلهم ما يشاؤون فيها، وقوله: ﴿وَنِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ﴾^(٤)، أي فنعم الاجر أجر العاملين لله تعالى، وهو على ما يعطيه السياق قول أهل الجنة، واحتمل أن يكون من قوله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٥) الآية، الحف

(١) المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج ١ / ٣٩٤.

(٣) الرعد، الآية: ٢٢.

(٤) الزمر، الآية: ٧٤.

(٥) الزمر، الآية: ٧٥.



الأحداق والإحاطة بالشيء، والعرش هو المقام الذي يصدر منه الفرامين والأوامر الإلهية التي يدبر بها العالم، والملائكة هم المجرون لمشيته، ورؤية الملائكة على تلك الحال كناية عن ظهور ذلك وقد طويت السماوات، والمعنى: وترى يومئذ الملائكة والحال أنهم محذقون بالعرش مطيفون به لا اجراء الامر الصادر منه سبحانه وتعالى وهم يسبحون بحمد ربهم^(١).

ان ذلك قد جعله الله تعالى حتماً مقضياً جزاءً لأصحاب الجنة حيث قال عز من قائل: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(٢)، أي: حكماً جزمياً، مقطوعاً به، ومن بعث برده روحه إلى الجسد لا يمكنه الجواز على الصراط إلا بالجواز على جهنم، لأن المؤمن لما جاء أطفأ نوره لهبها فلم يشعر بها، كما روي أنها تقول: جزياً مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي، ولو سألته بعد دخول الجنة: كيف كان حالك في النار؟ لقال:

ما أحسست بها، كما سئل الإمام الصادق عليه السلام: أتردونها أتم أيضاً؟ فقال: جزناها وهي خامدة، وعن ابن عباس: يردونها كأنها أهالة، وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: وردتموها وهي خامدة^(٣)، ذلك جزاء لهم واجراً كريماً، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾^(٤)، بيان لأثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك، ولعل إشار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلاً: وأجرهم اجر كريم، أو ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعد ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهياً لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل^(٥).

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٧ / ٢٩٩.

(٢) مريم، الآية: ٧١.

(٣) ابن عربي، تفسير ابن عربي، ج ٢ / ١٢.

(٤) الاحزاب، الآية: ٤٤.

(٥) ابي السعود، تفسير ابو السعود، ج ٧ / ١٠٧.



٣- رضى الله تعالى برسالة الاسلام
كدين عام على وجه الارض:

عندما نزل دين الاسلام على صدر
الخاتم المصطفى صلى الله عليه واله
نزل وهو يحمل اسس وقواعد وقوانين
وعقائد بني عليها، بلغت حد القطع
واليقين والتي لا تقبل الشك، ما جعله
دين عام لكل البشر، فلم يدع لاحد
حجة ولا عذر لان ينصرف عن دين
الاسلام، كونه يؤدي بالانسان إلى جادة
التوحيد والعدل والصواب والاستقامة،
إلى جانب كونه دين عالمي يصلح لكل
زمان ومكان؛ جاء الدين الاسلامي
لإصلاح البشر جسداً وروحاً، ظاهراً
وباطناً، وفي عدة جوانب دينياً واجتماعياً
وثقافياً وسياسياً ومالياً وغيرها مما لم
يسبق له نظير في الاديان الاخرى؛

وفي بيان كون دين الإسلام هو
الدين العام الأخير للبشر وقد رضىه الله
تعالى لنا جاء في تفسير القرطبي في قوله

(١) المائدة، الآية: ٣.

(٢) آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، ج ٦/ ٦٣-٦٤.

(٤) المائدة، الآية: ٣.

تعالى: ﴿ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(١)،
أي أعلمتكم برضاي به لكم ديناً، فإنه
تعالى لم يزل راضياً بالاسلام لنا ديناً،
فلا يكون لاختصاص الرضا بذلك
اليوم فائدة إن حملناه على ظاهره، وكلمة
(ديناً) نصب على التمييز، وإن شئت
على مفعول ثان، وقيل: المعنى ورضيت
عنكم إذا أنقذتم لي بالدين الذي شرعته
لكم، ويحتمل أن يريد: ﴿ورضيت لكم
الاسلام ديناً﴾ أي ورضيت إسلامكم
الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً بكماله
لا أنسخ منه شيئاً، و (الاسلام) في هذه
الآية هو الذي في قوله تعالى: ﴿ان الدين
عند الله الاسلام﴾^(٢)، وهو الذي يفسر
في سؤال جبريل للنبي ﷺ، وهو الإيمان
والأعمال والشعب^(٣)؛ ويذكر الشوكاني
في فتح القدير في قوله تعالى: ﴿واتممت
عليكم نعمتي﴾^(٤)، بإكمال الدين المشتمل
على الأحكام وبفتح مكة وقهر الكفار
وإياسهم عن الظهور عليكم كما وعدتكم



بقولي: ﴿وَلَا تَمْنَعُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، أما قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، أي أخبرتكم برضاي به لكم فإنه سبحانه لم يزل راضياً لأمة نبيه ﷺ بالإسلام فلا يكون لاختصاص الرضا بهذا اليوم كثير فائدة إن حملناه على ظاهره، ويحتمل أن يريد رضيت لكم الإسلام الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً إلى انقضاء أيام الدنيا^(١)؛ ويقول الألوسي في تفسيره في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، متعين أن يكون من ذلك الباب بالنسبة إلى من يصح اتصافه بالرضا حقيقة أيضاً، إذن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(٢)، كلام وارد على نهجه من غير تأويل دال على أنه جل شأنه لا يستحمد الكفر لعباده كما يستحمد الإسلام لهم ويرتضيه، وأما أنه لا يرد الكفر أن يوجد فليس من هذا الباب في شيء ولا هو من مقتضيات هذا التركيب، وأن قول المحققين رضي الله تعالى عنهم: إن الطاعات برضى الله تعالى والمعاصي

ليست كذلك ليس لهذه الآية بل لأن الرضا بالمعنى الأصلي يستحيل عليه تعالى وقد أخبر أنه رضي عن المؤمنين بسبب طاعتهم في مواضع عديدة من كتابه الكريم^(٣).

ويقول العامل في كتابه الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه واله: قد يتوهم أن قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، يدل على أن الإسلام لم يكن مرضياً قبل ذلك اليوم أيضاً، وهو توهم باطل، فإن الإسلام مرضي لله دائماً، والمراد بهذه الكلمة هنا: أن الله تعالى قد رضي لهم الإسلام ديناً مطلقاً وفي كل حين، فلكونه رضيهم لهم، قد شرعه، وبلغه على لسان أنبيائه ورسله، ووضع الضمانات لبيان حدوده وقواعده، وهياً الظروف لبقائه واستمراره، من خلال تشريع الولاية، وحمايته بها، ووضع أركانها، وتعريف الناس بالأئمة الذين اختارهم الله لحمل هذه الأمانة، فالآية ليس لها مفهوم، أي أنها لا تريد أن تقول: إنني في هذا اليوم

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج ٢ / ١١.

(٢) الزمر، الآية: ٧.

(٣) الألوسي، تفسير الألوسي، ج ٢٣ / ٢٤٣.



شرعيةً وغصن من دوحة الرئاسة العامة الثابتة للنبي ﷺ، والأئمة عليهم السلام^(٢)، او انها حق التصدي شرعاً، فمن كان له حق التصدي لأمر من الأمور شرعاً، كانت له الولاية في ذلك الشأن^(٣)، وقد عرفت

بتعاريف عديدة في القانون الوضعي او غيرها من القوانين بما مضمونه: ان الولاية هي السلطة، وحق إصدار الأوامر، كما في المعجم الحقوقي الفرنسي كاييتان، ومعنى كونها عامة أي متعلقة بشؤون المجتمع بوجه عام، او انها السلطة في شأن من شئون الجماعة العامة كولاية سن القوانين والفصل في الخصومات وتنفيذ الأحكام، والهيمنة على القائمين بذلك، أي القيام بأعباء إحدى السلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية، او الجمع بين هذه السلطات، ومن هنا يتبين اولاً: أن الولاية العامة هي الوظيفة العامة للنولي، ومن هنا جاءت وظيفة ولي الامر، وثانياً: ان الولاية العامة هي البنية الأساسية التي يقوم عليها القانون الاداري والاجتماعي،

فقط رضىت لكم الإسلام ديناً، بل تريد أن تقول: إن يأس الكفار، وإكمال الدين وإتمام النعمة كان في هذا اليوم، وأن الله سبحانه كان دائماً راضياً بالإسلام التام والشامل ديناً للبشرية^(١).

وعليه ومما تقدم يكون مفاد الآية الشريفة، ان الله تعالى قد اعلمننا برضاه لنا بهذا الدين، واخبرنا انه لم يزل راضياً للناس على وجه العموم، ولامة محمد صلى الله عليه وآله على وجه الخصوص بالاسلام ديناً، ولم يرض لعباده بالكفر ورضي لهم بالإيمان والاسلام، وان الله تعالى رضي بهذا الدين ديناً سابقاً وحالياً ومستقبلاً فهو مرضي دائماً.

المبحث الثاني

رضى الله تعالى بولاية علي عليه السلام

معنى الولاية العامة:

الولاية هي الإمارة والسلطنة على الغير في نفسه أو ماله أو أمر من أموره ثم إنه منصب جليل، ومرتبة عالية، فإنها إمارة

(١) العاملي، الصحيح من سيرة النبي الاعظم، ج ٣١ / ٣١٠.

(٢) اليزدي، العروة الوثقى، ج ٦ / ٤١٣.

(٣) اقا ضياء العراقي، شرح تبصرة المتعلمين، ص ٢٣٧.



والتنظيمات الإدارية المتعلقة بإدارة شؤون الناس، وكذلك في سائر النظم السياسيّة، وإن عنصر الولاية العامة عنصر شديد الارتباط بمفهوم إدارة الدولة في كل زمان ومكان، لكونها تجسيداً لمظهر السلطة العامة في المجتمع لتحقيق العدالة التي يسعى لها النظام الإسلامي في كل دولة، وبما أن الولاية العامة هي صلاحية أو استحقاق شرعي مفروض من قبل السماء، قد وضعه الشارع المقدس على كل مكلف من أفراد المسلمين، فإن هذا الاستحقاق أو تلك الصلاحية نابعة من تكليف الشارع للمسلمين لإقامة أحكام الدين وبسط العدل والمساواة بين أفراد المجتمع المسلم، بما يتضمنه من تدبير المصالح الخاصة والعامة، لذلك أطلق عليها بالولاية العامة.

١ - نعمة الولاية:-

لقد انعم الله تعالى على الإنسان بأنواع من النعم والعطايا التي لا تعد ولا تحصى، فهناك نعم ظاهرة ونعم باطنة قد يعلم بها أو لا يعلم، وإن البحث عنها ومعرفتها والتحدث بها يدفع عن الإنسان الهم والغم والبلايا، ويوصل الإنسان إلى

القناعة في الدنيا وبالتالي يقرب الإنسان من خالقه ورازقه، كما أنه يحث العبد على الشكر والرضى الذي هو من أعلى مراتب سمو العبد وقربه من ربه حتى لو كان العبد في حالة من الفقر والعوز والحرمان أو غيرها من البلايا، وكلما طال تأمل العبد وأمعن النظر في نعم الله تعالى سواء كان الظاهرة منها أو الباطنة، الدينيّة أو الدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً كثيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ومن هذه النعم هي نعمة الولاية، والتي قررها الله تعالى لنبيه ﷺ، وهي ولاية تشمل رسم وتحديد قوانين ومنهاج للحياة في هذه الأرض ولكافة أبعادها، وكان أمر المسلمين فيها إلى الرسول ﷺ، فليس لهم أن يختاروا أو يحددوا شيء إلا ما اختاره وحدده لهم نبيهم بأمر من الله تعالى؛ فعندما قال الله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي أكملت لكم مجموع المعارف الدينيّة التي أنزلتها إليكم بفرض الولاية، وأتممت عليكم نعمتي وهي الولاية التي هي إدارة أمور الدين وتدبيرها تدبيراً إلهياً، فإنها كانت إلى اليوم ولاية الله ورسوله، وهي إنما تكفي ما دام الوحي ينزل، ولا تكفي لما بعد ذلك



من بعده بنص وامر الله تعالى، وبكل حال فان النبي ﷺ والأئمة من بعده هم ولاية الأمور الذين لهم الولاية العامة، وذلك لكون الولاية والموالاته ربط خاص بين الأفراد باعتقاد كون أحدهم ولياً يتولى أمور الناس، والآخر دون مولى عليهم، وإذا كان بينهم حب من هذه الجهة أو مناصرة يستعمل فيه الولي بل الموالاته بهذا المعنى تستلزم المحابة والمناصرة، والمراد هنا كون المؤمنين بعضهم ولياً لبعض يتحابون ويتناصرون، ويدفع بعضهم عن بعضهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فالله والنبي ﷺ وأوصياؤه وليهم، وهو مولى عليهم يتحابون ويتناصرون على ذلك، وإذا قيل فلان: ولي أو جعل ولياً لا يرتاب في كون المراد مباشرته بمصالح المولى عليهم، والقيام بأمورهم^(٢).

ثم يأتي دور الدعاء والشكر لله تعالى على هذه النعمة العظيمة علينا ان نحمد الله تعالى على تلك النعمة التي من بها علي، نعمة الولاية الأمانة التي سنسأل

من زمان انقطاع الوحي، ولا رسول بين الناس يحمى دين الله ويذب عنه بل من الواجب أن ينصب من يقوم بذلك، وهو ولي الامر بعد رسول الله ﷺ القيم على أمور الدين والأئمة، فالولاية مشروعة واحدة، كانت ناقصة غير تامة حتى إذا تمت بنصب ولي الامر بعد النبي ﷺ، وإذا كمل الدين في تشريعه، وتمت نعمة الولاية فقد رضيت لكم من حيث الدين الاسلام الذي هو دين التوحيد الذي لا يعبد فيه إلا الله ولا يطاع فيه والطاعة عبادة إلا الله ومن أمر بطاعته من رسول أو ولي^(١).

ولا ريب في أن أفضل النعم نعمة الاسلام ثم نعمة الولاية وظهورها وتطبيقها على الناس اجمعين لعظمتها، وأن النعمة إنما تكون عظيمة إذا كانت دائمة متواصلة غير منقطعة ولا منتهية، عندها صارت سبباً لنجاة من أنعم الله تعالى بها عليه، وانما هذه الولاية صارت متواصلة وغير منقطعة لأنها استمرت من بعد النبي ﷺ إلى الأئمة صلوات الله عليهم

(١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥/ ١٨٢.

(٢) الاحمدي، مكاتيب الرسول، ج ٣/ ٢٨.



عنها يوم الوقوف بين يدي الخالق، الذي يقول عز من قائل: ﴿وَقَفَّوْهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١).

٢- رضى الله تعالى بالولاية العامة:-

قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾^(٢)، ففي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على ان الله تعالى هو المولى الحق، وانه تعالى هو ولي كل أحد، وهذه هي الولاية العامة المطلقة، فهو سبحانه يتولى ما في الارض جميعاً من كائنات ونباتات وحيوانات وجمادات اضافة إلى الجن والانس ويرزقهم من لطفه وعنايته، أليس الله تعالى يرزق الكافرين وينمي أجسامهم وييسر لهم ما في السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر والنجوم، والغيوم لتحمل الأمطار التي فيها حياة الارض، ويتولى المؤمنين أيضاً، فهذه هي الولاية.

وبصورة اكثر تركيز وايضاح ان الله

سبحانه وتعالى يتولى خلقه وعبادة على اختلاف اصنافهم بالولاية العامة، بمعنى أن يتولى شؤون عباد بصفته عامة، وهذه الولاية لا تختص بالمؤمنين، كما قال تعالى في الآية المتقدمة: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٣)، يعني الكافرين، والنوع الثاني: ولاية خاصة بالمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٤)، وكما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥)؛ ومقتضى النوع الأول أن الله تعالى كمال السلطان والتدبير في جميع خلقه؛ ومقتضى النوع الثاني: الرأفة، والرحمة، والتوفيق لعبادة المؤمنين الصالحين؛ لكن هذه الولاية تحتاج إلى من يطبقها على ارض الواقع من البشر، لذلك اعطى الله تعالى هذه الولاية لنبه واهل بيته صلوات الله عليهم، وتعد الولاية العامة العظمى رأس الولايات

(١) الصفات، الآية: ٢٤.

(٢) الانعام، الآية: ٦٢.

(٣) يونس، الآية: ٣٠.

(٤) محمد، الآية: ١١.

(٥) البقرة، الآية: ٢٥٧.



قال: كنت عنده جالساً، فقال له رجل: حدثني عن ولاية علي أمن الله أو من رسوله؟ فغضب ثم قال: ويحك كان رسول الله ﷺ أخوف الله من أن يقول ما لم يأمره به الله، بل افترضه كما افترض الله الصلاة والزكاة والصوم والحج^(١)، وقد روي عن الإمام الرضا: فأنزل الله تعالى في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(٢)، فأمر الإمامة من تمام الدين فلم يمض ﷺ حتى بين لامته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً ﷺ علماً وإماماً وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر، هل تعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم، إن الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأنًا، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها

وأساسها وأعلاها، فهي تعني منصب الرجل الأول الذي له الأمر والنهي، وعلى الناس التسليم والطاعة وهذا بأمر الله تعالى كما تقدم، أي أن الولاية العامة الشرعية المطلقة هي حق أهل الإيمان والعدل وهم النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم كما تقدم، وأن الله تعالى لن يعهد بولاية الناس وإمامتهم وتولي أمورهم إلى أحد غيرهم ذلك أن الولاية العامة تتمثل فيما يقوم به النبي ﷺ ومن بعده الإمام من التصرفات، فكان النبي صلى الله عليه وآله واله عندما بعث هو الناظر والولي الأول على هذا الخط من الصلاحية بما له من حق الولاية العامة في الشرع الإسلامي، وتنبثق عنها ولايات عامة، مثل نائب الإمام كما حصل مع نواب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه.

وقد ورد في ذلك روايات واخبار عديدة في هذا المعنى، منها ما روي عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر ﷺ

(١) الكليني، الكافي، ج ١ / ٢٩٠.

(٢) المائدة، الآية: ٣.



بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال عز وجل: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾^(١)، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: چك كچ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾^(٢)، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، فصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافله وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وابتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾^(٣)، فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي صلى الله عليه وآله فقال جل جلاله: ﴿ان اولى الناس بابراهيم للذين

اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين﴾^(٤)، فكانت له خاصة فقلدها رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله عز وجل على رسم ما فرضها الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان لقوله عز وجل: ﴿وقال الذين اوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾^(٥)، فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال الإمام؟، إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، لقوله عز وجل: ﴿وقال الذين اوتوا العلم والإيمان﴾^(٦).

نستنتج مما تقدم أن حكم الإسلام يتعزز ويترسخ في الأرض إذا اقترن

(١) البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) الانبياء، الآية: ٧٢-٧٣.

(٤) آل عمران، الآية: ٦٨.

(٥) الروم، الآية: ٥٦.

(٦) الصدوق، معاني الاخبار، ص ٩٦-٩٧.



بالولاية؛ لأنَّ الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله ووعد بترسيخ دعائمه وتعزيزه، وبعبارة أوضح أنَّ الإسلام إذا أريد له أن يعمَّ العالم كله يجب عدم فصله عن ولاية أهل البيت ^(١) عَلَيْهِ السَّلَام؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد رضي لعباده أجمع أن تعمَّ الولاية العامة في جميع أرجاء أرضه. ٣- رضى الله تعالى بخصوص ولاية أمير المؤمنين علي ^{عليه السلام}:-

ما يجدر الإشارة إليه إنَّ الولاية العامَّة والسلطة العليا في حقيقتها وواقعها هي السيطرة، أي القدرة على الإلزام التي يتمتع بها صاحب الولاية العامة العليا وهو النبي ^{صلى الله عليه وآله} أو الإمام أمير المؤمنين ^{عليه السلام} من بعده والأئمة المنصوص عليهم من النبي صلوات الله عليه، وهذه القدرة شرعت في دين الإسلام لهم صلوات الله عليهم، في مجال السلطه التشريعيَّة والتنفيذية والقضائية بكل فروعها وتشكيلاتها على حد سواء، وأنَّ الولاية الخاصة تستلزم عناية خاصَّة، أولاً من ناحية التنصيب والاختيار من الله تعالى وألاً يترك الأمر بدون نص على صاحب

القيادة العامة، وثانياً التسديد من قبل الله تعالى، ولما كانت الولاية الخاصة التي هي دون الولاية العامة فإنَّ التعيين فيها من صلاحيات ولي الأمر المنصب من الله تعالى وهو رسول الله ^{صلى الله عليه وآله}، أن يختار لها الأكفاء الأئمَّاء ويعينهم فيها، وقد عين ونصب صلوات الله وسلامه عليه علياً أمير المؤمنين ^{عليه السلام}، وكان هذا الاختيار ليس من عنده فقط، بل من الله تعالى، وأنَّنا نجد إن النبي ^{صلى الله عليه وآله} كان يختار عماله، وولاته من الصالحين لها من أصحابه، بحسب ما يقتضيه حال كل وظيفة من واقع معرفته لقدراتهم وإمكاناتهم، فتحقق في عهده تطبيق مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ويشهد على ذلك كتب السيرة والتاريخ والأخبار، فمن باب أولى أن يختار خليفة وولي للأمر تنطبق عليه هذه المواصفات اضافة إلى اختيار وأمر السماء له.

إنَّ عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية مرتكزة على اساس أن الإمام المعصوم المنصوص عليه هو الذي يتولى أمر الأمة بكل تفاصيل وجوانب الحياة،

(١) الشيرازي، الامثل، ج ٣/ ٦٠٠.



وأن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام معين من الله تعالى، فليس في الأمر شورى ولا انتخاب كما هي عقيدة المخالفين لهم، بل ان كل النشاط الاجتماعي والسياسي والإداري في الدولة الإسلامية لا يجوز أن يقوده إلا من له حق القيادة وهو المنصب من الله تعالى على لسان نبيه صلوات الله عليه، أن النبي صلى الله عليه واله قد أوحى إليه في حياته بخصوص ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ذلك من دلائل نبوته الكثيرة اكمالاً لأمر الدين، وان من آثار عظمة نعمة الولاية للموالي أنه يحبهم عليه السلام وحبهم أساس الإسلام، فنعمة الإسلام والولاية تتم وتتحقق لأحد بموالاتهم ومحبتهم، وأن نعمة الولاية والمحبة لهم عليه السلام هي النعمة العظيمة، إذ إنها توجب لصاحبها سعادة الدارين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(١)، ومعنى الآية الكريمة بحسب تفسير أهل الذكر عليه السلام

اليوم أكملت لكم دينكم بولاية علي عليه السلام، وأتممت عليكم نعمتي بإكمال الشرائع بإمامة علي عليه السلام، ورضيت لكم الإسلام ديناً بخلافته^(٢) عليه السلام، وروي في هذا المعنى أيضاً عن محمد بن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، ومحمد بن الحسين جميعاً، عن محمد بن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن منصور بن يونس، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فرض الله عز وجل على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحداً، قلت: أتسميهم لي جعلت فداك؟ فقال: الصلاة، وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم، ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم، ثم نزل الصوم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم فنزل صوم شهر رمضان بين شعبان وشوال، ثم نزل الحج فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: أخبرهم من حجهم

(١) المائدة، الآية: ٣.

(٢) المازندراني، شرح اصول الكافي، ج ٥/ ١٩٦.



خاتمة:

الحمد لله الذي أنعم بنعمه علينا حتى أتمنا بمنه ولطفه هذا البحث، فقد فرغنا من الكتابة في موضوع أركان بيعة الغدير، ولا شك أننا قد خرجنا بفائدة كبيرة، فإنَّ البحث لا يخلو من معلومات وفيرة استطعنا من خلالها الوصول إلى مجموعة من النتائج، لعلَّ من أهمها:-

١- أثبت البحث أنَّ أركان وقوام وقواعد بيعة الغدير هي الإيمان المطلق برسالة النبي ﷺ وولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام، وبدونها لا تدوم البيعة ولا تصمد؛ لأنَّها من المسائل المهمة في عالم الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

٢- بين البحث أنَّ الإشارة إلى أركان البيعة من النبي ﷺ هي إشارة صحيحة صريحة لا تقبل الشك ولا التأويل ولا التبديل، حتى لا تكون للناس حجة بعد ذلك.

٣- بين البحث أنَّ نعمة دين وشريعة الاسلام هي أول النعم وأهمها وأساسها الذي يبتني عليها باقي النعم، ثم بعدها

ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم، ثم نزلت الولاية وإنَّما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، ثم أنزل الله عز وجل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أمتي حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل ويقول قائل فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني فأنتني عزيمة من الله عز وجل بتلة أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (١)(٢).

وعلى هذا ومما تقدم يتضح ان نعمة الولاية من نعم الله تعالى على العبد وقد رضيها لنا وهذا يستوجب شكرها، وشكرها ان يؤمن بصاحبها وهو علي أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الكليني، الكافي، ج ١/ ٢٩٠.



(قائمة المصادر والمراجع)

المصادر:-

القرآن الكريم.

١. ابن ابي الدنيا (ت ٣٨١هـ): الشكر لله، تحقيق: ياسين محمد، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
 ٢. ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ): الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم، دار الشروق، (بيروت ١٣٩١هـ)
 ٣. ابي السعود (ت ٩٥١هـ): تفسير ابي السعود، دار احياء التراث العربي، بيروت.
 ٤. البهائي (ت ١٠٣١هـ): مشرق الشمسين وكسير السعادتين، مكتبة بصيرتي، قم.
 ٥. سليم بن قيس (ت ١ ق هـ): كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الزنجاني، دليل ما، ط ١ (قم ١٤٢٢هـ).
 ٦. الصدوق (ت ٣٨١هـ): معاني الاخبار، تصحيح وتعليق: علي الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم ١٣٧٩هـ).
- نعمة النبوة والرسالة، ثم نعمة الولاية، وهي اللطف من البارئ عز وجل؛ لأنّها جامعة لكل النعم.
- ٤- أوضح البحث أنّ هناك نعماً يمن بها الله تعالى علينا تأتي بعد نعمة الإيمان، بالإسلام أولاً، ثم الإيمان بالنبوة والإمامة التي هي أركان البيعة، فإنّ الله سيجزي عباده بنعمة الجنة وهذه النعمة جاءت بعد نعمة الرضى.
- ٥- إذا آمنا وقطعنا برسالة الإسلام ونبوة رسول الله صلى عليه وآله، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام فإن هذا الإيمان يستلزم عدم انفكاك أركان البيعة، اي بمعنى لا يمكن انفكاك ركن عن ركن، لأنّهما أساس واحد بني عليه الاسلام، ورضيه الله تعالى لنا.
- ٦- إنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل دين الاسلام ورضيه لنا ديناً دائماً وهو خاتم الأديان وقد استحسنة لنا، في المقابل لم يستحسن لنا الكفر ولم يرضاه لعباده لذلك اثبت أركان البيعه لنا.





٧. القرطبي (ت ٦٧١هـ) : جامع لأحكام القرآن، تحقيق: ابراهيم اطفيش، دار احياء التراث العربي (بيروت ١٤٠٥هـ).
٨. الكليني (ت ٣٢٩هـ) : الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، ط ٥ (طهران ١٣٨٨هـ).
٩. المازندراني (ت ١٠٨١هـ) : رح اصول الكافي، تحقيق: ابو الحسن الاسكري، دار احياء التراث، ط ١ (بيروت ١٤٢١هـ)..
- المراجع:-
١. الزحيلي وهبه: التفسير الوسيط، دار الفكر، ط ٢ (دمشق ١٤٢٧هـ).
٢. الشيرازي محمد الحسيني: ٢. تقريب القرآن إلى الازهان، دار العلوم، ط ١ (بيروت ١٤٢٤هـ).
٣. الطباطبائي محمد حسين: ٣. الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
٤. العاملي جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ، دار الحديث، ط ١ (قم ١٤٣٦هـ).
٥. مغنيه محمد جواد: التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، ط ٣ (بيروت ١٤٠٢هـ).
٦. الهاشمي الخوئي: منهاج البراعه في شرح نهج البلاغة، تحقيق: ابراهيم الميانجي، المطبعة الاسلامية، طهران.
٧. اليزدي محمد كاظم: العروة الوثقى، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، مؤسسة النشر الاسلامي، ط ١ (قم ١٤٢٣هـ).



النبوة والإمامة دراسة في ضوء آراء الشيخ اليزدي

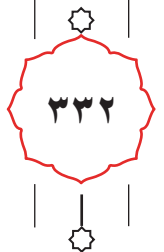
أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي
الكلية التربوية المفتوحة / مركز النجف الدراسي



:TCERTSBA

Our current research seeks to examine the concepts of «prophethood and imamate» in light of the views of Sheikh Muhammad Taqi Misbah Yazdi, who frequently cites the views of his teacher, Sayyid Tabataba'i, author of the Tafsir al-Mizan. We find a great similarity between these two terms. If prophecy had extended beyond our Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) , it would have been granted to our Master, the Commander of the Faithful, Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) , but

it ended with him. Prophethood has a lofty status, and God Almighty has singled it out for specific individuals who were entrusted with the burdens of the message. We found in them patience and endurance, making them worthy of it. Our study follows a descriptive and analytical approach in examining Sheikh Yazdi's views on doctrines, including two important topics: the first: prophecy, and the second: imamate. These are followed by a conclusion with the most prominent findings of the study.





الملخص:

يسعى بحثنا الحالي إلى دراسة مفهوم (النّبوة والإمامة) في ضوء آراء الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (رحمه الله) الذي كثيراً ما يستشهد بآراء أستاذه السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، ونجد في هذين المصطلحين تقارباً كبيراً، فلو كانت النّبوة ممتدة إلى ما بعد نبينا محمد ﷺ منحت إلى مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا أنّها ختمت به.

وللنّبوة مقام رفيع اختصّها الباري (عز وجل) بأشخاص معينين حملوا أعباء الرسالة، فوجدنا فيهم الصبر وتحمل المشاق، فكانوا أهلاً لها، وتسير دراستنا على وفق المنهج الوصفي التحليلي في متابعة آراء الشيخ اليزدي في العقائد، ومنها مبحثان مهمان، أولهما: النّبوة، وثانيهما: الإمامة، ثم يليهما خاتمة بأبرز نتائج الدراسة.

المقدمة:

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه حمداً كثيراً مباركاً طيباً يوافي نعمه، والصلاة والسّلام على سيد الأنام سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطّاهرين وبعد: يعد الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي أحد الشخصيات الإسلاميّة التي كتبت في العديد من المعارف الفلسفيّة والقرآنيّة الإسلاميّة، وقد سلط الأضواء بأفكاره المتميزة على الحياة الفكريّة للمباحث العقديّة والعقائديّة في الإسلام، ودرسها دراسة متأنية ومنها على سبيل المثال لا الحصر قضية النّبوة والإمامة، والمعارف القرآنيّة... وغيرها.

وقدّم أنموذجاً أثبت فيه دقّة تفكيره في تقنيه للمنهج الذي اتّبعه في قراءاته المعرفيّة، فجاء منسجماً مع فكره، وتبنّى المحتوى المعرفي والدّلالي والعقدي للنّصّ القرآني بوصفه وحدة موضوعيّة متكاملة غير مجزأة، وعلى أساس ذلك قدّمنا دراستنا التي انتهت إلى جملة من النتائج أهمّها:





المهمة منها، فالنبوة مسألة ذكرت في القرآن الكريم منذ بداية خلق الانسان، وتقوم على الهداية التشريعية؛ لأن مسيرة الانسان اختيارية، وله أن يختار بين طريقين (الهداية أو الضلال)، ومثل في آية هبوط آدم إلى الأرض ففيها من التسليم لأوامر الذات الإلهية ما فيها. قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٨ ففي هبوطه إلى الأرض أوحى اليه بأن يسلم للهداية حين إتيانها من الذات الإلهية، فمن قبلها وصل إلى السعادة ومن رفضها لقي الشقاء والذلة. قال الشيخ الزدي (رحمه الله): «الخطاب موجه لآدم وحواء عليهما السلام وإبليس لعنه الله، وهذا يعني منذ خلق آدم على وجه الأرض (أو نزوله فيها) كان هذا الموضوع واضحاً لديه، وهو أن أمامه طريقين، ويتمّ التعيين من قبل الله»^(١)، أي: أن لارسال الأنبياء هدفين هما (التوحيد والفاتهم إلى المعاد)، فلو

اعتمد على منهج قراءة الآيات، فقد صاغ المباني القرآنية من الدّاخل في العموم المطلق لبحوثه المختلفة

يمكن القول أن الشيخ الزدي (رحمه الله) كان رائداً ومؤسساً لتحليل الخطابي لقضايا كثيرة ومنها القضية العقدية (النبوة والولاية)، وأهم ما يمكن ملاحظته في ذلك أنه كان جاداً في البحث عن تحليلها بالنصوص القرآنية، وفيها قرب التفسير موضوعياً.

بدأ بحثه حول عصمة الأنبياء وضرورة تحقق المعجزة لديهم ثم أبان أنهم المعارف القرآنية من انسجام وتألف وتوافق إلى غيرها من الدلالات الهامة في المباحث اللسانية المعاصرة، وتحدث عن الإمامة وضرورة وجودها فهي امتداد للنبوة زيادة على مباحث متعددة في المسائل العقدية والعرفانية الإسلامية المهمة في حياة كل مؤمن ومؤمنة.

التمهيد:

اختار الشيخ الزدي (رحمه الله) آيات معينة في تفسيره للنبوة معللاً بكثرتها في القرآن الكريم، وبدأ بشرح المباحث

(١) النبوة في القرآن: ١٨.



أردنا تجسيم ملك؛ لتراه الناس فلا بدّ أن يكون رجلاً يلبس مما يلبسون، وهذا لا يحقق غرضهم.

ويرى السيد الطباطبائي أنّ مفهوم اللبس في هذه الآية خلط عليه، وليس بمعنى ارتداء الثياب، أي: يلبسون الحق بالباطل، وهو من قبيل الإضلال الجزائي^(١)، ولنا مثال في كون التكليف الإلهي لسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام واضح وجلي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة: ١٢٤

وعلق الشيخ اليزدي على هذا الموضوع بقوله: «وهناك آيات تدلّ على أنّ النبي يُبعث لكي يتعلّم الناس منه ما لا يعلمون أي بالنسبة للأشياء التي يعلم الناس أنّها جيدة لا بدّ أن يعملوا بها وإن

لم يبعث رسول، ولهذا فإنّ المستضعفين الذين لم يوفّقوا لإدراك دعوة الأنبياء مسؤولون بمقدار ما عندهم من عقل. فالهدف الأصيل للنبوّة هو أن تعرّف الناس على ما لا يعرفون ولا يستطيعون بأنفسهم أن يتعرّفوا عليه^(٢).

ويذكر جملة من الآيات لهذا الأصل التأسيسي في بيان الحكمة من بعث الأنبياء، فقد جعل الله تعالى الأنبياء والصالحين من ذريته فأختار منهم: (اسحق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، و هارون، وداوود، وزكريا، ويحيى، وعيسى، والياس، واسماعيل، واليسع، ويونس، والأسباط.

وهم من وصفهم تعالى بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ سورة الانعام: ٨٩.

(١) ظ: المصدر نفسه.

(٢) النبوة: ١٩



المطلب الأول: النبوة

ومنه قول أوس بن حجر:

لأصبح رتماً دُقاق الحصى مكان النبي
من الكاثب^(٤).

فالنبوة والإمامة أصول تكمل بعضها بعضاً، فالنبوة أصل ثالث من أصول الدين وتربط بين الإنسان ومثله الأعلى، فالمسيرة البشرية تبنت هذا المثل، وعلى مر التاريخ الطويل نجد أن الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) يحملون

الصلة الرابطة بين الله والمجتمع؛ أما الإمامة هي أصل رابع من أصول الدين الإسلامي تلي النبوة وتعني قيادة مندجة مع النبوة، فالنبي إمام أيضاً، والنبي نبي، إلا أن الإمامة لا تنتهي بانتهاء النبي، فمجتمعنا لا زال بحاجة إلى قائد يواصل معركة الحق فسيستمر دور النبوة من خلال الإمامة^(٥).

فدور النبوة يتمثل في إنه الإنسان

النبوة لفظ مشتق من (نبو)، فالنبي اسمه من النبوة، وهو الارتفاع، ففضل على الناس برفع منزلته، والنبي: الطريق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ سورة مريم: ٥٦، وقد يكون اشتقاقه من (نبا)، فمن همزه لأنه أنبا عن الله تعالى، والمُنْبِيء هو المُخبر^(١)

والنبوة هي سفارة بين الله و ذوي العقول من العباد لإزاحة علتهم في أمر معاشهم ومعادهم، وسُمي نبياً؛ لرفعة محله عن سائر الناس، والنبي أبلغ من النبيء بالهمز لقوله ﷺ لمن قال يا نبيء الله: «لَسْتُ بِنَبِيٍّ لَكَ وَلَكِنْ نَبِيٌّ إِلَيْكَ»^(٢)؛ لذا أكد الحديث الشريف أن اشتقاقه من (النبوة) بمعنى الارتفاع، وهو الطريق الواضح^(٣)

(١) ظ: مقاييس اللغة: ٥ / ٣٨٥.

(٢) عن أبي ذر قوله: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيء الله، فقال رسول الله ﷺ: «لَسْتُ بِنَبِيٍّ لَكَ، وَلَكِنْ نَبِيٌّ إِلَيْكَ» ظ: المستدرک ٢ / ٢٣١.

(٣) ظ: العين (مادة نبو): ٨ / ٣٨٣.

(٤) ظ: ديوان أوس بن حجر: ١١

(٥) ظ: المدرسة القرآنية: ١٤٧

الذي يجمع بين المجتمع وإطاعته الله، وهو دور يبين الايدلوجية الواضحة للمثل الأعلى، وطاقة روحية مستمدة من الايمان بيوم القيامة فيجمع بينهما ويمثل شخصية النبي الأعظم، وهذا المركب هو البشير والنذير، ولا بد من وجود القيادة، وهي (الإمامة) فالإمام هو القائد الذي يتولّى هذه المعركة الذي يندمج مع النبوة، وقد بدأت مع سيدنا نوح عليه السلام فالإمامة تندمج مع النبوة، والفرق بينهما أنّ النبي يعدّ بعداً مازال المجتمع بحاجة إليه، فيمتد دور الإمامة بعد انتهاء النبوة^(١).

ويفسّر الشيخ بيان الهدف في إرسال الأنبياء، فيقول: «فقد جاءهم هذا البشير والنذير حتّى لا يكون لهم عذر، ويقولوا نحن ضللنا لأنّ نبياً آخر لم يأتنا و كان الكتاب السماوي السابق قد ناله التحريف ولم تكن في أيدينا تعاليم الأنبياء السابقين، أو نحن كنّا بانتظار تنفيذ الوعد السابق بإرسال نبيّ جديد فلمّا لم يأتنا فقد اعترانا الرّيب، ولكي نقطع هذه الأعذار وتتم الحجّة عليهم أرسلناهم رسولاً»^(٢).

ويستمر بالكشف عن العلاقات الدلاليّة بين الآيات بغية تشكيل الوحدة الكبرى للنصّ القرآني فيستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتُبْعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ سورة طه: ١٣٤.

وما سبق عرضه يدلّ على أنّ الشيخ اليزدي قد اجتهد في البحث عن الآيات القرآنيّة التي تؤسّس للوحدة الموضوعيّة الكاشفة عن الحكمة من بعثة الأنبياء عليهم السلام.

فلقد أرسلنا إليكم رسولاً، وأنزلنا عليه كتاباً حتّى لا يبقى لكم عذر، فلو لم نرسل إليكم نبياً لقلتم إنّ الله أرسل لليهود نبياً فعرفوا الحق وإن كان كثير منهم قد ضلّ السبيل، وكذا بالنسبة للنصارى،

(١) ظ: المدرسة القرآنيّة: ١٤٨.

(٢) معارف القرآن: ١٨/٤.

(٣) ظ: المصدر نفسه



ثم طرح أهداف النبوة، ومنها:

١. الهداية

٢. اتمام الحجة على الناس

٣. البشارة والانداز

٤. فهم الناس لأمر مبهم ونصف واعية فالقرآن (ذكر، وذكرى، ومذكر)

٥. إلفات الناس إلى مايتنظروهم في العالم الأبدي

٦. تبين الناس طريق السعادة وطريق الشقاء.

ومن المواد التي طرحها الشيخ الزيدي في مبحث النبوة ما يأتي:

تفسيره لفظ (الأمة):

معناها واسع وغير محدد ومن ذهب إلى أن معناها تساوي مجتمع بأكمله، فزاد عليها معنى جديد وهو (الزمان) تستعمل في مجموعة من الناس، فالقرآن جمع الأنبياء في أمة واحدة مع أنهم ليس بينهم اشتراك في زمان أو مكان أو سياسة أو اقتصاد، ومعناها فئة أو مجموعة عينة من الناس، وذكر الشيخ رأي استاذہ الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان)

فسره بأنه ذكر العلامة الطباطبائي (رضوان الله عليه) المقصود من (الأمة) والجمل اللاحقة أن الناس كانوا يعيشون بشكل بسيط ومتشابه وعدد الافراد محدود، فكان لآدم أولاد يعيشون حياة بسيطة، وليس لديهم مسائل اجتماعية معقدة ون كانت فهي فردية^(١).

ورأى الزيدي أنه يحتمل أن يكون المقصود عقيدتهم واحدة (الحق)، وكانوا موحدين ومنفذين لأوامر نبيهم وهو آدم عليه السلام وإن كان هنالك عصاة أو مخالفون، فوجودهم في كل أمة لا يشكل تياراً اجتماعياً وهو التوحيد الذي نادى به آدم، ومرت مرحلة تاريخية، فأبدلت بمرحلة كثرت بها المذاهب المتنوعة، وأصبح الحق مجهولاً فأضحى المجتمع بحاجة إلى ارسال أنبياء آخرين «فبعث الله النبيين، وعندما تشتد الخلافات في الدين يرسل الله نبي آخر ليرفع تلك الاختلافات لمرور الزمن بينهم فلا يمتد الانحراف إلى أجيال قادمة.

من بينهم داوود وموسى عليه السلام فكانت لها رسالة سياسية ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا

(١) ظ: النبوة في القرآن: ٢٥

فِرْعَوْنُ إِنَّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
سورة الأعراف: ١٠٤

فحكم فرعون هو حكم سياسي اجتماعي وبعث نبي الله موسى عليه السلام؛

لإخراج الناس من سلطة ظلم حاكم ليتمتعوا بالاستقلال والحرية، وخلاصة القول أن الانبياء يحركون رغبات الانسان بالتبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ سورة الانعام / ٩

وتقتضي الحكمة الإلهية تزويده بها، والسؤال المتبادر هنا، ما الذي جهز به نبينا الكريم لاثبات نبوته ؟ يذكر التاريخ أن سبب هجرة بني اسرائيل إلى الحجاز وإقامتهم في أطراف المدينة هو تبشير الأنبياء السابقين لنبينا الكريم، ودليله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة / ١٤٦،

ومثله ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ سورة الانبياء / ٨.

وهذا النبي كالانبياء السابقين، آيات القرآن تشريعية وتكوينية، وحين لا

انه النبي الموعود، فالحجة تامة على أهل الكتاب^(٢).

(١) ظ: الميزان في تفسير القرآن ٧ / ٢٤٢٠

(٢) النبوة: ٨٥



ولكن من حكم الإله العظيم أن تكون لديه معجزة خاصة وخالدة لا تقتصر على حاضرين في زمن معين أو مكان واحد، والتحدي كان بكتاب يشبه كتبهم (ان يأتوا بعشر سور مثله، سورة بمثله) قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة هود / ١٣ ١٤، وهو حديث باللغة العربية بكلمات مستعملة في حوار يومي، ولكن لا يستطيع أن يأتي بسورة واحدة من مثله. ونجد أن الطباطبائي وهو أستاذ الشيخ اليزدي اختار وجهاً آخر، فتحدي القرآن لهم بسورة من إحدى الجهات وعشر سور من جهة أخرى، فلا فرق بين سورة وأخرى في البلاغة، فمجال المعارف والأحكام، والقصص، والأخلاق، ولا أي فن (عشر سور) ثم يعقب قائلاً: «لعل سورة يونس قد نزلت قبل سورة هود ومع ذلك يوجد معنى للتحدي بعشر سور أيضاً»^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا

(١) النبوة: ٨٧

(٢) ظ: المصدر نفسه

عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة / ٢٣ ٢٤

واختلف المفسرون في الضمير الوارد (من مثله)، فقليل فيه وجوه متعددة، ومنها:

يعود على القرآن، وحرف الجر (من) تبعيضية، فالوجه يكون بسورة من مثل القرآن ويتطابق حينئذ مضمون الآية مع سورة يونس.

يعود إلى (عبدنا)، ومعنى الجملة: «فاتوا بسورة من مثل هذا النبي»، وفيها إشارتان (إعجاز القرآن فلا أحد يستطيع ان يأتي بهذا القرآن، ولا بد التفاتكم إلى أن هذا الشخص أمي، وصدر منه كلام يعجز علماءكم عن الأتيان بمثله)، وكلاهما علامتان للإعجاز^(٢)

وللمعجزة اصطلاح شائع بين علماء الأصول والمتكلمين، فهو ليس من ألفاظ الاصطلاحات القرآنية، ولها معنيان:



دعوى النبوة

العمومية: وتشمل معاجز أئمة أهل البيت عليهم السلام المعصومين، فهم لم يكونوا أنبياء، وكانت لديهم معاجز، فيصبح مفهومها: كل فعل خارق للعادة، ويسير البحث على وفق هذا المبدأ بقانون (العلية)، ويرجح الشيخ مرور الكرام لأجوبة التساؤل على هذا القانون^(١) (هذا القانون قاد الأشاعرة إلى إنكاره، فزعموا أن ما تنصوره علة عادة الله، وذهب قوم آخرون إلى صحته وإنكار تأويلات المعجزة^(٢)).

ويرى الشيخ اليزدي أن المعجزة لا تتنافى مع هذا القانون، فتحقق الإعجاز ليس بالمستحيل.

والآيات الإلهية تنقسم إلى (آيات تكوينية وتشريعية)، فالتكوينية: مخلوقات الله، والتشريعية كلام الله، ومنها: (ناقة صالح، وولادة عيسى، وآيات موسى المتعلقة بـ (خلق الطير وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمغيبات) وفيها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ سورة الإسراء: ١٠١.

وعلى سبيل المثال لا الحصر قصة (مائدة عيسى) في سورة المائدة لم ترد في إثبات النبوة؛ لأنّ الحوارين آمنوا بعيسى ع وتلمذوا بين يديه فطلبوا نزول المائدة؛ ليطعموا منها فاقترحوا على عيسى وطالبوه بنزول المائدة، فدعا عيسى عليه السلام، فأنزل المائدة وهو حدث غير طبيعي، لم يكن في إثبات النبوة.

تفسيراته اللغوية: ومنها تفسيره للحرف المشبه بالفعل (لعل)، إذ تستعمل (لعل) للترجي، تختلف موارد استعمالها في القرآن الكريم ففي قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ سورة هود: ١٢، والأصل فيها (عل)، وزيدت اللام للتوكيد، ومعناه توقع لمرجو أو مخوف،

(١) ظ: النبوة: ٤٨

(٢) ظ: المصدر نفسه: ٤٨ ٤٩





وَيَسْتَعْمَلُ فِي الْارْتِقَابِ وَيَدْخُلُ فِي ضَمَنِ
الْارْتِقَابِ الطَّمَعُ وَالْإِشْفَاقُ، وَيَعْمَلُ عَمَلُ
(إِنَّ) فَيَنْصَبُ الْمَبْتَدَأَ وَيَرْفَعُ الْخَبَرَ^(١)، وَقَدْ
اِخْتَلَفَ فِيهَا النُّحَوِيُّونَ وَقِيلَ: إِنَّ الْوَاقِعَةَ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ بِاعْتِبَارِ حَالِ

١٢

الْمُخَاطَبِينَ، فَالْتَّرَجِي وَالْإِشْفَاقُ مُتَعَلِّقٌ
بِهِمْ، وَالشُّكُّ أَيْضًا مُتَعَلِّقٌ بِهِمْ، فَاللَّهُ
(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا
يُتَرَجَّى خَلْقُهُ^(٢).

وَأَوَّلَتْ (لَعَلَّ) عَلَى وَجْهِ عَدِيدَةٍ،
وَمِنْهَا:

الْتَّرَجِي وَالتَّوَقُّعُ، وَهُمَا فِي حِيزِ
الْمُخَاطَبِينَ .

حَرْفُ تَعْلِيلٍ بِمَعْنَى (كَي).
لِلْأَطْمَاعِ (لَعَلَّكَ تَنَالُ بَغْيَتِكَ) وَالْأَطْمَاعُ

يَدْخُلُهُ الرِّجَاءُ مَجَازًا

لِلْإِسْتِعَارَةِ فَقَدْ تَقَعَّ مَجَازًا فَالذَّاتُ
الْإِلَهِيَّةُ خَلَقَتْ الْعِبَادَ، وَوَضَعَ فِي أَيْدِيهِمْ
الْإِخْتِيَارَ مَرِيدًا لِلْخَيْرِ مِنْهُمْ

قَدْ تَفِيدُ تَحْقِيقَ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ بَعْدَهَا،
وَلَكِنْ هَذَا الرَّأْيُ يَنَاقِضُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ سُورَةُ هُودٍ:

فَلَا يَجُوزُ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتْرَكَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ
بَلْ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَقْلًا وَشَرْعًا، وَيَرَى
الشُّوْكَانِي (ت ١٢٥٠هـ) أَنَّ لِعَظَمِ مَا تَرَاهُ
مِنْهُمْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَاقْتِرَاحَاتِهِمْ
وَتَعْتَبُهُمْ تَتْرَكَ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ،
وَهُوَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِفْهَامِ بِمَعْنَى: هَلْ
أَنْتَ تَارِكٌ؟ وَقِيلَ: نَفْيٌ مَعَ اسْتِبْعَادٍ، فَلَا
يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ فَتُبَلِّغُهُمْ بِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ
اللَّهُ عَلَيْكَ شَاؤُوا أَمْ أَبَوَا، وَضَائِقٌ مُعْطُوفٌ
عَلَى تَارِكٍ.

وَاسْتَعْمَلَ (ضَائِقٌ)، وَلَمْ يَقُلْ (ضَيْقٌ)
؛ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ بِمَعْنَى الْعُرُوضِ
وَالْحُدُوثِ وَالصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ بِمَعْنَى
اللزوم^(٣).

يَقُولُ الْوَاحِدِيُّ: «الضَائِقُ يَكُونُ بَضِيقٌ
عَارِضٌ غَيْرُ لَازِمٍ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ

(١) ظ: الصحاح: ٥ / ١٧٧٤، شرح المفصل: ٤ / ٥٦٩.

(٢) الكتاب ١: ١٦٧.

(٣) فتح القدير: ٢ / ٥٥١.

أفسح الناس صدرأ، ومثله قولك: زيد
سيد جواد تريد السيادة والجواد الثابتين
المستقرين، فاذا أردت الحدوث قلت:
سائد وجائد، والمعنى: ضائق صدرك
لأجل أن يقولوا (لولا أنزل عليه)»^(١).

وهناك من ذهب إلى أَنَّ (لعلّ) فيها معنى التشكيك، والمعنى: الزجر، فالعرب تقول للرجل: لعلك تقدر أن تفعل كذا مع أنه لا شك فيه، ويريد تأكيد معناه، بمعنى لا تتركه، والكنز هنا المال الكثير^(٢).

ويعلل اليزدي بأنّ (لعل) تكون للترجيّ الحاصل عند كل من: (المتكلم أو السامع أو الأسباب تقتضي هذا الترجي)، ورجح اليزدي دلالة (لعلّ) على النوع الثالث، أي أنّ أسباب نزول الآية تتطلب هذا الترجي)، فالنبي معصوم، ولا يمكن أن يترك رسالته؛ لكن ظروف الانسان تدعو إلى الانسحاب من المهام الملقة على عاتقه فنزولها كان لطمأننته بأنه نذير،

وغير مسؤول عن الناس سواء أكفروا أم آمنوا^(٣).

مما يشبه الآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون: ١٠٠ وتفسيره للحرف (لعلِّي) لا أكون على رجاء أن أعمل صالحاً^(٤).

واختلف المفسرون فيها: فذهب الجمهور إلى أنَّ (لعلَّ): تدخل في سلك الرجاء، وقيل بمعنى (كي)، فتفيد التعليل^(٥).

والنتيجة التي أفادتها الترجي و يجوز كونها للعلية، أي: لأعمل صالحاً، ويقول الرازي: « ليس المراد بلعلّ الشك فإنه في هذا الوقت باذل للجهد في العزم على الطاعة إن أعطي ما سأل، بل هو مثل من قصر في حق نفسه وعرف سوء عاقبة

(١) التفسير الكبير: ١٧ / ٢٠١

(٢) ظ: المصدر نفسه: ١٧ / ٢٠١

(٣) ظ: النبوة: ٦٩.

(٤) نظم الدرر ١٣ / ١٨٥.

(٥) ظ: روح المعاني: ٩ / ٢٦٣



ذلك التقصير»^(١).

الوحي والإعجاز:

إن أردنا معرفة شخص بآنه مُوحى إليه، وإخباره خلاف مجاري الطبيعة الاعتيادية يكون من قبل الذات الإلهية حصراً، فالمعجزة لا يستطيع الفعل المادي والمعنوي إزالتها، وترتبط بالوحي ارتباطاً مباشراً، فالأنبياء وحيهم وحي النبوة)، وغير الأنبياء يوحى اليهم وحي إلهام وعلم، وعلى سبيل المثال لا الحصر أم النبي موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص: ٧.

ومن أقسام الوحي العلمي الإيحاء إلى النحل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ سورة النحل: ٦٨ وهو وحي هداية إلهية؛ لبناء البيوت في تلك الصخور وسيقان الأشجار

والخلايا التي يصنعها الإنسان، واختيار لفظ (بيت) له آثار مرتبة على ذلك، وهو اختيار دقيق؛ فالأوكار والخلايا تصنع بشكل بسيط، وبيوت النحل لها نظامها الخاص والمنظم^(٢)، وهي مشار البحث بين المفسرين أيضاً قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ سورة النساء / ١٦٣

فإنزال هذه الآيات على الرسول جاءت ردّاً لليهود وتكذيباً لهم؛ لأن الله فضحهم بآياته التي أنزلها على رسوله وإرسال محمد بالنبوة كإرسال نوح و سائر الأنبياء^(٣).

ووجود الإعجاز ضروري لاثبات النبوة فليس منحصرًا بخرق العادة لإثباتها، واثبات المعجزة من تخصص العقائد والمتكلمين، وليس من تخصص الاصطلاحات القرآنية، ونبوة النبي

(١) التفسير الكبير: ٢٣ / ٢٩٣

(٢) ظ: معارف القرآن: ٣٨٣

(٣) المفردات: ٤٨٣



محمد ﷺ بَشَّرَ بِهَا أَنْبِيَاءَ سَابِقِينَ لَهُ كـ (موسى وعيسى)، فَإِنَّ إثبات نبوته لديه لم تكن ثابتة، ومن هنا فإنَّ الدليل العقلي ليس بالضرورة أن يتمتع كلُّ نبيِّ باعجاز، وهذا القول لا يعمم على جميع الأنبياء.

وورد معنى الإعجاز متضمنًا ألفاظًا أُخر، كلفظ (آية)، ويقصد بها المعجزة، وهي (العلامة) سواء أكانت حسيّة أم عقليّة لقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ سورة الاعراف: ٧٣، وقال أيضًا: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ سورة المؤمنون: ٥٠.

والآية تعني العلامة، وهي جزء من الوحي؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ سورة الاسراء / ١٠١

فهناك صفوة مختارة من الأشخاص أو البشر قد يكونوا غير أنبياء؛ لكنهم يشاركونهم في خصال معينة، فيوحى إليهم وحي إلهام، أمّا الوحي جبرائيل فقد اختصَّ به الله (سبحانه وتعالى) نبينا الكريم ﷺ فنقل إليه؛ أما الوصي فكلام الله يصل إليه نقلاً بالمعاني والمضامين، فسيدتنا مريم عليها السلام كلمتها الملائكة نقلاً عن الله (سبحانه وتعالى) مع أنها ليست بنبي ولا وصي لكن عصمتها ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ سورة ال عمران: ٤٢.

وأمّ موسى كلمّها الله تعالى مع أنها ليست معصومة قال تعالى: ﴿وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ سورة القصص: ٧

وأوحينا أي: ألهمنا وقذفنا في قلبها الطمأنينة، فهو (وحي اطمئنان وأمان وإرضاع)، وليس بوحي نبوة أو نوم^(١). وقيل: ألقى، أي: أوحى الله في قلبها،

(١) ظ: البيان في تفسير القرآن ٨: ١٣٢



فهو وحي على جهة الإعلام للضمآن لها^(١) ومن بين الذين أُوحي إليهم (الأسباط)، وهم أشخاص أوحى الله إليهم، ومن بينهم سيدا أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام؛ ولذا فإن مقولة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحبّ حسيناً، وأبغض الله من أبغض حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٢).

فهو وصي كلمه الله وأوحى إليه، والأوصياء، وهم يشاركون الأنبياء في خصال معينة، فيُوحى إليهم، وأسباط بني اسرائيل وهم أمم من بني اسرائيل، وقد اختلف في مسألة نبوتهم فتعددت الآراء والأقوال في هذه المسألة. الاجتباء:

قال تعالى: ﴿إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَايَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف: ٢٠٣.

اجتبي الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه، وقيل: اختلقها واجتباء الكلاك اختلاقه واختراعه وانتحاله من النفس، وكانوا يتهمون النبي إذا تأخر الوحي عنه بذلك، فأمره الله بأن يقول لهم: إنما أتبع ما يُوحى إليّ من ربي فما أنزله عليّ أبلغكم به. وبصائر جمع بصيرة، وهو القرآن، وقيل: الحجج والبراهين أو الطرق فسره الزّجاج^(٣).

يقول الفراء: العرب تقول اجتبيت الكلام وارتجلته واختلقته إذا افتعلته من نفسك، وليس لي ان اقترح على ربي، وإنما انتظر أمر الله فالقرآن بصيرة للسابقين، وفيه هدى للمقتصدين^(٤).

تساءل كثير من الناس عن سبب امتناع إرسال المعجزات للأنبياء واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ سورة الاسراء: ٥٩

(١) ظ: معاني القرآن ٤: ١٣٢ ١٣٣

(٢) المصنف ٧: ٥١٥.

(٣) ظ: فتح القدير: ٢ / ٣١٩.

(٤) التفسير الكبير: ١٥ / ١٠٦.



ويذكر المفسرون أن إرسال الآيات قبل زمن النبي محمد ﷺ لافائدة فيه؛ لأنه امتحنهم فوجدوها لاتنفع، ويرد اليزدي أنه لا ريب أن هذا المعنى غير صحيح، ولا يقصد به ما فسروه بل أن إرسال الآية كانت لإتمام الحجة مع علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون فهو لم يكن لغواً ولا عبثاً.

وذهب آخرون إلى أن هنالك وجهاً آخر وهو إنزال العذاب على الأئمة التي سبقت عذاب يستأصلهم ويفنيهم وهو ممتد عبر التاريخ، ومن بعدها يعطي (آية) فيكذبها الناس، وينزل عليهم العذاب فشرطوا في كلامهم لو أن الله أنزل هذه الآيات على الأمة لاستحقت العذاب الاستئصالي، ولكنه عز وجل لا يرى مصلحة في فنائهم حالياً فتبقى إلى يوم القيامة فلا ينزل عليها هذا العذاب^(١)، وهذا ما اختاره الطباطبائي.

أصل النبوة:

إن ألوان العذاب النازل على الأئمة السابقة لم يكن إثباتاً للنبوة (كدعاء نوح)

قومه إلى الوحداية ألف عام ولم يستجيبوا له، فطلب من الله إنزال العذاب عليهم فدمرهم الطوفان، ومثله تعذيب عاد وثمود ولوط، فلم يكن العذاب، وهو بصورته غير الطبيعية استئصال الكافرين.

والعذاب الذي ينزل على فئة معينة كمسح بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ سورة المائدة: ٦٠ فهذه الآية أشد الآيات توبيخاً فلولا ينهاهم ربانهم وأخبارهم (الفقهاء والعلماء) هم اليهود فكانوا يدخلون على النبي، ويطيعوه بإيمانهم ويرضون بما جاء به^(٢)

وهنا حذف للمضاف، والتقدير (بشر من أهل ذلك)؛ لأنه قال (من لعنه الله) ولا يقال: الملعون شر من ذلك الدين بل: إنه شر من له ذلك الدين، والمثوبة خاصة بالإحسان فجاءت بالإساءة وهذا على طريقة (بشرهم بعذاب أليم) و (من) في

(١) ظ: المصدر نفسه

(٢) فتح القدير: ٢ / ٦٥.



قوله تعالى (من لعنه الله) يحتمل وجهين
خبر لمبتدأ محذوف، وكأن القول: قل
هل أنبئكم بشر من ذلك؟ وكأن القائل
قال: من ذلك؟ فقليل: من لعنه الله.

فالقردة والخنازير أقوام مسخوا؛ لأن
القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار
مائدة عيسى، وروي: أن المسخين كانوا
في لأصحاب السبت، فالقردة لشبابهم،
والخنازير لمشايخهم^(١) منح إبراهيم و
زكريا ولد لم يكن اثباتاً للنبوَّة بل تقوية
الإيمان أو لمصالح أخرى، وهناك (نماذج
من العذاب النازل): فموسى عليه السلام زُود
بتسع آيات لاثبات نبوته ومنها: كعبور
البحر لقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي
إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا
إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

سورة الاعراف: ١٣٨ وجاوز الوادي،
أي: قطعه وخلفه وراءه، وأجاز المكان
و جوزه بمعنى جازه، فأتوا على قوم

يعكفون على أصنام لهم.

وقيل: يواظبون عليها، ويلازمونها^(٢)..
فهل قولهم لموسى عليه السلام صدر من كل بني
إسرائيل أو بعضهم؟ بعضهم له كان
مع موسى سبعون مختاراً فأجابهم بقوله
(إنكم قوم تجهلون)، فجعلهم بعبادتهم
وتليق بمن يصدر عنه الانعام بخلق
الجسم والحياة والعقل والقدرة وغيرها
من الأشياء التي ينتفع بها^(٣).

المطلب الثاني: الإمامة:

لفظ الإمام بمعنى القُدَّام فإمام
أي شيء يعني قدامه، ومن أصل حروفه؛
فالهزمة والميم، يتفرع منه أربعة أبواب،
وهي الأصل، والمرجع، والجماعة،
والدين. وهذه الأربعة متقاربة، وبعد
ذلك أصول ثلاثة، وهي القامة والحين
والقصد^(٤)

وإمامة مصدر من (أَمَّ)، وقوله: أَمَّهُم
وَأَمَّ بِهِم: تقدمهم، والإمام: كلُّ من اتَّهم
به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو

(١) ظ: التفسير الكبير: ١٢ / ٣٩

(٢) ظ: التفسير الكبير: ١٤ / ٢٣٢

(٣) ظ: المصدر نفسه

(٤) مقاييس اللغة (مادة أَمَّ): ١ / ٢١

ضالين، والقرآن إمام المسلمين، ونبينا محمد إمام الأئمة والخليفة أمام الرعية.^(١) وهو الطريق الواسع، قال تعالى: ﴿وإنَّهَا لِبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ سورة الحجر: ٧٩.

أما المعنى الاصطلاحي فلم يخرج عن المعنى اللغوي، فالإمام: هو الخليفة والعالم المقتدى به، ومن يُؤتم به في الصلاة، ويطلق على الذكر والانثى.^(٢)

يقول الراغب: «الإمام المؤتم به إنساناً كأن يقتدى بقوله أو بفعله، أو كتاباً أو غير ذلك مُحَقَّقاً كان أو مبطلاً وجمعه أئمة»^(٣).

وقال الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»^(٤).

، فالإمام هو القدوة الحسنة، واختلف بين المذاهب الإسلامية في تطبيق سلطتها هل هي دينية أم سياسية؟، فنحن الشيعة نجد أن ممارسة سلوكها سياسي وديني،

والإمامة ليست محصورة بإمام واحد،

(١) ظ: لسان العرب (مادة أئم): ١٢ / ٢٤

(٢) المصباح المنير: ٢٣ / ٢٤

(٣) المفردات: ١ / ٢٩

(٤) الاحكام السلطانية: ٣

(٥) ظ: المصدر نفسه: ٢١ / ٢٣



إذ جاء الإمام علي عليه السلام، ومن بعده اثنا

عشر إماماً، مختتماً بإمامنا المهدي عليه السلام، وقد اختص بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فوهبه الله بعد أن كان نبياً تحمل أعباء الرسالة فكان على مقام رفيع، على وفق عقد إلهي اصطفاه الله لعباده الصالحين.

والإمامة قول وفعل وتقرير، والإمام حجة على الناس تجب عليهم الطاعة، بخلاف النبوة التي تقتضي طاعة الأحكام الإلهية فقط، وصرح القرآن بلفظ الإمامة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام في آيات عديدة، ومنها: (أولي الامر، والذين آمنوا)، ويعدّ لفظ الإمامة من الألفاظ التي تطورت معانيها الدلالية ففي العصر الجاهلي أُطلق في العصر الجاهلي على خشبة أو خيط يسوى بها البناء

قال النابغة:

أبوه قبله، وأبو أبيه بنوا مجد الحياة على إمام^(١)

ويعني به (المثال) والإمام: خشبة

(١) ظ: ديوانه: ٦٧.

(٢) ظ: لسان العرب: ١٢ / ٢٥

(٣) ظ: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: ٩٩

(٤) ظ: الامامة والولاية: ٣٧

البناء والطرق والقدام^(٢).

وفي العصر الاسلامي تطوّر معناه إذ تكرر لفظ إمام في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم^(٣).

ومن بين المعاني: (المثال والقدوة كجعل سيدنا إبراهيم عليه السلام إمام، وكتاب الأعمال، واللوح المحفوظ أو الكتاب المقتدى به أو صحائف الأعمال أو التوراة، والطريق الواضح، والكتاب السماوي التشريعي وقائد القوم)

فالإمامة منزلة وهبها الله لنبينا إبراهيم عليه السلام نالها بعد ابتلاء واختبار كبير أثبت فيه أهليته، وهي مقام تشريعي وتكويني يطلق على شخص تتحقق فيه شروط معينة، ومنها العصمة).

إذن الإمامة من المعاني التي تطورت دلالتها فتأتي بمعنى (الرئاسة لأمر الدين و الدنيا، أو تحقيق المناهج الدينية بتطبيق أحكام الدين الاسلامي و بالاضافة إلى النبوة والرسالة، وهي هداية تكوينية^(٤)



وذهبت الإمامية إلى أن الامام يجب أن يكون منصوباً عليه بدليل قطعي منصوص عليه. فمنزلة الإمامة تلي النبوة، فالإمام هو الخليفة والعالم المقتدى به، ومن يؤتم به في الصلاة، ويطلق على الذكر والانثى، والإمام اسم لصفة وهبت لإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته المعصومين (صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين) إلى أن تصل إلى مولانا القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بدليلين عقلي ونقلي^(١).

وهناك خلط واضح بين الإمامة والنبوة والخلافة؛ إلا أن هنالك فروقاً بأدلة قرآنية وأحاديث بسند صحيح، ومنها حديث المنزلة فيه بيان واضح لإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي منزلة هارون من موسى عليه السلام نفسها فهو وزير له في حياته، وكذلك أمير المؤمنين (إلا أنه لا نبي بعدي).

وروي عن خالد بن الهيثم الفارسي قال: قلت لأبي الحسن الرضا: إن الناس يزعمون أن في الأرض أبدالاً، فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: «صدقوا، الأبدال

هم: الأوصياء؛ جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء؛ إذا رفع الأنبياء وختمهم بمحمد، وليست محصورة بإمام واحد، إذ جاء الإمام علي عليه السلام، ومن بعده اثنا عشر إماماً، مختتماً بإمامنا المهدي عليه السلام، وقد اختص بها سيدنا ابراهيم عليه السلام، فوهبه الله بعد أن كان نبيا تحمل أعباء الرسالة فكان على مقام رفيع، على وفق عقد إلهي اصطفاه الله لعباده الصالحين.

والإمام حجة على الناس تجب عليهم الطاعة، بخلاف النبوة التي تقتضي طاعة الأحكام الإلهية فقط، وهي لطف من الله، ولكل عصر لإمام يخلف النبي، ويهدي إلى الأقوم، وتعني استمرار للنبوة ونصّها من الله، وليست بمسألة اختيار أو انتخاب، وعاكس هذا المفهوم أهل السنة، ففكرة الانتخاب لديهم ملازمة لبعدها الخلافة.

ويبحث الشيخ اليزدي (رحمة الله عليه) منزلة الإمامة، وفيها قيادة المجتمع، ويمثلها قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ سورة القصص: ٥.

(١) ظ: الامامة والولاية: ٣٧



المؤمنين بقوله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبي بعدي»^(١).

وهو حديث متفق عليه بين إجماع الأمة الإسلامية^(٢).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ سورة الأحزاب: ٤٠

وقد أشار الشيخ الزيدي إلى الفرق الذي يتحصل منها فذكر أن المعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء، وهما من أقسام خرق العادة الأربعة، وبهما تتم الولاية التكوينية للنبي أو الامام، فالولي لا يستطيع الوصول إلى الولاية إلا بامتثاله لأوامر النبي وصاحب الكرامة مطيع للنبي ومقر بها والولاية الإلهية قسم خاص من الرحمة لاتنال لأي مؤمن ومتقٍ؛ لاختصاصه بالأتقياء من المؤمنين، وبها تتميز أنواع الولاية من حيث التشريع والتكوين، وفيها مراتب خاصة فلكل نبي درجات أعلاها الوحي القرآني من (حديث قدسي وروائي) في الیقظة،

وقال أيضًا: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ سورة الاعراف: ١٣٧.

فقد نال آل البيت عليهم السلام رتبة الإمامة من خلال اجتهاد وبلاء كبيرين، فأصبحوا أهلاً لتعلق إرادة الله و (الذين استضعفوا) إشارة إلى إيمانهم وليس بملاك حكم، فالمن على (الذين أضعفوا) ولم يختار تعالى (الذين آمنوا) فالحكم (نريد أن نمن)، وهو محمول على (استضعفوا)، وهو تعبير فيه عليّة وباكتمال النبوة أصبحت الرسالة بحاجة إلى الإتمام، فالناس بحاجة إلى من أحكام جديدة في الاجتماع وصعوبات الحياة؛ لذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة المائدة: ٣

وحديث المنزلة يخاطب فيه أمير

(١) صحيح البخاري ٥٨: ٣

(٢) النبوة: ٢٨٨



أنّه لا نبيّ بعدي)، ووجدناه يقول: (علي يقضي ديني وينجز مواعيدي، وهو خليفتي عليكم من بعدي)، فالخبر الأوّل الذي استنبط منه هذه الأخبار، خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضًا موافق للكتاب، فلمّا شهد الكتاب بتصديق الخبر، وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمّة الإقرار بها ضرورة، إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن والقرآن وافقها^(٢).

ووردت حقائق لهذه الأخبار من رسول الله ﷺ، وعن الإمامين الصادقين عليهما السلام، وقد نقلها أيضا أقوام معروفون، وأصبح الاقتداء بها واجب على كلّ المؤمنين لا ينكره إلّا أهل العناد والشقاق، فأقوال آل البيت عليهم السلام متصلة بالله تعالى، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ سورة الأحزاب: ٥٧

ومما يشابهه قول رسول الله ﷺ: «من أذى عليًا فقد أذاني، ومن أذاني فقد أذى

والنوم وتجلّي القرآن بالتجلي لا بالتجافي، ولكلّ نبي مرسل معجزة خارجة عن طاقة البشر بانت بين يديه في زمان ظهوره، وإسنادها إلى الرسول من باب الولاية، فالله يتولّى الصالحين، وهو المتولي للإعجاز، وبذلك تكون الولاية سيطرة الولي على من تحت ولايته، وألفاظ القرآن كمعانيه وحي إلهي وإلهام سماوي، وتفسيرها نبوي^(١).

وقد وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله بالنص مثل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ سورة المائدة: ٥٥.

وقد «روت العامّة في ذلك أخبار لأمر المؤمنين عليهم السلام لتصدّقه بخاتمه، وهو راع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه، فوجدنا رسول الله ﷺ قد أتى بقوله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه)، وبقوله: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا

(١) ظ: الوحي والنبوة: ١٣٥

(٢) بحار الأنوار ٥: ٦٩.



الله، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه»^(١).
وكذلك قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا
فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ،
وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ
أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ»^(٢).

الخاتمة

من بين أبرز النتائج التي توصل إليها
البحث ما يأتي:

يعدُّ الشيخ الزيدي (رحمه الله) رائدًا
ومؤسسًا للتفسير الموضوعي لقضايا
إسلامية كثيرة، ومنها القضية العقديَّة
(النبوة والولاية)، وأهمُّ ما يمكن
ملاحظته في ذلك أنَّه كان جادًا في البحث
عن تحليلها بالنصوص القرآنيَّة، وفيها
قرب التفسير الموضوعي، فأثبت كثرة
الآيات القرآنيَّة الخاصة بهاتين القضيتين
العقديتين، وحلَّها، وبين في أغلب آراء
شيخه واستاذه السيد الطباطبائي (رحمه
الله) ثم يبيِّن رأيه فيها.

إنَّ النبوة سفارة بين الله والعباد وذوي
العقول من العباد؛ لإزاحة علتهم في أمر

ومثل قوله ﷺ في بني وليعة (وهم
حي من كندة): «لأبعثن إليهم رجلاً
كنفسي يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله
ورسوله قم يا علي فسر إليهم»^(٣)
وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأبعثن إليهم
غدا رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله
ورسوله، كرّاراً غير فرار، لا يرجع حتّى
يفتح الله عليه»^(٤)، ففضى رسول الله ﷺ
بافتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه
أصحاب رسول الله ﷺ، فلمّا كان من
الغد دعا عليّاً عليه السلام فبعثه إليهم، فاصطفاه
بهذه المنقبة وسماه كرّاراً غير فرار، فسماه
الله محباً لله ولرسوله، فأخبر أنَّ الله ورسوله
يجبانه، وأمر الجبر والتفويض، والمنزلة

(١) المصدر نفسه ٣٩: ٣٣١

(٢) كنز العمال ١١: ٦٢٢.

(٣) بحار الأنوار ٥: ٦٩.

(٤) ظ: بحار الأنوار ٥: ٧٠.

(٥) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٧١.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
الأحكام السلطانية: لابي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، دار الحديث القاهرة،
٢. الإمامة والولاية في القرآن الكريم: مجموعة من المؤلفين، دار القرآن الكريم، ١٤١٢ هـ.
٣. الإمامة والولاية في القرآن الكريم: نخبة من العلماء، تحقيق: المجمع العالمي لأهل البيت، ط ١، مطبعة ليلى، ١٤٢٧ هـ.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر وأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: المجلسي (ت ١١١١ هـ)، ط ٢ مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
٥. البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء عليها السلام، د. ت.
٦. تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧ م.

معاشهم ومعادهم، وقد بدأت مع سيدنا نوح عليه السلام، فالإمامة تندمج مع النبوة، والفرق بينهما أن النبي يعدُّ بعداً مازال المجتمع بحاجة إليه، فيمتد دور الإمامة بعد انتهاء النبوة.

تحظى الإمامة بمنزلة كبيرة، وفيها قيادة المجتمع؛ لأن الإمامة امتداد للنبوة، ففي النبي تتحقق المعجزة وفي الأولياء تتحقق الكرامة، وصاحب الكرامة مطيع للنبي ومقر بها، والولاية الإلهية قسم خاص من الرحمة لاتنال لأي مؤمن ومتق؛ لاختصاصه بالأتقياء من المؤمنين، وبها تتميز أنواع الولاية من حيث التشريع والتكوين.





٧. التبيان في تفسير القرآن: لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٠٦ هـ)، تحقيق: احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، د. ت.
٨. تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تحقيق د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤.
٩. التفسير الكبير المسمى بـ (مفاتيح الغيب): فخر الدين بن ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤ هـ)، ط ١، دار الفكر، ١٩٨١.
١٠. ديوان أوس بن حجر: تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت، ١٩٨٠.
١١. ديوان النابغة الذبياني، شرح و تقديم: عباس عبد الساتر، ط ٣، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦.
١٢. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، ط ١، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
١٣. صحيح البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.
١٤. شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصللي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣ هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ٢٠٠١ م.
١٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، ط ٤، دار المعرفة، بيروت لبنان، ٢٠٠٧.
١٦. الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.



١٧. كتاب العين: ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، د. ت.

١٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ، ضبط: الشيخ بكري حياني، تصحيح: الشيخ صفوة السقا، ط ٥، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٩. لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت لبنان.

٢٠. مختار الصحاح: زين الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦ هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت صيدا، ط ٥، ١٩٩٩.

٢١. المدرسة القرآنية: محمد باقر الصدر، ط ٢، مطبعة ستار، ٢٠١٣.

٢٢. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله بن عبد الله الحاكم النيسابوري،

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٠.

٢٣. المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شعبة الكوفي العباسي (ت ٢٣٥ هـ) تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، ط ١، دار التاج - لبنان، ومكتبة الرشد - الرياض، ومكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٨٩.

٢٤. معارف القرآن: محمد تقي الصباح اليزدي، نقله إلى العربية: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط ١، ذوي القربى، النجف الاشرف، ١٤٢٦.

٢٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (٧٧٠ هـ)، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط ٢، دار المعارف، د. ت.

٢٦. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ابراهيم بن السري بن سهل) تحقيق: ابراهيم الاياري، دار الكتب الإسلامية، ١٩٨٢.



٢٧. معاني القرآن: النحاس ابو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ت.
٢٨. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، مصر، د. ت.
٢٩. المفردات في غريب القرآن: ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٣٠. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر
٣١. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٧ هـ.
٣٢. النبوة: محمد تقي المصباح الزيدي، نقله إلى العربية: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط ١، مطبعة أفق، ١٤٢٦ هـ.
٣٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م، دائرة المعارف العثمانية، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، ١٩٨٤ م.
٣٤. الوحي والنبوة: عبد الله الجوادي الأملي، ط ١، دار الاسراء، ١٣٨٧.



المؤشرات الديمقراطية في عهد الامام علي عليه السلام

أ. نور عباس رضا-الجامعة اللبنانية





الديمقراطية

(باليونانية:

δημοκρατία dēmokratía))

حرفياً «حكم الشعب» هي شكل من أشكال الحكم يشارك فيها جميع المواطنين المؤهلين على قدم المساواة - إما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين - في اقتراح، وتطوير، واستحداث القوانين. وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمكن المواطنين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. ومن أهم أسس الديمقراطية الالتزام بالمسؤولية واحترام النظام وترجيح كفة المعرفة على القوة والعنف.^(١) ويطلق مصطلح الديمقراطية أحياناً على المعنى الضيق لوصف نظام الحكم في دولة ديمقراطية، أو بمعنى أوسع لوصف ثقافة مجتمع. والديمقراطية بهذا المعنى الأوسع هي نظام اجتماعي مميز يؤمن به ويسير عليه المجتمع ويشير إلى ثقافة سياسية وأخلاقية معينة تتجلى فيها

مفاهيم تتعلق بضرورة تداول السلطة سلمياً وبصورة دورية. يعود منشأ ومهد الديمقراطية إلى اليونان القديم، إذ كانت الديمقراطية الأثينية أول ديمقراطية نشأت في التاريخ البشري.

على الرغم من أنه من المفهوم عموماً تعريف الديمقراطية عن طريق التصويت، لا يوجد إجماع على تعريف دقيق للديمقراطية. يقول كارل بوبر أن النظرية «الكلاسيكية» للديمقراطية هي ببساطة، «باختصار، النظرية القائلة أن الديمقراطية هي حكم الشعب، وأن للشعب الحق في الحكم». يقول كوفي عنان إن «هناك العديد من الأشكال المختلفة للديمقراطية مثل عدد الدول الديمقراطية في العالم». حددت إحدى الدراسات ٢٢٣٤ صفة تستعمل لوصف الديمقراطية في اللغة الإنجليزية.

تنعكس المبادئ الديمقراطية في تساوي جميع المواطنين المؤهلين أمام القانون والمساواة في الوصول إلى

(١) جميل حمداوي، التربية والديمقراطية. ديوان العرب:





يُستخدم مصطلح «الديمقراطية» أحياناً كاختصار للديمقراطية الليبرالية، والتي تعد نوعاً مختلفاً من الديمقراطية التمثيلية التي قد تتضمن عناصر مثل التعددية السياسية. المساواة أمام القانون؛ الحق في تقديم التماس إلى المسؤولين المنتخبين لإنصاف المظالم؛ الإجراءات القانونية الواجبة للحريات المدنية؛ حقوق الإنسان؛ وعناصر من المجتمع المدني خارج الحكومة. جادل روجر سكروتون بأن الديمقراطية وحدها لا يمكن أن توفر الحرية الشخصية والسياسية ما لم تكن مؤسسات المجتمع المدني موجودة أيضاً. في بعض البلدان، ولاسيماً في المملكة المتحدة التي نشأت نظام وستمنستر، كان المبدأ السائد هو السيادة البرلمانية، مع الحفاظ على استقلال القضاء. في الهند، تخضع السيادة البرلمانية لدستور الهند الذي يتضمن المراجعة القضائية. على الرغم من أن مصطلح «الديمقراطية» يستخدم عادة في سياق الدولة السياسية، فإن المبادئ تنطبق أيضاً على المنظمات الخاصة.

هناك العديد من أساليب صنع

العمليات التشريعية. على سبيل المثال، في الديمقراطية التمثيلية، يكون لكل صوت وزن متساو، ولا يمكن تطبيق أي قيود غير معقولة على أي شخص يسعى إلى أن يصبح نائباً،

وحرية مواطنيها المؤهلين مضمونة من خلال الحقوق والحريات الشرعية التي عادة ما يحميها الدستور. تشمل الاستخدامات الأخرى لـ «الديمقراطية» استخدام الديمقراطية المباشرة، إذ يتم التصويت مباشرة على القضايا من قبل الناخبين.

تقول إحدى النظريات أن الديمقراطية تتطلب ثلاثة مبادئ أساسية: السيطرة التصاعدية (السيادة التي تقطن أدنى مستويات السلطة)، والمساواة السياسية، والأعراف الاجتماعية التي ينظر الأفراد والمؤسسات بموجبها فقط إلى الأفعال المقبولة التي تعكس المبادئ الأولين للسيطرة التصاعدية والمساواة السياسية. غالباً ما يتم تحديد المساواة القانونية والحرية السياسية وسيادة القانون على أنها خصائص أساسية لديمقراطية تعمل بشكل جيد.



القرار المستخدمة في الديمقراطيات، لكن حكم الأغلبية هو الشكل السائد. بدون تعويض، مثل الحماية القانونية لحقوق الأفراد أو الجماعات، يمكن أن تتعرض الأقليات السياسية للاضطهاد من قبل «استبداد الأغلبية». حكم الأغلبية هو نهج تنافسي، يعارض الديمقراطية التوافقية، ويخلق الحاجة إلى أن تكون الانتخابات، والمشاورات بشكل عام، «عادلة» من الناحية الموضوعية والإجرائية، أي عادلة ومنصفة. في بعض البلدان، حرية التعبير السياسي، حرية التعبير، حرية الصحافة، وتعتبر ديمقراطية الإنترنت مهمة لضمان معرفة الناخبين بشكل جيد، وتمكينهم من التصويت وفقاً لمصالحهم الخاصة.

على أنها شكل من أشكال الحكومة يكون لجميع المواطنين المؤهلين فيها رأي متساو في صنع القوانين. على الرغم من أن الجمهوريات غالباً ما ترتبط بالديمقراطية بسبب مبدأ الحكم المشترك بموافقة المحكومين، إلا أنها ليست بالضرورة ديمقراطيات، إذ إنّ الجمهورية لا تحدد كيف يحكم الناس. يشمل مصطلح «جمهورية» كلا من الديمقراطيات والأرستقراطيات. بالمعنى الحديث، فإن الشكل الجمهوري للحكومة هو شكل من أشكال الحكم بدون ملك. بسبب هذه الديمقراطيات يمكن أن تكون جمهوريات أو ممالك دستورية، مثل المملكة المتحدة. ^(١)

كما تم اقتراح أن السمة الأساسية للديمقراطية هي قدرة جميع الناخبين على المشاركة بحرية وكاملة في حياة مجتمعهم. بتأكيداتها على مفاهيم العقد الاجتماعي والإرادة الجماعية لجميع الناخبين، يمكن أيضاً وصف الديمقراطية بأنها شكل من أشكال الجماعة السياسية لأنها تُعرّف

(١) Tangian, Andranik (2020) . Analytical Theory of Democracy: History, Mathematics and Applications. Studies in Choice and Welfare...



وبعد ذلك في عهد الإسكندر الكبير في القرن الرابع قبل الميلاد كتب الإغريق عن دولتي ساباركايي وسامباستايي، اللتين كانت تحكمان فيما يعرف اليوم بباكستان وأفغانستان، «وفقاً للمؤرخين اليونانيين الذين كتبوا عنهما في حينه فإن شكل الحكومة فيهما كان ديمقراطياً ولم يكن ملكياً».

محاسن الديمقراطية:

• الاستقرار السياسي:

من النقاط التي تُحسب للديمقراطية هو أن خلق نظام يستطيع فيه الشعب أن يستبدل الإدارة الحاكمة من دون تغيير الأسس القانونية للحكم، تهدف من خلاله الديمقراطية إلى تقليل الغموض وعدم الاستقرار السياسي، وطمأنة المواطنين بأنه مع كل امتعاضهم من السياسات الحالية فإنهم سيحصلون على فرص منتظمة لتغيير حكامهم أو تغيير السياسات التي لا تتفق وآرائهم. وهذا نظام أفضل من الذي تحدث فيه التغييرات عبر اللجوء إلى العنف. البعض يعتقد بأن الاستقرار السياسي أمر مفرط إذا ما بقيت المجموعة الحاكمة في مدة

الديمقراطي. كان نصف أو ربع سكان أثينا الذكور فقط لهم حق التصويت، ولكن هذا الحاجز لم يكن حاجزاً قومياً ولا علاقة له بالمكانة الاقتصادية فبغض النظر عن درجة فقرهم كان كل مواطني أثينا أحرار في التصويت والتحدث في الجمعية العمومية. وكان مواطنو أثينا القديمة يتخذون قراراتهم مباشرة بدلاً من التصويت على اختيار نواب ينوبون عنهم في اتخاذها. وهذا الشكل من الحكم الديمقراطي الذي كان معمولاً به في أثينا القديمة يسمى بالديمقراطية المباشرة أو الديمقراطية النقية. وبمرور الزمن تغير معنى «الديمقراطية» وارتقى تعريفها الحديث كثيراً منذ القرن الثامن عشر مع ظهور الأنظمة «الديمقراطية» المتعاقبة في العديد من دول العالم.

أولى أشكال الديمقراطية ظهرت في جمهوريات الهند القديمة والتي تواجدت في فترة القرن السادس قبل الميلاد وقبل ميلاد بوذا. وكانت تلك الجمهوريات تعرف بالـ ماها جانا باداس، ومن بين هذه الجمهوريات فيشالي التي كانت تحكم فيما يعرف اليوم ببيهار في الهند والتي تعتبر أول حكومة جمهورية في تاريخ البشرية.



إلى أن الديمقراطيات مهيأة أكثر للانتصار في الحروب من الأنظمة غير الديمقراطية. وتفسير ذلك أن السبب الرئيس يعود إلى «شفافية نظام الحكم واستقرار سياساتها حال تبنيتها» وهو السبب وراء كون «الديمقراطيات قادرة أكثر على التعاون مع شركائها في خوض الحروب». هذا فيما تُرجع دراسات أخرى سبب هذا النجاح في خوض الحروب إلى التجنيد الأمثل للموارد أو اختيار الحروب التي فيها فرص الانتصار كبيرة.

• انخفاض مستوى الفساد:

الدراسات التي أجراها البنك الدولي توحى بأن نوع المؤسسات السياسية الموجودة مهم جداً في تحديد مدى انتشار الفساد: ديمقراطية، أنظمة برلمانية، استقرار سياسي، حرية الصحافة كلها عوامل ترتبط بانخفاض مستويات الفساد.

• انخفاض مستوى الإرهاب:

تشير البحوث إلى أن الإرهاب أكثر انتشاراً في الدول ذات مستوى متوسط حريات سياسية. وأقل الدول معاناة من الإرهاب هي أكثرها ديمقراطية.

طويلة على سدة الحكم. ومن ناحية أخرى هذا أمر شائع في الأنظمة غير الديمقراطية.

• التجاوب الفعال في أوقات الحروب:

إن الديمقراطية التعددية كما يظهر من تعريفها تعني أن السلطة ليست مركزة. ومن الانتقادات التي توجه إلى الديمقراطية أن عدم تركيز السلطة هذا في الديمقراطية قد يكون من السيئات إذا كانت الدولة في حالة حرب، إذ يتطلب الأمر ردّاً سريعاً وموحداً. فعادة يتعين على البرلمان إطاء موافقته قبل الشروع بعملية عسكرية هجومية، رغم أن بإمكان الفرع التنفيذي أي الحكومة في بعض الأحيان القيام بذلك بقرار خاص وإطلاع البرلمان على ذلك. ولكن إذا ما تعرض البلد الديمقراطي إلى هجوم عسكري فالموافقة البرلمانية لن تكون ضرورية للشروع بالعمليات الدفاعية عن البلاد. بإمكان الشعب أن يصوت قرار بتجنيد الناس للخدمة في الجيش. أما الأنظمة ملكية ودكتاتورية فتستطيع من الناحية النظرية في حالات الحرب التصرف فوراً وبقوة. ولكن مع ذلك تشير البحوث الواقعية



• انخفاض الفقر والمجاعة:

بحسب الإحصائيات هناك علاقة تبادلية بين ازدياد الديمقراطية وارتفاع معدلات إجمالي الناتج القومي للفرد وازدياد الاحترام لحقوق الإنسان وانخفاض معدلات الفقر. ولكن هناك مع ذلك جدل دائر حول مدى ما يمكن أن يُنسب من فضل للديمقراطية في ذلك. وهناك العديد من النظريات التي طُرحت في هذا المجال وكلها موضع جدال. إحدى هذه النظريات هو أن الديمقراطية لم تنتشر إلا بعد قيام الثورة الصناعية والرأسمالية. وما يبدو للعيان من ادلة من خلال مراجعة الدراسات الإحصائية تدعم النظرية القائلة بأن ازدياد جرة الرأسمالية - إذا ما قيست على سبيل المثال بواحد من المؤشرات العديدة للحرية الاقتصادية والتي استخدمها محللون مستقلون في مئات من الدراسات التي أجروها - يزيد من النمو الاقتصادي والذي يزيد بدوره من الرفاهية العامة وتقلل الفقر وتؤدي إلى الديمقراطية. هذا من الناحية الإحصائية، وهناك استثناءات معينة مثل الهند التي هي دولة ديمقراطية ولكنها ليست مزدهرة، أو دولة بورنيو

التي تمتلك معدلاً عالياً في إجمالي الناتج القومي ولكنها لم تكن قط ديمقراطية. وهناك أيضاً دراسات أخرى توحي بأن زيادة جرة الديمقراطية تزيد الحرية الاقتصادية برغم أن البعض يرى وجود آثار سلبية قليلة جداً أو معدومة لذلك.

• نظرية السلام الديمقراطي:

إن نتائج العديد من الدراسات المستندة إلى معطيات وتعريفات وتحليلات إحصائية متنوعة كلها أظهرت نتائج تدعم نظرية السلام الديمقراطي. فالديمقراطيات الليبرالية بحسب تلك الإحصائيات لم تدخل قط في حروب مع بعضها. والبحوث الأحدث وجدت بأن الديمقراطيات شهدت حروباً أهلية أقل أيضاً أو ما يطلق عليها الصراعات العسكرية داخل الدولة، ولم ينجم عن تلك الحروب أكثر من (١٠٠٠) قتيل، أي ما معناه بأن الحروب التي حدثت بين الديمقراطيات بحالات قتل أقل وبأن الديمقراطيات شهدت حروباً أهلية أقل. قد توجه انتقادات عديدة لنظرية السلام الديمقراطي بما فيها الإشارة إلى العديد من الحروب التاريخية ومن أن عدم وقوع الحروب ليس سبباً مرتبطاً بنجاحها.



• انخفاض نسبة قتل الشعب:

تشير البحوث إلى أن الأمم الأكثر ديمقراطية تتعرض إلى القتل بدرجة أقل من قبل حكوماتها.

• السعادة:

كلما ازدادت جرعة الديمقراطية في دولة ما ارتفع معدل سعادة الشعب.

الديمقراطية الدينية:

لا تنسجم الديمقراطية الغربية والديمقراطية الدينية أو الإسلامية في المبنى والأصول، فالديمقراطية الغربية هي تعبير عملي عن نظام الفكري الليبرالي، وفي جذورها وأصولها تستند إلى القول بأصالة الفرد^(١) وهدفها الأساس هو إعطاء الأصالة للإنسان بصفته كائناً غير مسؤول أمام الله.^(٢)

والمساعي المبذولة لخلق الانسجام بين الديمقراطية الإسلامية والغربية إن هي إلا نتيجة للاستضعاف الفكري.^(٣) لأن الدين الإسلامي يمتلك منظومة سياسية اجتماعية حضارية كاملة^(٤)، وبواسطتها يمكنه من قيادة البشرية إلى بر الأمان، من دون الاستناد إلى عوامل ذات صلة بالاستبداد أو بالديكتاتورية أو بالليبرالية وتقديس الفرد على حساب المجتمع، ولا بالجدلية التاريخية (الماركسية) القائمة على تقديس المجتمع وإلغاء الفرد... بل ينطلق الإسلام وفق رؤيته للكون والحياة، وعلى أساس أصوله المستمدة من القرآن وسنة محمد وصحبه وسيرتهم. رغم وجود الاختلاف الأصولي بين الديمقراطية الإسلامية والديمقراطية الحديثة، فإن هناك أوجه التشابه في مرحلة الإجراء

(١) نبوى، السيد عباس، (بهمن ١٣٧٨)، الديمقراطية والحكم الإسلامي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، - عدد ٥، ص ١٨٣.

(٢) مجلة كيان، نموذج التفكير الديني في الحكم السوداني (الغوى انديشه دينى در حاكميت سودان)، عدد ١٢.

(٣) نبوى، السيد عباس، (بهمن ١٣٧٨)، الديمقراطية والحكم الإسلامي، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، - عدد ٥، ص ١٨٣.

(٤) مجلة كيان، نموذج التفكير الديني في الحكم السوداني (الغوى انديشه دينى در حاكميت سودان)، عدد



والعمل وهذا التشابه يسبب مقارنة بين الإسلام والديمقراطية، فليس من الموضوعية المقارنة بين جزء من نظام آخر، فالجزء لا يمكن أن تتضح مفاهيمه إلا عبر موقعه من نسيج النظام الذي ينتمي إليه، ومن هنا ستكون المقارنة على النحو الشائع بين أوساط الكثير من المثقفين المسلمين وغيرهم خلقة بمفهومى الإسلام والديمقراطية وهذا من الأخطاء الشائعة بل تصح المقارنة عند المقارنة بين الإسلام والليبرالية كنظامين لرؤية الكون وكمصدرين للقيم، وتصح المقارنة أيضاً عندما يتم مقارنة جزء من نظام مع جزء يقابله من النظام الآخر^(١).

بالمختصر، فإن الديمقراطية تعني أن القوانين التي تحكم البلاد هي القوانين التي صوّت عليها أغلب المواطنين، وصارت سارية المفعول، وأصبح الجميع ملزماً بتطبيقها والانصياع إليها.

والديمقراطية بالشكل الذي وضحنه لا تنسجم مع الإسلام، لأن الحكم والتشريع في الإسلام مختص بالله سبحانه،

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٢) فهو عز وجل وحده العالم بما يصلح حال الإنسان والمجتمع في كل زمان ومكان، وما على الإنسان إلا العمل بأوامر الله ونواهيه، وهذا الخضوع هو مصداق للعبودية التي توصل الإنسان إلى درجة الكمال والسعادة المطلقة.

والديمقراطية المعمول بها الآن في المجتمعات الغربية تدعو إلى فصل الدين وأحكامه عن معترك الحياة السياسية، وهذا من وجهة نظر الإسلام تمرد على أحكام الله عز وجل، لأنها أخذت حق الحاكمية والتشريع من الله ومنحته للإنسان، وهذا شرك حاربه الله ورسوله ﷺ.

أما إذا كان المقصود من الديمقراطية أن يضع الشعب نصب عينيه الأحكام والقوانين الإلهية، ويجعلها الإطار الذي يتحرك فيه لبلوغ أهدافه، فلا يكون هناك أي تعارض بينها وبين الإسلام. وقد أشار الإمام الخميني (قدس سره) إلى

(١) موقع ويكيبيديا/ محمد أحمد عبد الفتاح / ٢٢-٣-٢٠٠٣

(٢) [سورة يوسف، الآية ٦٧]



حكمه التي شابهها الكثير من المعارضة والفتن الداخلية من قبل من كانوا متنفذين ومساهمين في عرقلة المسيرة العادلة لفترة حكم الامام، وهو الذي لم يجبر أحد على مبايعته لا من العامة ولا من السادة. وقد وضع على الوردي في ذلك (ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن ديمقراطية هذا الرجل وصلت إلى درجة يعجز عن الوصول إليها كثير من حكام القرن العشرين)^(٣).

وبذلك استطاع أن يصحح الكثير من الأخطاء التي ترتبت على سياسات عقيمة مورست قبله لذلك استشاط هؤلاء المتنفذين غضبا وأكالو كل التهم لهذا الإمام وشرعوا في جعل المؤامرات تأخذ كل حيز تفكير الإمام في أدارته للدولة ولولا هذه المؤامرات لوصل الأمر إلى أن يصنع دولة تتمتع من حقوق الإنسان جانبا مهما وكبيرا. فقد كان سلام الله عليه لا يفرق بين من هو من صلبه وعامة الشعب كما جاء في إحدى رسالاته

هذا بقوله: (إن المعيار هو رأي الشعب)، وفي الحالات التي يخرج فيها الشعب عن الأسس التي وضعها الإسلام فلا اعتبار لرأي الشعب في مثل هذه الحالات.

ولربّ سائل يسأل: إذن ما معنى الآية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(١) فنقول: ليس المراد من ذلك إعطاء الصلاحية للشعب ليناقدش ويغير حلال الله وحرامه، لأنه تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٢).

فالمقصود من المشاورة هنا مشاورة الرسول ﷺ للمسلمين في الأمور العامة، كمشاورته لهم في أمر القتال وكيفيته الذي شرعه الله وأمر به المسلمين.

لا يمكن لأي مسلم أو غير مسلم في مغارب الأرض ومشارقتها ينكر شخصية الإمام علي بن أبي طالب الذي تربى في حجر الرسول الأكرم محمد ﷺ وأشرف خلق الله ونبهه المختار.

وقد استطاع الإمام من أن يجعل فترة

(١) [سورة الشورى، الآية ٣٨]

(٢) [سورة الأحزاب، الآية ٣٦]

(٣) علي الوردي: الديمقراطية في الإسلام



إلى أحد ولاته ويقول فيها (فَوَالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولما تركتهما حتى آخذ الحق منهما)^(١).

وهذا الدليل الأكبر على أن الإمام كان ينظر إلى الناس سواسية كأسنان المشط وقد كان حديثه مع ابن عباس قمة في الارتقاء نحو دولة الحرية والديمقراطية واحترام الإنسان قبل كل شيء «دخل عليه تلميذه عبد الله بن عباس يوماً فوجده يخصف نعله، فعجب ابن عباس من أن يخصف أمير المؤمنين عليه السلام نعله بنفسه، وهو يحكم مناطق شاسعة من العالم القديم، فقال عليه السلام لابن عباس: ما قيمة هذه - مشيراً إلى نعله - ؟ قال ابن عباس: لا قيمة لها.

فقال عليه السلام: والله لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أَقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعُ بَاطِلاً. فالحكم عند الإمام هو الفرق بين الحق والباطل وبين ما تعتمر به قلوب العامة هو نفسه الذي يجب أن يعتمر في قلب كل حاكم ووالي لذلك كان ليتواني في إرشاد وتوجيه ومعاينة من يخطئ من ولان

ولاياته ولا يجامل أحد منهم على حساب العامة من الشعب واستعمل منهم في كل البقاع الإسلامية من خيار المسلمين الثقة حفاظاً على حقوق العامة (أمثال مالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وسهل بن حنيف، وحبر الأمة عبد الله بن عباس، ونظرائهم من الذين توفرت فيهم الخبرة النامة في شؤون الحكم والإدارة).

وقد كان الإمام عليه السلام يزودهم قبل توليهم برسالة يحدد لهم مسار الحكم ورؤيته حول العدل بين الرعية وهو العدل في وقته وزمانه وكان دائم التفكير في حقوق الناس وكان غزير الدمعة إزاء أحوال المسلمين وكثير الخوف من الله سبحانه وتعالى وكان يحمل من الأخلاق الحميدة ما تزود منه من المدرسة المحمدية التي قال فيها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابة (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^(٢)

وكان في المجتمع الإسلامي في الكوفة من الذين استفادوا في العهود السابقة كالأشعث، وعمرو بن حريث، وشبث بن ربعي مما كانوا يحاولون أن يدسوا

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي، خطبة ٢٢٤

(٢) [سورة القلم، الآية ٤]



معيشته كأضعف الناس، ويقول: (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره) فقد كان الإمام يصور لنا نظرتَه إلى العمق التاريخي للبشريَّة ويحتكم إلى الإنسان في كل الأمور ولم يكن يطرح في كلامه وحياته البعد الإسلامي فقط بل كان إنسانيا بكل معنى الكلمة فقد كان يقول سلام الله عليه (أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) مما يدل على بصيرة جلية على أن هذا الإمام كانت كلماته وعظاته وحياته التي كان فيها خارج الخلافة وفي الخلافة (لان إمامته على امتداد حياته الشريفة موجودة ومن بعده ابناءه المعصومين) .

تمثل البعد التاريخي للإنسانية اليوم وغدا وحتى قيام الساعة وقد كانت نظرتَه البعيدة سلام الله عليه من قوله (نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ) وقد استقى هذا من أشرف ما موجود على وجه الخليقة الأول من كلام الله سبحانه وتعالى ومن المدرسة المحمدية الشريفة المستقاة علومها من الله سبحانه وتعالى كما قال الإمام عليه السلام:

الدسائس والمكائد مع اللعين معاوية فلذلك كان الإمام عليه السلام يحاول أن يصلح الناس بالطرق السلمية فكان يحاول أن يصلحهم بالحوار والجدال متخذا من مبادئ حرية الرأي وكان بإمكانه أن يطيح برؤوسهم وان يزجهم في السجن وهو الحاكم المطلق لأربع قارات بدون منازع ولكن كانت أخلاقه ومبادئه تمنع من أن يتخذ هذا القرار الصعب على الصالحين فيقول عليه السلام: (لولا أن المكر والخداع في النار لكنتُ أمكر الناس) .

فقد كان الإمام يتمتع بالأخلاق المحمدية الشريفة فقد كان مصداقا بارزا للآية الكريمة التي تقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(١) وقد كان أقسط الناس بعد الرسول الكريم وكان إذا تساوى نفسه مع عامة الناس وكان يخطط ملابسته بنفسه ويخفف نعله وكان اصبر الناس على الضيم والظلم وقد كان عليه السلام يسد جوعته بكسرة خبز يابسة، ويأتمم الملح ليكون مستوى

(١) [سورة النساء، الآية ١٣٥]



الاعتزال، وقبل منهم ما قدموا من عذر، وقام دونهم يمنع الثائرين من أن يصلوا إليهم.

وهذا إذا دل فإنما يدل على عمق الحرية والديمقراطية التي كان يتمتع بها الإمام والتي غابت على الإسلام والمسلمين منذ استشهاد ولحد الآن التي غابت ونسيها المسلمين وما كانت فلسفته في الحرية والديمقراطية لا يمكن ان تصاغ في الوقت الحاضر وممارستها حتى إلى أقرب الناس إليه ألا وهم أبناء ومنهم الإمام ين المفترضين الطاعة الحسن المجتبي وأبا عبد الله الحسين سلام الله عليهم أجمعين. وقد قيل الكثير في الإمام من الأعداء قبل الأصدقاء ويدلل ذلك على تأثيره في الرسالة المحمدية العظيمة وستذكر منها أكراما له باستذكارنا له في يوم استشهاد.

قال الدكتور طه حسين: (كان الفرق بين علي عليه السلام ومعوية عظيماً في السيرة والسياسة، فقد كان علي مؤمناً بالخلافة ويرى أن من الحق عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس، أما معاوية فإنه لا يجد في ذلك بأساً ولا جناحاً، فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون، وكان

عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، كُلُّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ.

كان الإمام عليه السلام ثائراً من الطراز الأول ضد الترف والانحراف الذي يضر الإنسان بغض النظر عن دينه وجنسه لذلك كان مريديه قلة لان الأفكار التي كان ينادي بها تسابق العصر الذي كان يعيش به وقد كان سلام الله عليه مثالا للتجديد الديمقراطي في حكم الدولة الإسلامية الناشئة ولم يكن ألا رجلا استطاع أن يأسر قلوب المؤمنين ويعيش في دولة أرادها الله سبحانه وتعالى ضوء ونبراس لكل الأحرار وليثبت للعالم اجمع أن الإسلام هو الأب الشرعي للديمقراطية وحرية الرأي، إذ قال علي الوردي (وهو في الواقع آخر حاكم في تاريخ الإسلام انثالت العامة على بيعته طوعا واختياراً).

وقد أشار هو إلى ذلك، إذ قال: "إنَّ العامة لم تباعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر". أما الخاصة فقد بايعه معظمهم. وحين رفض بعضهم بيعته تركهم أحراراً، فلم يجبر أحد منهم عليها، وإنما خلى بينهم وبين ما أرادوا من



الزاهدون يجدون عند علي ما يحبون^(١)

مؤشرات الديمقراطية في عهد الامام علي عليه السلام:

١ - حرية التعبير واحترام المعارضة:

ومن باب تبيان تطبيقات الإسلام بخصوص التعددية، فإن ما انتهجه خليفة رسول الله، الإمام علي عليه السلام في زمن حكومته، من إيمان بالتعددية السياسية، وقبوله للمعارضة السياسية كحق للتعبير عن الراي، خير مثال، إذ عقم التأريخ من أن يذكر لنا بأنه عليه السلام قهر أحدا على القبول به حاكما من خلال فرض البيعة مثلا، بل على العكس تماما، قبل عليه السلام فريق من المسلمين على الرغم من عدم مبايعتهم له، ولم يعترض عليهم أو يذكرهم أو يضيق عليهم بموقف ما، بل ومنحهم كل حقوقهم دون نقصان، كموقفه عليه السلام مع جماعة الخوارج على الرغم من علمه بنواياهم اقرارا منه لمبدأ التنوع السياسي والتعددية السياسية والحق في إبداء الراي، في وقت كانوا يكيلون له

شتى أنواع التهم والسباب، بل ويعملون ضده بروح الفريق السياسي الحزبي الهادف للإسقاط فحسب، في حين نجده عليه افضل الصلاة وأتم التسليم يمنحهم «حقوقهم» بتمامها وكما لها إن لم نقل أكثر منها في وقت لم يذكر لنا التأريخ أن منح خصم لخصمه هكذا حقوق غير الإمام علي عليه السلام لخصومه الخوارج وهي حق المعارضة السياسية، وحق النفقة من بيت المال، وحق التجمع؛ وهو ما بينه عليه افضل السلام في قوله لهم: «إن لكم علينا أن لا نبذكم بقتال، وأن لا نقطع عنكم الفيء، وأن لا نمنعكم مساجد الله».^(٢)

والأمر نفسه حصل بينه عليه السلام وبين الخط السياسي المناوئ له بُعيد تسنمه إدارة شؤون المسلمين وقبيل حرب الجمل، والمتمثل بطلحة والزبير، إذ قصدا العمرة تقنعا، متوجهين صوب البصرة لتأسيس قوى معارضة مسلحة ضده عليه السلام، وعلى الرغم من علمه بذلك مسبقا، ومعرفته بقصودهما الغدرة وليس العمرة

(١) رائد محمد / موقع الشيعة / ١٧-٥-٢٠١٢

(٢) علي بن أبي طالب. "نهج البلاغة"، جمعه الشريف الرضي. رسالة الإمام علي إلى الخوارج بعد معركة النهروان.



إذ قال عليه السلام: «إِنِّي أَذْنْتُ لَهَا مَعَ عِلْمِي بِمَا قَدْ انْطَوِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ وَاسْتَظْهَرَتْ بِاللَّهِ عَلَيْهِمَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سِيرَدَ كَيْدِهِمَا وَيُظْفِرُنِي بِهِمَا» ولكنه لم يمنعهما من ذلك ولم يلجئهما للحبس أو الإقامة الجبرية!!! إيماننا منه بأهمية بل وبضرورة التنوع والتعدد في وجهات النظر.

أما في زمن معارضة الإمام علي عليه السلام كمرحلة سابقة لتسلمه زمان الأمور، وعلى الرغم من كونه الخليفة الشرعي للنبي محمد صلوات الله عليه وآله وخير من يمثل منهجه الحق، ورغم إيمانه بحق المعارضة وبالتالي حق التعددية السياسية، إلا أنه لم يمارس دور المعارض كما هو متعارف عليه اليوم سياسياً، حقناً منه للدماء وحفاظاً على بيضة الإسلام، لذلك نراه يؤكد على سلمية موقفه من الفرقة التي بخسته حقه الشرعي كتتمة للخط النبوي، فتراه يقول: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي يَقْصِدُ حَقَّ إِدَارَتِهِ لَشُؤْنِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خِلَالِ حَقِّهِ الْإِلَهِيِّ فِي الْإِمَامَةِ كَحَلْقَةِ تُتِمُّ الْمَنْهَجَ النَّبَوِيَّ وَوَاللَّهِ لَا سُلَيْمَنَ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ،

وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، التَّمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرَجِهِ»^(١)، ما يجعل المتبع منا يكتشف بأن لمعارضته عليه السلام، منطلقات قرآنية ونبوية، قوامها ردم الفجوة بين النظرية الإسلامية وتطبيقاتها كما حدث ذلك خلال فترة حكم الخليفة السياسي الثالث عثمان بن عفان وانحيازه بعيداً عن النظرية الإسلامية القويمة في إدارة شؤون الأمة.

وعلى هذا، فإن المعارضة العلوية قد اتسمت بجملة سمات، أهمها:

- الهدفية الإيجابية، إذ إنَّها لا تهدف إلى تسنم السلطة، إنما لهدف إصلاحي بحث، لو تحقق لما كان للمعارضة من داعي للبقاء.

- السلمية، فلم يتوسل عليه السلام بغير لسانه وتذكيره بالسنة النبوية الشريفة في الحكم.
- العلنية، لأن الأصل في ذلك هو نصيح السلطان وتصويب سلوكياته.
- التأني والصبر، إذ إنَّه لم يقبل بالانقلاب السريع، لئلا يكون له تأثير سلبي، فراح ينتهج الصبر على التغيير

(١) علي بن أبي طالب، "الخطبة الشقشقية"، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي.



والتشوير، فتراه يقول: «وظفقت أرثتي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً»، فكان بذلك صبورا لأن معاش المسلمين تحتم عليه ذلك، خصوصا وإن الإسلام ما زال خديجا طريا، والأعداء ما زالوا يتبرصون به الدوائر.

لذا فإن معارضته عليه السلام هدفت الى الإصلاح كهدف أسمى من التسلط، مع وضوحها وبعدها عن أساليب المختلة والتخفي مما يمارسه المعارضون عادة، كما اتسمت المعارضة العلوية بالمنهجية المبدئية كالترزام منه عليه السلام للخط القرآني المحمدي في نظم شؤون الأمة، فضلا عما اتسمت به هذه المعارضة الحكيمة من سلمية حفظا للدماء، ناهيك عن أخلاقيّة الفارس النبيل التي اتسمت بها هو سلام الله عليه بغية وصوله لهدفه النبيل بشكل راسخ وليس عشوائي، وبذلك استطاع عليه السلام ان يتحصل على رضا ربه ومن ثم من يقع تحت ولايته، بل وآسر حتى قلوب مخالفيه بما انتهجه من منهج،

سواء أيام ما كان معارضا او عندما صار حاكما.^(١)

٢- احترام حقوق الانسان:

تجلت في دولة الامام علي صياغة حقوق الإنسان بأجمل صورها وأروع مثلها، وذلك من خلال دعامين وركيزتين أصر عليهما الإمام أمير المؤمنين في دولته المباركة.

الركيزة الأولى: النظام الاقتصادي العادل:

لا توجد إيدلوجية تحترم الإنسان مالم يكن لها فلسفة اقتصاديّة، النظام الاقتصادي هو عصب حركة العالم كله، فلا يمكن لأي جهة أن تطرح مشروعاً يقود البشريّة نحو التقدم مالم يكن لها نظام اقتصادي، ومالم يكن لها رؤية اقتصاديّة، إذن علي بن أبي طالب عندما أسس دولة الإنسان أيضاً وضع رؤية اقتصاديّة في هذا المجال وذلك من خلال التركيز على قانونين: الموازنة بين روافد الإنتاج وموارد التوزيع.

أي اقتصاد يقوم على هذين الركنين روافد إنتاج وموارد توزيع، وما لم تكن





هناك موازنة بين الطرفين فإن الثروة لا يمكن أن تؤتي ثمارها بأن تصل إلى أصحابها وتغطي حاجات المجتمع بأسره. إذا جئنا للمقارنة في مجال الموازنة بين روافد الإنتاج وموارد التوزيع بين الرؤية العلوية وبين الرؤية الرأسمالية نجد الفرق هو في الفلسفة: هل الإنتاج هدف أم وسيلة؟

في النظام الرأسمالي الذي يسيطر على العالم اليوم الإنتاج هدف، للإنسان هدف أن يربح، للإنسان هدف أن ينتج، للإنسان هدف أن يصل إلى أعلى درجات الربح والثروة، الإنتاج في حد ذاته هدف، بينما بحسب الرؤية العلوية الإنتاج مجرد وسيلة لاستقرار الحياة الاجتماعية المندمجة والمتزجة بالحياة الاقتصادية، ولأجل أن الإنتاج مجرد وسيلة إذن دور السلطة التنفيذية هو الموازنة بين روافد الإنتاج وموارد التوزيع بحيث لا يغلب أحدهما على الآخر.

لاحظوا مثلاً عندنا في التشريع الإسلامي كما ورد عن الرسول محمد: "من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له" بإمكانك أنت أيها الإنسان -بوصفك مواطناً- أن

تخرج إلى الصحراء وتحيي أرضاً شاسعة وتصبح هذه الأرض لك، سواء أحييتها بزراعة أو بناء، هذا إنتاج، لكن هل هذا هدف في حد ذاته أم أنه مجرد وسيلة لاستقرار الحياة الاجتماعية؟ هو مجرد وسيلة، لذلك لا بد من الموازنة بين رافد الإنتاج ومورد التوزيع، لو كان مثلاً إنساناً يمتلك شركات كبرى واستطاع من خلال شركاته أن يستثمر أرض تبلغ خمس مئة كيلو متر إلا أنه ليس له الحق في أن تعطى له بذريعة حقه في التملك، أو في ذريعة حريته الاقتصادية؛ لأنه لا بد من الموازنة بين الإنتاج وهو استثمار الأرض وإحيائها وبين مورد التوزيع؛ وهو أن ينال كل مواطن حقه في تملك أرض، وحقه في تحصيل المأوى والسكن، وحقه في تحصيل فرصة إنتاج أخرى أيضاً.

لذلك نرى الإمام أمير المؤمنين علي في عهده لملك الأشتر يصر على هذه الموازنة عندما يقول: هذا ما عهد به علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى واليه مالك الأشتر النخعي عندما ولاه مصر قال: جباية خراجها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها وجهاد عدوها.



موارد وكل روافد الإنتاج من أجل بناء اقتصاد قوي عادل.

القانون الثاني: ففي الاقتصاد هناك فرق بين الإنتاج والتداول، الإنتاج هو تطوير السلعة وتطوير المادة بحيث تلبى حاجة المستهلك، تخرع جهاز تواصل، طورت المادة بحيث تلبى حاجة المستهلك هو يسمى إنتاج.

أما التداول فهو نقل السلعة من موضع إلى آخر غاية ما في الأمر قد يكون النقل أفقياً كإخراج المادة من الأرض إخراج النفط والكنوز من الأرض من أجل تطويرها وبلورتها، هذا أيضاً تداول لكنه تداول أفقي، وهناك تداول آخر في عرض هذا التداول الأفقي وهو تداول عمودي؛ وهو إخراج المادة من الأرض من أجل تطويرها وصياغتها، وهناك تداول أفقي وهو نقل هذه المادة المطورة أو هذه المادة المنتجة من المصنع إلى يد المستهلك.

هل أن التداول مغاير للإنتاج؟

هذه المفردات الأربع تلخص دور السلطة في الموازنة بين روافد الإنتاج وموارد التوزيع:

فالمفردة الأولى «جباية خراجها» أي تجبى خراج الأرض لتوزع على المواطنين. والمفردة الثانية «واستصلاح أرضها» هو إنتاج، استصلاح الأرض هو إخراج خيراتها كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(١) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٢)

المفردة الثالثة «عمارة بلادها» لكي يحصل هذا الإعمار لابد من حالة الموازنة، عمارة البلاد التي تتولاها السلطة تأتي عن طريق الموازنة بين جباية خراجها واستصلاح أرضها، بالموازنة بين هذين الأمرين تكون النتيجة المفردة الثالثة عمارة البلاد.

المفردة الرابعة «جهاد عدوها» أي الحماية، السلطة تحمي الشركات، وتحمي رؤوس الأموال، وتحمي فرص العمل، وتحمي حقوق المواطن، أي أن تحمي كل

(١) [سورة هود، الآية ٦١]

(٢) [سورة الملك، الآية ١٥]

الركيزة الثانية: المواطنة

المواطنة هي علاقة عضوية بين الفرد وبين الدولة، فالفرد له حقوق وعليه واجبات، وفي هذه المازجة بين الحقوق والواجبات تتحقق صورة المواطنة الصالحة، وقد تميزت دولة أمير المؤمنين علي في مجال تجسيد المواطنة بأجل صورها من خلال مبدأ المساواة في عدة مجالات: المجال الأول: المساواة في المواطنة القانونية

لاحظوا قوله في عهده لمالك الأشتر عندما يقول "وأشعر قلبك الرحمة للرعية والرفق بهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم فإن الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" أي أن المواطن في دولة علي قد يكون مسلم وقد لا يكون كذلك، قد يكون متديناً بدين وقد لا يكون، نظير لك في الخلق أي كلاهما مواطن، كلاهما يحصل على درجة واحدة في المواطنة القانونية، لا فضل لأحدهما على الآخر.

المجال الثاني: المساواة في العطاء

جاءت امرأة قرشية إلى الإمام علي ومعها خادمها وقالت: يا أبا الحسن إنني

بحسب المصطلح الاقتصادي التداول شيء والإنتاج شيء آخر، لكن في رؤية علي في عهده لمالك الأشتر اعتبر التداول شعبة من شعب الإنتاج، فمما تميزت به دولته أنه اعتبر التداول شعبة من شعب الإنتاج فلذلك حماه ووفر له ما وفر لروافد الإنتاج من الصلاحيات والحقوق، لاحظوا قوله في عهده لمالك الأشتر: "واستوصي بالتجار وذوي الصناعات خيراً وأوصي بهم خيراً فإنهم التجار مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاها من المباع والمطرح".

جعل التجار وذوي الصناعات في عرض واحد، مع أن ذوي الصناعات إنتاج والتجار تداول لكنه جعلهما في عرض واحد ليجعل التداول شعبة من شعب الإنتاج، فالتجار يقومون بدورين كما يقوموا بدور توزيع وتداول جلاها من المباع والمطرح فهم يقومون بدور إنتاج مواد المنافع وأسباب المرافق.

إذن هناك رؤية علوية اقتصادية بني عليها نظام دولة أمير المؤمنين علي، وهذه هي الركيزة الأولى لدولة الإنسان في دولة علي بن أبي طالب.





العبادة وتحمي رموز العبادة سواء كانت للمسلمين أو لغير المسلمين.

المجال الرابع: المساواة في الراتب التقاعدي

الموظف له راتب تقاعدي حتى في دولة علي بن أبي طالب، وهناك مساواة في الراتب التقاعدي بلا فرق، دخل الإمام أمير المؤمنين السوق يتفقده رأى رجلاً نصرانياً يتسول وكان الإمام علي يحارب ظاهرة التسول لأنه يبنّي اقتصاداً عادلاً، فقال ما هذا؟ قالوا: هذا نصرانياً كبير وعجز عن العمل فأصبح يتسول. قال: ويحكم استخدمتموه حتى إذا كبير تركتموه يتكفف الناس! أعطوه من بيت مال المسلمين. مع أنه ليس مسلماً لكنه مواطن.

المجال الخامس: المساواة وعدم الامتياز لأسرة الخليفة أمير المؤمنين على غيره

جاء عقيل وهو أخو الإمام علي من أمه وأبيه يطلب زيادة في الراتب فالإمام علي حكى للناس ما جرى بينه وبين أخيه عقيل، فقال: أيها الناس لقد جاءني أخي عقيل واستماحني صاعاً من بركم ومعه

امرأة ضاقت بي الدنيا واحتاج إلى العون اصرف لي راتب من بيت مال المسلمين، فأمر الإمام علي بأن يصرف لها راتب وأمر بصرف راتب لخدامها مساوي لراتبها، فاعترضت وقالت: يا أبا الحسن أنا قرشية وهذا خادم لي فكيف يكون له راتب يساوي راتبي! فقال أبو الحسن: ما وجدت في كتاب الله فضلاً لبني إسماعيل على بني إسحاق، كلكم لآدم وآدم من تراب، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١)

إذن المساواة في العطاء هي مظهر آخر لحقوق المواطنة في دولة الإمام أمير المؤمنين علي.

المجال الثالث: المساواة في احترام دور العبادة

كما أن المساجد محترمة فالكنائس والصوامع محترمة، مر الإمام علي على كنيسة وهو عائد من حرب صفين، فقال له أحد أصحابه: هذا مكان طالما عصي فيه الله. فقال له: مه، قل هذا مكان طالما عبد فيه الله. فدولة علي تحمي دور

(١) [سورة الإسراء، الآية ٧٠]



المساكين، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويدنينا منه إذا أتيناه، لا يطمع القوي في ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله، وكان مع قربه منا وحنوه علينا لا نكلمه هيبة له وإجلالاً فإذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، ولقد رأيت له ليلة من لياليه ماثلاً في محرابه قابضاً على شيبته يتململ تلملم السليم وهو يقول: إليك يا دنيا غري غيري، إلي تطلعت أم إلي تشوفت، لقد بتت ثلاثاً لا رجعة لي بعدها فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق..

هكذا يعظنا أمير المؤمنين في هذه الليالي وهكذا يذكرنا بالآخرة، وهكذا يقول لنا: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، التفت إلى أهله ومن معه قال لهم: «أيها الناس كنت بالأمس صاحبكم واليوم أنا عبرة لكم وغداً مفارقكم فخذوا العبرة والعظة من ذلك، الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، الله الله في بيت ربكم لا يخلون منكم، الله الله في الأيتام، الله الله في الفقراء، الله الله في صغيركم.... ولم

صبيته وقد اصفرت ألوانهم كأنها سودت وجوههم بالعظم فأحميت له حديدة وأدنتها منه ففزع منها قلت: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتفر من حديدة أوقدها إنسانها للعبه وتجري إلى نار سجرها جبارها لغضبه! لا امتياز لك على غيرك، الجميع على حد سواء في مستوى العطاء والراتب.

هذه المجالات الخمسة في المساواة التي جسدها علي بن أبي طالب في دولته جسدت حقوق المواطنة في دولة الإنسان في دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وهذا ما تحدث عنه ضرار بن ضمرة عندما دخل على معاوية بن أبي سفيان وقال له: صف لي علياً. قال: اعفني. قال: أبيت عليك إلا أن تصفه. قال: إذا أزمعت على ذلك فاسمع، كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول عدلاً ويحكم فصلاً، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا ويقلب كفيه على ما مضى، كان والله يعظم أهل الدين ويتحجب إلى



يدع وصية إلا أوصى بها حتى قضى نحبه
غريباً شهيداً»^{(١) (٢)}

١ - الشورى في اتخاذ القرارات:

عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُعد من أسمى نماذج الحكم العادل في التاريخ الإسلامي. كان الإمام علي يولي أهمية كبيرة لمبدأ الشورى، إذ كان يشاور أصحابه في الأمور الكبيرة والصغيرة على حد سواء. وهذا النهج في الحكم لم يكن فقط تعبيراً عن تواضعه بل كان أيضاً انعكاساً للفهم العميق للشريعة الإسلامية.

كما أن الآية القرآنية: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٤) تجسد هذا المبدأ الإسلامي الذي طبقه الإمام علي خلال فترة حكمه. من خلال هذا النهج، لم يكن الإمام علي يعتمد فقط على رؤيته الشخصية، بل كان يستفيد من خبرات ومشورات من حوله لضمان اتخاذ القرارات الأكثر حكمة وعدالة.

يمكن ربط القول المنسوب للإمام علي «من شاور الرجال شاركهم في عقولهم»^(٣) بممارساته الفعلية في الحكم. فالإمام علي كان يدرك أن الحكم الرشيد لا يقوم على استبداد الرأي أو الانفراد بالقرار، بل يعتمد على مشاركة الجميع في صنع القرار. هذا المبدأ يظهر بوضوح في سيرته، إذ كان يعتمد على مشورة أهل

(١) علي بن أبي طالب، «وصيته الأخيرة»، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي.

(٢) موقع شبكة المنير / محمود صالح / ٣-٧-٢٠٢٠

(٣) علي بن أبي طالب، «حكمه»، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي.

(٤) [سورة الشورى، الآية ٣٨]



يمكن القول إن عهد الإمام علي يُعد مثلاً حياً لتطبيق مبدأ الشورى كما ورد في القرآن الكريم، إذ يُظهر كيفية استخدام المشورة كوسيلة لتعزيز الحكم العادل وتحقيق المصالح العامة للأمة^(١).

٢- التزام العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة:

لا تفتقر العدالة إلى تعريف واحد مقبول فحسب، بل إن مصاديقها هي الأخرى مختلفة. العدالة على صعيدي السياسة والحقوق، تعني مساواة الجميع أمام القانون. أمّا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فالمراد بها التكافؤ في الإمكانيات والقدرات المادية بين الأفراد الذين يتمتعون بالحقوق نفسها.

ومن البدهية ألا يكون المقصود بالعدالة، في التوزيع، تقسيم الإمكانيات بصورة متساوية بين الأفراد كافة. فالفرض المفروض منه هو عدم تكافؤ الأفراد وتساويهم في القضايا الاجتماعية والاستعدادات والقابليات. وطالما كان الاستحقاق هو الملاك الأصلي للعدالة، فمن البدهي أن تظهر قضية عدم المساواة

والتكافؤ. فالعدالة، في التوزيع، على أساس المبدأ الاقتصادي القائل بمحدودية المصادر والإمكانات، إنما تدعو لظهور العلاقة الطردية بين استعداد كل فرد وقابليته، ومدى استحقاقه أو استثماره لهذه المصادر والإمكانات. وعليه فإقرار هذا التعريف للعدالة سيستلزم حالة عدم المساواة والتكافؤ التي ستسود المجتمع. يرى العلامة المرحوم مرتضى المطهري أنّ «العدالة، في المدرسة الإسلامية، تنفرع إلى فرعين هما: العدل الإلهي والعدل الإنساني. والعدل الإلهي يقسم إلى العدل التشريعي والعدل التكويني. أمّا العدل الإنساني فهو الآخر يشمل العدل الفردي والعدل الاجتماعي».

ويشير المطهري في تقسيم آخر - بهدف بيان التعاريف العملية الأكثر استعمالاً وممارسة - إلى أربعة معانٍ، أو مجالات، لاستعمال العدل والعدالة:

(أ) التوازن:

ويقصد به رعاية الانسجام، أو الموازنة بين الأجزاء المؤلفة لمجموعة. وبعبارة أخرى فإنه يعتقد أنّ حسن ترتيب أجزاء

(١) شبكة النبأ المعلوماتية / ١٧ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ



مجموعة وانسجامها إنّها يفيد رعاية العدالة في إنشاء تلك المجموعة وتأليفها. فمثلاً إذا أخذنا بالحسبان مجموعة تحتوي على أجزاء مختلفة، فمن اللازم أن نعد المقادير المطلوبة لكل جزء، ونقوم بتنسيق كيفية ارتباط الأجزاء بعضها مع بعضها الآخر؛ لنتمكن تلك المجموعة من ممارسة دورها الموكل إليها وتحقيقها للهدف الذي تشكّلت من أجله...؛ فإذا ما أراد المجتمع، على سبيل المثال، أن يحافظ على ديمومته واستقراره وجب أن يعيش حالة التوازن، أي أن يحظى كل عنصر فيه بمقداره اللازم (لا بالمقدار المتساوي).

(ج) رعاية حقوق الأفراد وإعطاء كل ذي حق حقه:

لابدّ من مراعاة هذا النوع من العدالة في القوانين البشريّة، كما يتحتم على الأفراد احترامها. يعتقد المطهري أنّ هذا المفهوم للعدالة إنّما يقوم - جانب - على أساس الأولويات التي يكتسبها أفراد البشر بالنسبة لبعضهم بعضاً، ثم ينسبه من جانب آخر لصفاتهم الذاتية التي تحتم عليهم ممارسة بعض المقررات المطلوبة في حياتهم اليومية، واجتناب بعض المحظورات على أساس انتزاع «الحسن» و«القبح»، والعدالة ليست إلا رعاية هذه الأمور.

(د) رعاية الاستحقاقات في العطاء والإفاضة:

هناك معنى للعدل المرتبط بالتكوين من قبيل الإفاضة والرحمة المتوقّفتان على الإمكان والاستعداد، وهو معنى لا نرى له من صلة ببحثنا الحاضر.

إذا أمعنا النظر في التصنيف الذي وضعه المطهري فإنّ تعريفاته الأربعة

ويقصد بها رعاية المساواة بين الأفراد الذين يتمتعون بالاستحقاقات والقابليات نفسها. وأنموذج ذلك العدالة في القضاء وإصدار الأحكام؛ فإذا قيل: إنّ القاضي الفلاني عادل، فهذا لا يعني أنه ينظر بعين واحدة إلى الأفراد والدعاوى كافة، بل يراد به عدم تسرّب التمييز إليه في شأن الأفراد الذين يتمتعون بشروط متساوية ولهم القضايا والدعاوى نفسها. وعليه فالعدالة لا تعني المساواة، بل تعني

(ب) المساواة وعدم التمييز:

إذا أمعنا النظر في التصنيف الذي وضعه المطهري فإنّ تعريفاته الأربعة



قد تتطلبه بعض الحالات والظروف. وقد صرح المطهري، في هذا الشأن، قائلاً: «لا يمكن اعتماد الجود والإيثار مبنيين رئيسيين للحياة العامة، وسن القوانين والمقررات على أساسهما؛ ذلك لأن الجود والإيثار إنَّما يفقدان مسمياتهما إذا ما خضعا لقوانين ومقررات نافذة المفعول. فالجود والإيثار إنَّما يكتسبان صفتها الواقعية إذا ما كان وراءهما والدافع لهما الكرم والمروءة والعفو والمحبة، بعيداً عن القانون والمقررات، والالتزام بالتطبيق والتنفيذ. وعليه فالعدل أفضل من الجود». القضية المهمة الأخرى التي ينبغي التعرُّض لها والوقوف عليها، بغية إدراك مفهوم العدالة، هي المفهوم المخالف للعدل، والملموس في الحياة اليومية، ولا نعني به سوى مفهوم «الظلم». فكما أنَّ الصحة تعني السلامة من المرض وعدم السقم، فإنَّ وجود العدالة في المجتمع إنَّما يعني انعدام الظلم في المجتمع أيضاً. وإنَّ الاعتداء على حقوق الآخرين المظلومين وهضم حقوقهم إنَّما يمثل أحد المصاديق البارزة لمفهوم الظلم. وهذا ما صرح به الإمام علي عليه السلام في

-باستثناء التعريف الرابع الذي ساقه في شأن العدل الإلهي الذي أخرجناه من موضوع البحث- قد ألمحت للتعريفات المشهورة التي ذكرت في هذا الخصوص، من قبيل: «إعطاء كل ذي حق حقه» و«يضع الأمور مواضعها»، غير أنَّها سككت عن تعيين مصاديق الحق وأصحاب الحق وما إلى ذلك. الأمر الذي يجعل من المتعذر اعتماد التعريفات آنفة الذكر، بهدف خلق صورة واضحة للعدالة الاجتماعية في المدرسة الإسلامية. وللوقوف على مراد الإمام علي عليه السلام من العدالة، في شأن القضايا الاجتماعية، نرى من الأفضل التوقُّف عند الجواب الذي أورده عليه السلام حين سئل عن العدل والجود، ولاسيَّما إذا أخذنا بالحسبان كونه عليه السلام مصدر الجود والكرم. فقد سئل عليه السلام: أيُّهما أفضل العدل أم الجود؟ فقال عليه السلام: «العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما». إنَّما تنظم شؤون الرعية وتصلح أحوالها بالعدل». أمَّا الجود فهو حالة استثنائية



إطار قبوله للخلافة؛ إذ قال: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولأفليتكم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»^(١).

نهج الإمام عليه السلام، إبان خلافته، هو الآخر انطوى على الإصرار والتأكيد على ضرورة إصلاح مفاصل المجتمع، واسترداد كافة الأموال التي أخذت ظلماً وعدواناً من بيت المال.

فالإمام يرى ضرورة إعادة هذه الأموال لأصحابها، وهو القائل: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، ومُلك به الإمام، لردّته؛ فإن في العدل سعة...»^(٢).

وزبدة الكلام، فإنّه عليه السلام يعدّ العدالة مدعاة للتنمية وإصلاح جميع شؤون الأمة ولاسيما ضعفائها. وهذا ما أكّد عليه عليه السلام في عهده الذي عهد به لملك الأشتر

حين ولاه مصر قائلاً: «لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوي غير متتبع»^(٣).

إنّ انقسام المجتمع إلى طبقتين: طبقة مسحوقة وأخرى ثرية، يعدّ أحد إفرازات انعدام العدالة، ولاسيما عند توافر الأرضية المناسبة لنمو الثروة بشكل غير عادل عند بعضهم من دون بعضهم الآخر في المجتمع.

من جانب آخر، كان عليه السلام يشير، في غير موضع، إلى آثار العدل الماديّة والمعنويّة الجمّة، إلى جانب نزول البركات الإلهيّة التي تستتبع تطبيق العدالة وبسطها في أوساط الأمة والمجتمع. إنّ بسط العدل -الذي يجعل الأمة تحب ولائها- يمثل إحدى الوظائف المهمّة التي يجب أن تنهض بها الحكومة، كما يرى ذلك الإمام علي عليه السلام إذ قال: «وإنّ عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية. وإنّه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم»

(١) علي بن أبي طالب، "الخطبة الشقشقية"، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي.

(٢) علي بن أبي طالب، "الخطبة الشقشقية"، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي.

(٣) علي بن أبي طالب، "حكمه"، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي.



تأكيداً على أهمية الشورى وحرية التعبير يعكس إدراكه العميق لأهمية المشاركة الفعالة في صنع القرار.

كما تجلّى التزام الإمام علي بالديمقراطية في دعوته إلى احترام حقوق الإنسان، والحفاظ على المساواة بين المواطنين، وتنفيذ العدالة الاجتماعية بدون محاباة. كان يرفض الفساد ويعزز من مبدأ عدم التمييز في المعاملة، مما يعكس فهمه الواسع لأهمية هذه المبادئ في تحقيق استقرار المجتمع وتقدمه.

تُعبّر رؤيته للحكم عن محاولة حقيقية لدمج المبادئ الديمقراطية في إطار سياسي يراعي القيم الإنسانية والشرعية. من خلال نهج الإمام علي، يمكننا أن نرى كيف يمكن دمج قيم العدالة والمساواة مع الممارسات السياسية لضمان حكم رشيد وعادل.

ولا يفوتنا، هنا، أن نورد ما صرح به الكاتب إبراهيم العسل في شأن هذه النظرة للعدالة من أنها ستؤدي إلى أن «ينتظم سير الأعمال والوظائف، ويحصل رضى الرعية على سياسة ولائها، فلا تتردد في الوفاء بعهودها وموائيقها التي قطعتها على نفسها تجاه الحكومة، فيسودها الأمن والاستقرار والدعة، الأمر الذي يجعلها تفجر طاقاتها لإعمار البلاد والنهوض بها قدماً»^(١).

أخيراً، إن الإمام علياً بن أبي طالب كان شخصية ذات رؤية متميزة في مجال الحكم والإدارة، وقد تجلّت مؤشرات الديمقراطية في نهجه السياسي بشكل واضح. من خلال استعراض خطبه ورسائله، نلاحظ أنه كان يحرص على تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق، ويشجع على الشفافية والمحاسبة.



نقوش واجهات الأبنية
الفاطمية في مصر ودورها الإعلامي
في تجديد ذكرى الولاية
(دراسة أثرية فنية تحليلية)

عدي حياوي كشكول يوسف
ماجستير في الآثار الإسلامية



Abstract:

This study examines the media role played by the inscriptions on the facades of Fatimid buildings in Egypt in consolidating loyalty to Imam Ali ibn Abi Talib (may God be pleased with him) in light of the Ghadir Khumm incident. This study focused on an artistic analysis of the inscriptions, which were replete with expressions of loyalty to Imam Ali (peace be upon him) , through Qur'anic verses and hadiths, or through artistic decorative design. This reflects the political and religious dimensions that the Fatimids sought to establish in society. Through an aesthetic and

archaeological reading of the selected models, these inscriptions played an indirect media role in consolidating Shiite identity. The study also revealed the close relationship between architecture and ideological messages, highlighting the depth of Islamic art's connection to the faith. The study adopted an analytical approach, with reference to the historical and social dimensions of these inscriptions

Keywords:

Fatimid State - Urban Development - Art - Descriptive Study - Analytical Study.





الخلاصة:

تناول هذا البحث الدور الإعلامي الذي أدته النقوش الكتابية على واجهات الأبنية الفاطمية في مصر في ترسيخ الولاء للإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في ضوء حادثة الغدير خم، وقد ركزت هذه الدراسة في تحليل فني للنقوش التي زخرت بعبارات الولاء للإمام علي عليه السلام من خلال الآيات القرآنية والاحاديث أو تصميم زخرفي فني، مما يعكس الأبعاد السياسية والدينية الذي سعى الفاطميون لتثبيتها في المجتمع من خلال قراءة جمالية وأثرية للنماذج المنتقاة برزت هذه النقوش دورًا إعلاميًا غير مباشر في ترسيخ الهوية الشيعية، وكشفت الدراسة عن العلاقة الوثيقة بين العمارة والرسائل الأيديولوجية يبرز عمق ارتباط الفن الإسلامي بالعقيدة واعتمدت المنهج التحليلي مع الإشارة إلى البعد التاريخي والاجتماعي لتلك النقوش.

سبب اختيار الموضوع:

جاء اختياري لهذا الموضوع إيمانًا بأهمية الدور الذي تؤديه الفنون الإسلامية ولاسيما العمارة والنقوش

الكتابية من نقل رسائل دينية ومذهبية عبر العصور؛ ولأن العصر الفاطمي يمثل مرحلة متميزة من تاريخ الفن الإسلامي، كان من المهم دراسة كيفية استعمال النقوش بوصفها وسيلةً دعائيةً إعلاميًا، وأن حادثة الغدير تحظى بمكانة عظيمة في الفكر الإسلامي، مما يجعل البحث في تجلياتها الفنية أمرًا جديرًا بالعناية، لقد جذبني التلاقي بين الفن والعقيدة في الأبنية الفاطمية، إذ تجسدت الأفكار الكبرى من خلال تعبيرات فنية خالدة، فضلًا عن ذلك فإن قلة الدراسات التي تناولت هذا الجانب تحديداً حفزني على تناول الموضوع بشغف علمي ورغبة في الإضافة المعرفية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع نقوش واجهات الابنية الفاطمية في مصر ودورها الإعلامي في تجديد ذكرى الولاية (دراسة اثارية فنية تحليلية) «في كونه يكشف عن وظيفة الفنون الإسلامية بوصفها وسائل إعلامية وثقافية تتجاوز الطابع الجمالي إلى الدور الأيديولوجي والاجتماعي، فمن خلال دراسة النقوش الكتابية، نكتشف





كيف استطاع الفاطميون ترسيخ عقيدتهم وتثبيت ولاء الناس للإمام علي عليه السلام بأساليب راقية ومؤثرة، ويسهم هذا البحث في إثراء فهمنا لدور الفن والعمارة الإسلامية في التعبير عن الانتماء السياسي والديني ويضيء على أهمية حادثة الغدير كمحور مركزي في التراث الشيعي، ويساعد الباحثين على قراءة العمارة الإسلامية قراءة شاملة تتعدى الجانب الإنشائي إلى البعد الرسالي والفكري، ومن هنا يتسع أفق الدراسات الإسلامية والفنية ليشمل فهم الرسائل الرمزية الكامنة خلف الجمال الظاهري.

المقدمة:

تمثل النقوش الكتابية جزءاً جوهرياً من الهوية الفنية والروحية للعمارة الإسلامية وأصبحت جزءاً مهماً من العمارة يمكن ان تكون ذات وظيفة توثيقية لتاريخ سنة البناء أو كجمالية للبناء من خلال تزيين الجداريات البناء كالقباب والمحاريب والمداخل، وفي العصر الفاطمي تحولت هذه النقوش إلى وسائل إعلامية تحمل مضامين سياسية ومذهبية دقيقة ومن أهم القضايا التي ظهرت

جلياً في النقوش الفاطمية هو العبارات أو الدعاءات التمجيد والولاء للإمام علي عليه السلام، الذي شكّل ركيزة أساسية في الفكر الفاطمي، ومن خلال حادثة الغدير التي نصّب فيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الإمام علياً عليه السلام إماماً للأمة.

اعتمد الفاطميون على توظيف هذا الحدث العظيم لتثبيت شرعيتهم الدينية والسياسية وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على كيفية توظيف النقش الفني في تجذير هذه المفاهيم لدى العامة والخاصة، وسيتم التركيز على تحليل نماذج مختارة من المباني الفاطمية المهمة في مصر، مع بيان الطابع الجمالي والرمزي للنصوص الكتابية.

المبحث الأول:

الدولة الفاطمية:

الدولة الفاطمية هي إحدى أبرز الدول الإسلامية التي قامت في شمال إفريقيا ثم امتدت إلى أجزاء واسعة من المشرق العربي، تميزت بطابعها الديني والسياسي والثقافي الفريد، إذ إنَّها الدولة الوحيدة في التاريخ الإسلامي التي حكمت باسم المذهب الإسماعيلي الشيعي



بشكل رسمي ومركزي.

النسب والتسمية:

يرجع نسب الفاطميين إلى جدهم الذي عُرف بلقب «المهدي» وهو المؤسس الأول لدولتهم في بلاد المغرب، ويُدعى عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ^(١) وقد اتخذ عبيد الله هذا اللقب لما كان يدّعيه من صفات المهذوية والقيادة الدينية والسياسية معزّزا نسبه بسلسلة تنتسب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أحد أئمة أهل البيت البارزين في التاريخ الإسلامي ^(٢)، وبذلك سعى إلى إضفاء الشرعية الدينية على سلطته السياسية في المنطقة، فشكّل بذلك النواة الأولى لما أصبح لاحقا الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، التي اتخذت

النشأة والتأسيس:

تعود جذور الدولة الفاطمية إلى الدعوة الإسماعيلية والتي اعتقدت بإمامة إسماعيل بن جعفر أو ابنه محمد بعد الإمام الصادق عليه السلام، وقد رفض قسم من الشيعة الاعتراف بإمامة موسى الكاظم عليه السلام ونقلوا الإمامة إلى إسماعيل ^(٣)، والتي نشطت في القرن ٣ هـ - ٩ م في المشرق ووجدت صدىً واسعاً لها في بلاد المغرب، وتمكن عبيد الله المهدي وهو أول خلفاء الفاطميين من تأسيس الدولة سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م في منطقة المهديّة (دولة تونس) بعد نجاحه في كسب تأييد الكتامين والسيطرة على إفريقية ^(٤)، وبعد دراسة الأوضاع وتقييم الإمكانيات، وجد

(١) مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار الشروق، بيروت، ص ١٤٩.

(٢) القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة الامام الحسن عليه السلام، ج ١٩، النجف الاشرف، ٢٠١٢، ص ٢٠ - ٢٣.

(٣) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)، ج ٣، عالم النشر، ١٩٩١، ص ٣٥٥.

(٤) حسن ابراهيم واخرون، عبد الله المهدي امام الشيعة الامامية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، ص ١٢٠ - ١٢٢.





الفاطميون أن مصر تُشكّل نقطة ارتكاز مثالية لهم، لما تتمتع به من موقع جغرافي استراتيجي يربط بين المشرق والمغرب، ولما لها من أهمية اقتصادية وثقافية كبرى في العالم الإسلامي^(١)، فضلاً عن قربها من الحجاز وبلاد الشام، ما يمنحهم

فرصة أوسع لنشر دعوتهم الإسماعيلية وتعزيز شرعيتهم الدينية والسياسية، ومن هنا اتجهت أنظار الفاطميين إلى مصر، فخططوا لنقل مركز دولتهم إليها لتكون عاصمة جديدة لدعوتهم ومركزاً إشعاعياً لحكمهم، وهو ما تحقق لاحقاً عند تأسيسهم مدينة القاهرة واتخاذها مقراً لحكمهم ومركزاً للخلافة الفاطمية، ومن ثم اتخاذ مصر كقاعدة تنطلق منها الحملات إلى بغداد للقضاء على الخلافة العباسية^(٢)

التوسع والازدهار:

بعد أن نجح الفاطميون في تثبيت دعائم حكمهم في بلاد المغرب، لم يكتفوا

(١) هيفاء، عبادلية، الاوضاع الاجتماعية في مصر خلال العصر الاول (٣٦٢-٥٦٧هـ / ٩٧٢-١١٧١م)، رسالة ماجستير، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠١٩، ص ١٣.

(٢) القرطبي، سعد عريب، صلة التاريخ الطبري، مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٧، ص ٥٣.

(٣) الزركلي، خير الدين محمود، الاعلام، ج ٢، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢، ص ١٤٨.



الذي دخلها بعد تأسيسها. وكان من أبرز معالم هذه المدينة الجديدة الجامع الأزهر، الذي أنشأه جوهر بأمر من الخليفة، ليكون مركزاً دينياً وتعليمياً ينشر المذهب الإسماعيلي، وليصبح لاحقاً منارة علمية مهمة في العالم الإسلامي، وأُحيطت القاهرة بسور ضخمة لتحصينها، تخللته أبواب رئيسة كان لها دور دفاعي ورمزي في الوقت نفسه، ومن أشهرها: باب الفتوح، وباب النصر، وباب زويلة، وباب الخليج، ويُقال إن عددها بلغ خمسة أبواب في بعض الروايات^(١) وقد عُرفت هذه الأبواب بفنونها المعمارية وزخرفتها التي عكست الذوق الفاطمي الرفيع، ومع مرور الوقت، شهدت مدينة القاهرة توسعاً وازدهاراً كبيرين، فأنشئت فيها الأسواق المتنوعة التي جذبت التجار من مختلف أنحاء العالم، كما بُنيت العديد من الجوامع التي أضفت على المدينة طابعاً دينياً وثقافياً فريداً، من أبرزها: الجامع الأقمر، الذي تميز بزخارفه الحجرية

البديعة، وجامع الصالح طلائع، وجامع الأفخر، المعروف اليوم باسم «جامع الفكاكين»، والذي شيّده الخليفة الفاطمي الظافر بالله^(٢)، ويُعد من المعالم المعمارية المهمة التي تعكس روعة الفن الفاطمي. أما على صعيد الفنون، فلم يقتصر اهتمام الفاطميين على فنون العمارة فحسب، بل امتد إلى مختلف مجالات الإبداع الفني، إذ برعوا في الفنون الزخرفية والحرفية، واهتموا اهتماماً خاصاً بفن الخط العربي، لا سيما الخط الكوفي، الذي نال حظاً وافراً من العناية والتطوير في العصر الفاطمي، فاستُخدم في تزيين جدران المساجد والمنشآت، وفي المخطوطات والوثائق الرسمية، وقد أضفى ذلك على الفنون الإسلامية في تلك الحقبة طابعاً مميزاً يجمع بين الجمال والدقة والرمزية.

الانحدار والسقوط:

بدأ الضعف يتسلل إلى الدولة

(١) مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة، ج ١، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤١.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ٢، دار الاحياء العربية، ط ١، مصر، ١٩٦٧، ص ٢٥٤.



الفاطميّة في أواخر القرن ٥ هـ / ١١ م، نتيجة الصراعات الخارجية والداخلية والضعف الاقتصادي والعسكري، إلى أن انتهت فعلياً سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م على يد صلاح الدين الأيوبي الذي أعاد مصر إلى المذهب السني وأنهى الحكم الفاطمي رسمياً ومن أبرز هذه العوامل ضعف الخلفاء الفاطميين في المراحل الأخيرة، حيث فقدوا الهيبة والقدرة على إدارة شؤون الدولة، ما أدى إلى تراجع سلطتهم الفعلية لصالح الوزراء وقادة الجند كما ساهمت النزاعات الداخلية بين كبار القادة والولاة، والصراعات على النفوذ داخل البلاط، في تعميق الانقسامات وزعزعة الاستقرار السياسي^(١). وقد شهدت الدولة أيضاً أزمة اقتصادية نتيجة التراجع في الزراعة والتجارة، إضافة إلى العبء المالي الناجم عن كثرة الحروب والإنفاق على الترف والبذخ في القصور، وقد تزامن هذا الضعف الداخلي مع

تنامي قوة الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي، الذي استغل التدهور الفاطمي وسيطر على مصر، منهياً بذلك الخلافة الفاطميّة رسمياً عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م. وهكذا سقطت الدولة الفاطميّة بعد أكثر من قرنين من الحكم، نتيجة تراكم الأزمات الداخلية والفسل في مواجهتها، اما العوامل الخارجية فكان الصراع المذهبي العامل الاول لسقوط الدولة الفاطميّة حيث دخل الفاطميون صراع طويل مع الخلافة العباسية، كما ان الاطماع الخارجية والحملات الصليبية التي كانت هدفها المعلن من استعادة السيطرة المسيحية على الأماكن المقدسة في المشرق الإسلامي^(٢).

لم يبقَ من الدولة الفاطميّة، التي امتدّ حكمها لعدة قرون، سوى إرثها العمراني والفني الخالد، الذي لا يزال شاخصاً إلى يومنا هذا، شاهداً على عظمتها الحضاريّة وثنائها الثقافي

(١) توفيق، هلز رشيد، سقوط الدولة الفاطميّة، رسالة الماجستير، جامعة الفرات معهد العلوم الاجتماعية، ٢٠١٧، ص ٩.

(٢) الكندي وعوض، ميره يوسف، محمد مؤنس، «العوامل الداخلية والخارجية لسقوط الدولة الفاطميّة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م)» مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٩، العدد ٣، ٢٠٢١، ص ٣٨٤-٣٩١.



والديني. فعلى الرغم من زوال كيانها السياسي، فإن الآثار المعماريّة التي تركها الفاطميون في مصر والمغرب، إلى جانب أعمالهم الفنيّة المتنوعة، تُعد من أبرز ما خلفوه للأجيال اللاحقة، لا سيّما النقوش الكتابية والزخارف الهندسية والنباتية التي تزيّن جدران المساجد والبوابات والمنشآت العامة والخاصة.

وقد أولى الفاطميون عناية فائقة بتلك الزخارف والنقوش، إذ لم تكن مجرد عناصر جماليّة فحسب، بل كانت تحمل مضامين فكريّة ودينيّة عميقة، تعكس العقيدة الإسماعيليّة التي تبنتها الدولة الفاطميّة، وتُبرز الولاء لأئمة أهل البيت عليه السلام، وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد مثلت هذه النقوش وسيلة إعلاميّة ودعائيّة بامتياز، استخدمها الفاطميون لنشر دعوتهم وترسيخ شرعيّة خلافتهم في وجدان الناس، إذ امتلأت

(١) المصدر:

واجهات المباني وواجهات المساجد بالكتابات التي تمجّد أهل البيت وتؤكد أحقية الإمام علي عليه السلام في الخلافة، ومن بين أبرز المضامين التي تناولتها تلك النقوش، واقعة غدير خم، التي شكّلت حدثاً محورياً في الفكر الفاطمي، بوصفها اللحظة التي أعلن فيها النبي محمد صلى الله عليه وآله ولاية الإمام علي عليه السلام على المسلمين من بعده، وفي المبحث الثاني من هذا البحث، سيتم تسليط الضوء على عدد من النماذج المعماريّة والفنيّة التي تحمل نقوشاً كتابية ذات طابع ديني وولائي تتضمّن عبارات دعائية تمجّد هذه المناسبة العظيمة، وتُعد بمثابة إعلان رمزي لهوية الدولة الفاطميّة ومرجعيتها العقائدية.

صورة رقم (١) نقوش باب النصر^(١):

يعد باب النصر أحد أبواب السور الشمالي لمدينة القاهرة للدولة الفاطميّة، أنشأه «بدر الجمالي»^(٢)، بدأ

<https://egymonuments.gov.eg/ar/monuments/bab-al-nasr/>

(٢) وهو من أبرز القادة العسكريين في العصر الفاطمي بدر بن عبد الله الأمير الأرمني الجمالي من أصول أرمنية اشتراه جمال الملك بن عمار الطرابلسي، وربّاه في بلاطه، فنشأ نشأة عسكريّة وإدارية أهلته للترقي في المناصب حتى أصبح من كبار قادة الدولة الفاطميّة. تولّى نيابة دمشق سنة ٤٥٥هـ في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله: الذهبي، شمس الدين، سير اعلام النبلاء، ج١٩، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١،



متناهية، إذ نشاهد على واجهة المدخل كتابات من الخط الكوفي المورق من ثلاث أسطر بداخل إطار مسنن تحمل عبارات البسملة والتوحيد والتعظيم وكلمة الولاية والامامة للإمام علي عليه السلام جاء نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولي الله» «صوات الله عليهما وعلى الائمة من ذريتهم اجمعين».

صورة رقم (٢) نقوش محراب جامع بن طولون^(٢):

يُعدّ محراب جامع أحمد بن طولون من أقدم وأجمل المحاريب الإسلامية الباقية في مصر، ويُمثّل تحفة فنية نادرة تنتمي إلى الطراز العباسي، ويعكس دقة الصنعة والزخرفة والمحراب مصنوع من الخشب المغشّى بالجلس، ومزّين بزخارف نباتية وهندسية دقيقة، إلى جانب كتابات كوفية وزخرفيّة تملأ جوانبه، مما يمنحه

البناء سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م^(١) للدفاع عن مدينة القاهرة الفاطمية، شُيد من الحجر مما أضفى عليه طابعاً دفاعياً قوياً وجعله صامداً لقرون، يتوسط الواجهة مدخل مقوس يعلوه عقد نصف دائري، تعلوه لوحة حجرية تتضمن كتابات كوفية بارزة داخل إطار ذات طابع زخرفي وهندسي مميز، على جانبي العقد توجد زخارف دائرية تحتوي نجمة ثمانية تعكس الذوق الزخرفي الإسلامي، يظهر أعلى الواجهة إفريز حجري مزخرف بأسنان بارزة تضيف بعداً بصرياً جمالياً الكتابة الكوفية في اللوحة العلوية توثق اسم المنشئ وتاريخ البناء، وتُعد سجلاً تاريخياً معمارياً مهماً. تصميم الباب يعكس طراز العمارة العسكرية الإسلامية من حيث القوة والصلابة وتوجد فتحات للمراقبة والدفاع في الجانبين، مما يعزز طابعه الدفاعي يجمع باب النصر بين الوظيفة الحربية والزخرفة الفنية بدقة

ص ٨١.

(١) عبّرة، عبد الله، الفاطميون واثارهم المعمارية في افريقيا ومصر واليمن، افاق العربية، ط ١، ٢٠٠١،

ص ٢٥٦.

(٢) المصدر:



طابعاً روحانياً وفنياً فريداً.

يتكون المحراب من واجهة مستطيلة تتخللها فتحة محارية غائرة على شكل نصف قبة، تغطي بزخارف نجمية ونباتية متناظرة تتدرج من القاعدة إلى القمة، تُحيط بالمحراب إطارات من الكتابات الكوفية البارزة التي تتضمن آيات قرآنية وأدعية، وقد كُتبت بحرف دقيق ومتقن يبرز جمال الخط العربي في بداياته الفنية، ويُلاحظ وجود قوس مدبب يغطي الجزء العلوي من فتحة المحراب، تتخلله زخارف تشبه أوراق العنب أو اللوتس، وتدل على تأثر واضح بالزخارف العباسية القادمة من العراق، كما تُحيط بالمحراب لوحات زخرفية جانبية تحوي أشكالاً هندسية معقدة ونقوشاً نباتية متداخلة بأسلوب تناظري دقيق.

الكتابات الكوفية البارزة تم تنفيذها بنمط محفور بارز، وتُعد مثالاً على

تطور الخط العربي في مصر خلال العصر الطولوني، وأبرز عبارات الولاية هو نص منقوش عند وسط أعلى المحراب عبارة نصها «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله»، كتبت بالخط الكوفي المورق.

صورة رقم (٣) نقوش مسجد الصالح طلائع^(١):

وهو آخر مساجد الفاطمية أشاءه «الصالح طلائع بن رزيك»^(٢) الذي تولى الوزارة سنة ٥٤٩ هـ - ١١٥٤ م بعد أن قُتل سلفه، وكان له نفوذ كبير، إذ كان الوزير هو الحاكم الفعلي للدولة في تلك المدة؛ نظراً لضعف الخلفاء الفاطميين في أواخر عهدهم، كان رجل دولة قوياً وأعاد بعض النظام والاستقرار للدولة الفاطمية بعد سنوات من الفوضى، بنى جامعاً شهيراً في القاهرة يعرف بجامع «الصالح طلائع» حاول التقريب بين المذاهب الشيعية والسنية، وله مواقف سياسية تتسم بالمرونة

(١) المصدر:

https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Cairo,_moschea_di_as-salih_talai,_01.JPG

(٢) وهو أبو الغارات الملك صالح بن رزيك واحد من أبرز الوزراء في الدولة الفاطمية في مصر خلال القرن ٥٦ هـ - ٢١١ م، حيث كان أدبياً وعالمًا وشاعراً وشجاعاً سائساً: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٣٩٨.



والحكمة، يذكر انه تشرف بزيارة الأئمة الاطهار النجف الاشرف وكرلاء وقد قدم في أول أمره إلى زيارة الامام علي عليه السلام مع جماعة من الفقراء، وكان من الشيعة الإمامية^(١)، قُتل سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦١ م في مؤامرة داخل القصر بعد أن تكالبت عليه الخصوم ومات الملك الصالح طلائع فحزن الناس عليه لحسن سيرته، وأقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة ومصر^(٢) بنى جامعاً شهيراً في القاهرة يعرف بجامع الصالح طلائع الذي يُعدّ من المعالم المعماريّة البارزة في تاريخ العمارة الفاطميّة، ومن أهم السمات الفنيّة التي تميّزه تلك النقوش البارزة التي تزيّن واجهته الغربية، فقد كُتبت على هذه الواجهة عبارات ولائية تُجسّد النزعة الشيعيّة للدولة الفاطميّة، وقد نُفّذت هذه العبارات بخط كوفي زخرفي دقيق، يعكس المستوى العالي من الإتقان الفني الذي بلغه الخطاطون والحرفيون في تلك الفترة. وتشير هذه النقوش إلى البعد العقائدي الذي حرص المعماريون الفاطميون على تجسيده

في عمائرهم، بحيث لا تقتصر وظيفة الجامع على الجانب الديني فحسب، بل تؤدي أيضاً دوراً تعبيرياً عن هوية الدولة ومبادئها، إذ يتوسطها المدخل الرئيسي الذي أقيم أمامه سقفه تنتهي في طرفيها الشمالي والجنوبي بغرفتين، وهي تطل على الطريق بواسطة بائكة تتألف من أربعة أعمدة رخامية ذات قواعد مرتفعة يعلوها خمسة عقود منفرجة نقشت إطاراتها بزخارف هندسية، ويعلو نهاية هذه الواجهة وبداية الواجهة الشمالية شريط من الكتابات الكوفية المزهرة: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فتني مولانا وسيدنا الأمام عيسي أبي القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلي آبائه الطاهرين وأبنائه الطاهرين السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزي عضد الله به الدين وأمتع بطولة بقائه أمير المؤمنين

(١) مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج ٩، ط ٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ص ٢١٢.

(٢) الظاهري، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥، دار الكتب، مصر، ص ٣٤٥



تُظهر واجهته الزخارف الفاطميّة المميّزة، بما في ذلك الخط الكوفي المزخرف والرموز العقائدية الشيعيّة التي تعكس هوية الدولة الفاطميّة، إذ يضم الجامع نقوشاً تُمجّد الامام علي عليه السلام كخليفة الشرعي للامة الإسلاميّة جمعاً وتُبرز البعد العقائدي في العمارة الفاطميّة، مما يجعله ليس فقط مكاناً للعبادة، بل أيضاً وسيلة للتعبير عن ولاء الدولة لمذهبها. ومن أهم النقوش الكتابية التي تحتل موقعاً مركزيّاً خاصة على واجهاته الحجرية الخارجيّة والتي من خلالها تخاطب المارة مباشرة تماماً والتي لم تكن مجرد زخرفة بل رسائل ذات طابع دعائي وسياسي يحمل بصمة الدولة الفاطميّة، وقد اخترنا من بينها أهم النقوش التي تُجسد هذه الدلالات بوضوح:

وأدام قدرته وأعلي كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلي يديه مشارق الأرض ومغاربها في شهور سنة خمس وخمسين وخمس مائة والحمد لله وصلي الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الوصيين»

جامع الاقمر:

هو أحد أبرز الجوامع الفاطميّة في القاهرة أنشأه الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ - ١١٢٥ م على يد وزيره «المأمون البطائحي»^(١) الذي اهتم ببناء المساجد وكان أهمها جامع الاقمر^(٢)، ويتميز الجامع على صغره بغناه الفني والمعماري وتحديدًا في نقوشه الكتابية التي تشكل محوراً أساسيّاً في دراسة الفنون الفاطميّة، بل وتُعد أحد أهم الوسائل التي استخدمها الخلفاء الفاطميون لسط هيمنتهم الدينيّة والسياسيّة.

(١) وهو من الوزراء البارزين في الدولة الفاطميّة محمد بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمام المأمون عرف بالبطائحي نسبة إلى اصوله التي انحدر إلى منطقة البطائح الواقعة بين البصرة والكوفة: عبد النبي، علي فيصل، «الوزير المأمون البطائحي سيرته ودوره في الخلافة الفاطميّة - ٥١٥-٥١٩ هـ / ١١٢١-١١٢٥ م «مجلة كلية التربية جامعة المستنصرية، العدد السادس، ٢٠١٧، ص ٦٠٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان وابناء الزمان، ج ٤ ص ٤٩٨



صورة رقم (٤) الجناح الشمالي الأيسر من واجهة المدخل مسجد الأقمر القاهرة^(١)

تُظهر لهذه الصورة زخرفة دائريّة حجريّة تقع داخل طاقية محارية تتشعب منها خطوط شعاعيّة أشبه بأشعة الشمس، ما يمنح الزخرفة طابعاً إشعاعياً مركزيّاً، في قلب هذه الدائرة نجد اسم الإمام الامام علي عليه السلام مكتوباً بخط كوفي مزخرف، محاطاً بدائرة ثانية تحتوي على حروف هندسيّة متشابكة تُشكل اسم النبي الاكرم ﷺ يحاول الفنان أن يجمع النقش بين البعد العقائدي والتصميم الفني استطاع إيصال فكرة فنيّة للناظر من جعل الإمام علي عليه السلام في مركزيّة الدائرة النبوة بطريقة جماليّة تركز على التماثل الهندسي والانسجام الخطي في هذا العمل الفني والزخرفة المنحوتة بدقة في الحجر مما يدل على مهارة الصانع المسلمين واهتمامهم بدمج العقيدة بالفن،

(١) المصدر:

حيث تُستخدم مثل هذه العناصر لنقل رسالة عقائدية من خلال اللغة البصرية.

صورة رقم (٥) مدخل الجناح الغربي «طاقية اشعاعية»^(٢)

يظهر من خلال هذا المدخل مشابهة لمدخل الجناح الشمالي من الناحية التصميم والفن الا النقوش الكتابية قد اختلف فيها فنجد مركز الدائرة كتابة كوفية أسماء (محمد وعلي) ثم محاط بدائرة أخرى لنقش كتابي من الخط الكوفي نصها الآية الكريمة: بسم الله الرحمن الرحيم انما يريد الله ليذهب عنك الرجس اهل البيت يظهر هذا المدخل تشابهاً ملحوظاً مع مدخل الجناح الشمالي من حيث الأسلوب الفني والتكوين المعماري، لاسيما في استخدام الطاقية المحارية ذات الخطوط الشعاعية المتجهة نحو مركز زخرفة دائريّة. إلا أن هذا المدخل يتميز باختلاف واضح في نوعية النقوش الكتابية التي يحملها. ففي مركز الدائرة، نجد كتابات كوفية

https://almasdarr.blogspot.com/202009//normal-0-false-false-false_21.html

(٢) المصدر:

https://en.m.wikipedia.org/wiki/Aqmar_Mosque



صورة رقم (٦) نقوش النافذة

الهوائية^(١)

ومن أبرز العناصر الزخرفية في واجهة الجامع الأقمر الفاطمي بالقاهرة نافذة مزخرفة متميزة تُعد من التحف الفنية المعمارية النادرة، إذ تجسّد تداخلاً متقناً بين الزخرفة الهندسية والنباتية والكتابية في إطار فني فاطمي راقٍ، تتخذ النافذة شكلاً مستطيلاً محاطاً بإطار زخرفي غني بنقوش نباتية متكررة ودقيقة، تُبرز مهارة الفنان المسلم واهتمامه بالتفاصيل الجمالية.

في الجزء العلوي من النافذة تتجلى كتابة كوفية مورقة بارزة تحمل عبارة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مشيرة إلى البعد العقائدي في تصميم الواجهة، يتوسط النافذة عقد مدبب نصف دائري مزخرف، يحتوي على عنصر نباتي متشابك يتكوّن من سيقان ملتوية تتخللها أوراق دقيقة مما يضفي حيوية على الزخرفة، وعلى جانبي كوشة العقد^(٢)،

زخرفيّة لأسماء «محمد» و«علي» عليهما السلام، وقد نُفذت بخط كوفي غليظ تتسم بطابع زخرفي وهندسي يضفي على النص بُعداً روحانياً وجماليّاً. وتحيط بهذه الدائرة الداخلية دائرة أكبر تحمل نقشاً كتابياً آخر بخط كوفي أكثر امتداداً واتساعاً، يتضمن نص الآية الكريمة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً^(٣)، مما يعكس توجهاً عقائدياً واضحاً يربط بين الزخرفة الفنية والمضمون الديني الولائي. وتُعد هذه المعالجة الفنية مثلاً على توظيف الخط الكوفي في خدمة المعنى العقائدي ضمن السياق المعماري الإسلامي، إذ تتحول العناصر الزخرفية إلى خطاب بصري يعزّز مكانة أهل البيت عليهم السلام في ضمن البناء الفني والروحي للمنشأة.

(١) المصدر:

<https://lms.su.edu.pk/download?filename-1606826112=fatimiddynasty.161115111116-pdf&lesson33396=>

(٢) يعرف بالمصطلح الآثاري المعماري المساحة المثلثة المنحصرة بين قوس العقد وبين مربع محيط القائم الزاوية من الاعلاه والتي غالباً ما تملأ بمساحتها المحصورة بالزخارف النباتية أو الهندسية أو الكتابات





نلاحظ وجود دائرتين صغيرتين تتضمنان كتابتين كوفيتين تحملان اسمي «محمد» و«علي»، في إشارة رمزية واضحة إلى العلاقة الروحية والولائية بين النبي الأكرم محمد ﷺ والإمام علي عليه السلام، وهي دلالة عقائدية مقصودة في الفن الفاطمي، ويتوسط عند وسط العقد لشكل اناء كشكوله^(١) والذي يبدو كروي الشكل معلقاً بثلاث سلاسل معلقاً عند نهاية العقد المدبب. أما في الجزء السفلي من النافذة، فتظهر زخرفة هندسية بديعة تتكون من تداخل أضلاع وخطوط متماثلة تُشكل نجمة سداسية محاطة بزخارف شبكية متكررة تشبه نجومًا متعددة الرؤوس،

في نظام هندسي دقيق ينم عن وعي عالٍ بالرياضيات والزخرفة لدى الصناع المسلمين تُحيط بالنافذة أعمدة حلزونية من الجانبين، بينما تمتد الزخارف النباتية الدقيقة داخل الإطار لتربط العناصر ببعضها بتناغم بصري والمزج بين الهندسي والنباتي في هذه النافذة يعكس دقة الصناع المسلمين واهتمامهم بالتفاصيل الجمالية، والنافذة ليست مجرد عنصر معماري بل تمثل تجسيداً للفكر الفني الفاطمي الذي يمزج العقيدة بالجمال.

صورة رقم (٧) المقرصات الركنية في الزاوية الشمالية (الركن المشطوف)^(٢):

من العناصر المعمارية والزخرفية اللافتة في جامع الأقمر الفاطمي بالقاهرة ما

المتشابهة والمتداخلة فيما بعضها البعض والتي يسمى هذا الفن بالأرابسك: رزق، عاصم محمد، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط ١، مدبولي، ٢٠٠٠، ص ٢٥٦

(١) وهي من اواني الطبخ ذات اشكال بيضوية أو كروية الشكل تصنع من المعدن النحاس أو الذهب وتعرف بالفارسية باسم كشكول ويبدو ان الفنان اختار هذا الاناء لما له علاقة روحانية لدى الشيعة باللائمة الاطهار عليهم السلام حيث كانوا يجمعون بها ما يتيسر لهم من المال وينفقون منه النذر ويرسل المتبقي منها إلى بعد مماتهم إلى العتبات الائمة الاطهار عليهم السلام: محاضرة علمية، من قبل دكتورة منى عثمان الغباشي، بعنوان: فنون المشرق الاسلامي - فن صناعة وزخرفة المعادن



يُعرف المقرنص^(١) أو «الركن المشطوف» وهو عنصر معماري فني متميز تم توظيفه عند التقاء الواجهة بالجدار الجانبي للمسجد تجمع بين الوظيفة الجمالية والدلالات الرمزية، ويتكوّن الركن من ثلاثة تجاويف معقودة ومقرنصة تتوزع بشكل مائل يخالف الزاوية القائمة التقليدية، مما يتيح رؤية أفضل للكتابة والزخرفة من اتجاهين مختلفين.

في هذا الركن نقشت كتابة كوفيّة الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٢)، وقد قُسمت بطريقة ذكية لتناسب مع تقسيمات الركن، فالجزء الأول من الآية «إِنَّ اللَّهَ مَعَ» كُتب في الجزء العلوي من الحنية المركزية، بينما تم توزيع الشطر الثاني «الذين اتقوا والذين هم محسنون» أسفل الحنايا الثلاث بطريقة متوازنة، ويُلاحظ في الدائرتين الزخرفيتين على جانبي الركن وجود اسمين بارزين منقوشين بالخط

المبحث الثالث:

الدراسة التحليليّة:

من خلال دراستنا للنقوش الكتابية الموجودة على واجهات الأبنية الفاطميّة في مصر توصلنا في هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج التحليليّة التي تبين مدى أهمية هذه النقوش كوسيلة فنيّة ودينيّة وإعلاميّة في آنٍ واحد، فقد ظهر جلياً أن الفاطميين لم يتعاملوا مع النقوش كعناصر زخرفيّة سطحية فقط، بل

(١) المقرنص هو عنصر معماريو وزخرفي تشبه خلايا النحل يتم انشاءها سلسلة من الاقواس المعكوسة في صفوف متصلة مع بعضها البعض: ابو الغيط، الشيماء، المقرنصات دراسة تحليليّة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة حلوان، كلية الفنون التطبيقية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٥.

(٢) سورة النحل: آية ١٢٨



جعلوها جزءاً أساسياً من البنية المعماريّة والخطاب الرمزي للدولة الفاطميّة بعنوانها السياسي والمذهبي، لتمرير رسائل سياسيّة وعقائدية تعبّر عن هوية الدولة ومشروعها الديني.

فمن خلال دراسة النماذج المدروسة، لاحظنا وجود عبارات تمجّد الإمام عليّاً عليه السلام، وتؤكد ولايته، وتذكرنا بأهم حدث وقع في الاسلام وهي «واقعة غدير خم» في دلالة صريحة على إصرار الدولة الفاطميّة على ترسيخ أحقية أهل البيت عليهم السلام في الخلافة، وهو جوهر الدعوة الفكر الفاطمي وتكرار المتقن للعبارات ذات الصيغة الدعائية نجد مدى التداخل بين الوظيفة الدينيّة للنقش وبين غايته السياسيّة، وكان أبرز التحليل الفني لهذه النقوش مدى احترافية الخطاطين والمعماريين الفاطميين إذ لم تكن هذه النقوش الزخرفيّة تُنفذ بصورة عشوائية، بل كانت تندمج بتناغم تام مع الزخارف النباتية والهندسية المحيطة بها، مما يعكس فلسفة فنيّة تُجسّد التوحيد والتناغم

وأظهرت الدراسة لهذه النماذج أن الفنان المسلم استعمل هذه النقوش في مواضع استراتيجية مهمة تمثلت على الواجهات البارزة ومداخل المدن والمساجد، بهدف تعظيم التأثير البصري والديني، لكي تصبح هذه العبارات جزءاً من الذاكرة العقلية للمجتمع وبالتالي، فإن هذه النقوش لم تكن مجرد زخرفة،

(١) عبيد، شبل ابراهيم، «الخط الكوفي على العماثر في اسيا الوسطى والنشأ والتطور» مجلة الابجديات، العدد السابع، ٢٠١٢، ص ١٣٨.



الاستنتاجات:

بل كانت تمثل إعلاناً دائماً عن عقيدة الدولة ورسالتها، والذي يمكن ان نقول هذا الاسلوب تُعد في جوهرها شكلاً من أشكال «الإعلام المعماري» الذي سبق المفاهيم الحديثة للدعاية البصريّة.

ومن الناحية التقنية، تميّزت

النقوش بدقة التنفيذ وثراء التفاصيل، إذ استعملت تقنيات الحفر البارز والغائر، مما أضفى بعداً جمالياً ولمسياً على الحجر، ولاحظنا أن بعض النقوش مزجت بين النصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة والعبارات الولائيّة، في محاولة

لخلق انسجام بين الخطاب الديني العام ومفردات الدعوة الإسماعيليّة مستدلين من خلال الأحاديث النبويّة والصحابة، وفي الختام، يمكن القول إنّ النقوش الفاطميّة لا تمثل فقط جانباً من التراث الفني الإسلامي، بل هي وثائق ناطقة تعبّر عن عقيدة وهوية سياسيّة واضحة، وقد استطاع الفاطميون من خلالها أن يخلّدوا فكرهم في الحجر، فتبقى شواهدهم قائمة، حتى بعد زوال دولتهم تروي قصة الولاء والفن والعقيدة.

أهمها:

١- لم تكن النقوش الفاطميّة مجرد عناصر زخرفيّة فقط بل حملت رسائل دينيّة وسياسيّة واضحة، تُعبّر عن عقيدة الدولة الفاطميّة ومبادئها الأساسيّة، ولاسيّما مبدأ الإمامة والولاية لأهل البيت عليهم السلام.

٢- اعتمد الفنانون الفاطميون على الخط الكوفي المزهر والمورّق بشكل أساسي، لما يميز به من خصائص هندسية تناسب العمارة، وقابلية عالية للتزيين والتشكيل الفني.

٣- برع الفن الفاطمي في الدمج المتناغم بين النصوص الخطية والزخارف النباتية والهندسية، ما أضفى على النقوش قيمة جماليّة ورمزية عالية تبهر الناظر لها.

٤- تكررت أسماء مثل «محمد» و«علي» في النقوش بشكل مقصود ومدرّوس، في محاولة فنيّة لإبراز العلاقة الروحيّة





والعقائدية بين النبوة والإمامة.

المصادر والمراجع:

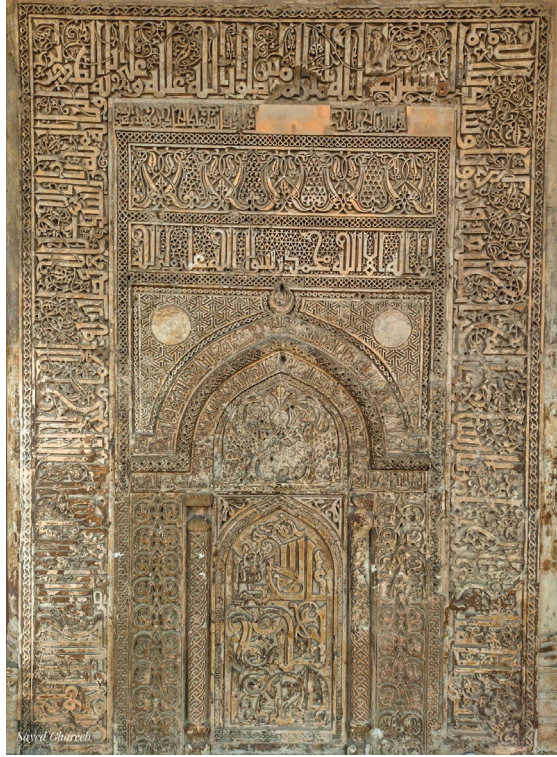
- ٥- استُخدمت النقوش الكتابية كوسائل إعلامية مرئية لنشر فكر الدولة، وترسيخ هويتها الدينية في الوعي العام، خصوصاً من خلال العبارات التي تمجد الإمام علي عليه السلام وتذكر حادثة الغدير.
- ٦- وُضعت النقوش في أماكن بارزة كواجهات المساجد، وأبواب المدن والأسواق، مما زاد من فاعليتها التأثيرية على المتلقي.
- ٧- أسهمت هذه النقوش في بناء هوية فكرية ومعمارية موحدة للدولة الفاطمية، ما يزال أثرها حاضرًا حتى اليوم في العديد من المباني التاريخية.
- ٨- أظهرت النقوش مهارات عالية في الحفر والتشكيل، واستخدام تقنيات دقيقة كالنحت الغائر والبارز، مع تنوع في التكوينات الفنية.
- ٩- شكّلت هذه النقوش إرثاً فنياً استمر تأثيره في العصور اللاحقة، وظلت مصدر إلهام في الزخرفة والخط المعماري الإسلامي.
- ١- مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار الشروق، بيروت.
٢. القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة الامام الحسن عليه السلام، ج ١٩، النجف الاشرف، ٢٠١٢.
٣. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)، ج ٣، عالم النشر.
٤. حسن ابراهيم واخرون، عبد الله المهدي امام الشيعة الامامية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية.
٥. هيفاء، عبادلية، الاوضاع الاجتماعية في مصر خلال العصر الاول (٣٦٢- ٥٦٧هـ / ٩٧٢ - ١١٧١م)، رسالة ماجستير، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
٦. القرطبي، سعد عريب، صلة التاريخ الطبري، مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٧.

المصادر الإلكترونية:

٧. الزركلي، خير الدين محمود، الاعلام، ج٢، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢.
1. <https://egymonuments.gov.eg/ar/monuments/bab-al-nasr/>
٨. مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة، ج١، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤.
2. <https://web.mit.edu/4.615/www/images/1019.html>
٩. السيوطي، عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، دار الاحياء العربية، ط١، مصر، ١٩٦٧.
3. https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Cairo,_moschea_di_as-salih_talai_01.JPG
4. https://almasdarr.blogspot.com/202009//normal-0-false-false-false_21.html
١٠. توفيق، هلز رشيد، سقوط الدولة الفاطمية، رسالة الماجستير، جامعة الفرات معهد العلوم الاجتماعية، ٢٠١٧.
5. https://en.m.wikipedia.org/wiki/Aqmar_Mosque
١١. الكندي وعوض، ميره يوسف، محمد مؤنس، «العوامل الداخلية والخارجية لسقوط الدولة الفاطمية» (١١٧١/٥٥٦٧م).
6. <https://lms.su.edu.pk/download?filename=1606826112-fatimiddynasty-161115111116.pdf&lesson=33396>
١٢. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد ٩، العدد ٣، ٢٠٢١.
7. https://www.archnet.org/sites/2310?media_content_id=99843



صورة رقم (١) جزء من الصورة اعلاه نقوش الكتابات الكوفية تدون شهادة التوحيد والولاية للأمام علي عليه السلام نقوش كتابية فوق باب النصر في القاهرة.



صورة رقم (٢) نقوش محراب جامع بن طولون



صورة رقم (٣) نقوش مسجد الصالح طلائع



صورة رقم (٤) الجناح الشمالي الأيسر من واجهة المدخل مسجد الأقمر القاهرة



صورة رقم (٥) مدخل الجناح الغربي «طاقية اشعاعية» جامع الاقمر



صورة رقم (٦) نقوش النافذة الجدارية جامع الاقمر



تصوير امامي



صورة رقم (٧) تصوير جانبي لمقرنص الركن الشمالي لجامع الاقمر

